

بيروبيجان

التجربة السوفييتية لانشاء وطن قومي يهودي

نجدة فتحي صفوة

مركز الدراسات الفلسطينية : جامعة بغداد
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي



سلسلة دراسات فلسطينية ٣



بيروبيجان

التجربة السوفيتية لانشاء وطن قومي يهودي

تأليف

نجدة فتحي صفوة



مركز الدراسات الفلسطينية : جامعة بغداد

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

الطبعة الاولى

١٩٧٣

مركز الدراسات الفلسطينية · جامعة بغداد

الوزيرية ـ ص·ب ٤٥٢

بغـــداد

مطبعة العاني ـ بغداد

تصدير

ان دراسة المسألة اليهودية أصبحت من متطلبات أية محاولة لفهم الحركة الصهيونية ، وان الصهيونيـــة كما تتجسد اليوم في الـكيان القائم على أرض فلسطين هي الى حد كبير الوليد غير الشرعي لهذه المسألة · فالصهيونية طرحت نفسها كحل للمسألة اليهوديـــة واتخذت من الاستعمار الاستيطاني والنزعة العنصرية سبيلا لتحقيق أهدافها · واذا أراد الفكر الصهيوني أن يضع مسـيرة تاريخ اليهود فوق منطق التاريخ وأسبغ على اليهود قدرا إلهياً خاصا ··· فان من واجبنا دراسة الواقع اليهودى خاصة في المكان والزمان اللذين شهدا نشأة الحركة الصهيونية ـ أوربا في أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين ـ واذا ماعرفنا أن تعداد يهود الاتحاد السوفييتي في مطلع القرن الحالي كان يزيد على المليونين والنصف من مجموع ثلاثة عشر مليون يهودي في العالم ندرك أهمية الدراسة التي يقدمها لنـا الاستاذ نجـدة فتحي صفوة تحت عنـوان « بيروبيجان · التجربة السوفيتية لانشاء وطن قومي يهودى » · اضافة الى أن ليهود روسيا وفيما بعد الاتحاد السوفييتي دورا مهما في بناء دولة اسرائيل وذلك عن طريق توفير المادة البشرية بشكل مهاجرين ، فقد شكل المهاجرون اليهود الروس القسط الاكبر من الهجرة (Aliyah) الاولى لفلسطين (١٨٨٢ ـ ١٩٠٣) التي يبلغ تعدادها حوالى ٢٥٫٠٠٠ يهودى وكذلك الحال في الهجرة الثانيـــة لفلسطين (١٩٠٤ ـ ١٩١٣) وتعـــدادها ٤٠٫٠٠٠ ، والهجرة الثـــالثة (١٩١٩ ـ ١٩٢٢) وتعـدادها حوالى ٣٥٫٠٠٠ يهودى ·

كما وان الستينيات وخاصة السنوات الاخيرة شـهدت هجرة يهودية واسعة من الاتحاد السوفيتي الى اسـرائيل · كل ذلك يؤكد ضرورة دراسة الواقع اليهودى في الاتحــاد السوفييتي لاسيما وان الاتحاد السوفييتي بقيادة لينين والحزب الشيوعي قدم تجربة رائدة في علاج المسألة القومية بشكل عام ، وجمهوريات الاتحاد السوفييتي

بقومياتها المختلفة تؤكد هذه الحقيقة ، حيث بات واجب أنهاء القهر الطبقي ملازما للقضاء على الاستغلال القومي والعنصري · وكان يهود الاتحاد السوفييتي أول من رحب واستبشر بانتصار ثورة اكتوبر ١٩١٧ حيث اعتبرت الثورة بمثابة نهاية الاضطهاد اللاسامي الذى تعرض له يهود روسيا أبان الحكم القيصرى · كما وان لليهود دورا فعالا في قيادة الحركة الثورية المعادية للقيصرية ، فقد ذكر لينين في هذا الصدد : « ان حقد القيصرية كان موجها ضد اليهود بصورة خاصة ، فمن جهة كان اليهود يؤلفون نسبة عالية جدا من قادة الحركة الثورية (بالقياس الى مجموع السكان اليهود) ··· ومن جهة أخرى ، كانت القيصرية تعرف جيدا كيف تستغل أحط الاوهام ضد اليهود عند أشد فئات السكان جهلا ، وتنظيم مذابح اليهود وان لم تقدها بنفسها » ·

وأسهمت العناصر اليهودية ، بعد انتصار ثورة اكتوبر ، اسهاما بارزا في تنظيمات وقيادات الحزب الشيوعي السوفييتي ·

مقابل هذه الصورة الايجابية نجد أن الوجه الثاني للعملة يتمثل ببقاء مشكلة « الوضع الخاص » لليهود واستمرار الحديث عن الهجرة اليهودية من الاتحاد السوفييتي · ان هذا التناقض بين الوجهين لامر جدير بالدراسة وبدون شك تعتبر تجربة بيروبيجان حلقة بارزة في سلسلة المحاولات لانهاء المشكلة اليهودية في الاتحاد السوفيتي ويأتي كتاب الاستاذ نجدة فتحي صفوة كأول دراسة أكاديمية من كاتب عربي لدراسة الموضوع · وقد استفاد المؤلف من تجربة عمله كممثل للعراق في الاتحاد السوفييتي الى جانب اعتماده على مجموعة واسعة من المصادر الاولية والثانوية الصادرة بلغات مختلفة · فجاء الكتاب محتويا على معلومات مهمة وجديدة خاصة بالنسبة للقارىء العربي ·

وان مركز الدراسات الفلسطينية اذ يقوم بنشر الكتاب يأمل أن يكون قد ساهم في نشر الوعي العلمي للقضية الفلسطينية ·

د · غسان العطية

مدير مركز الدراسات الفلسطينية

محتويات الكتاب

مقدمة

ان « بيروبيجان » ، أو « المقاطعة اليهودية ذات الحكم الذاتى » ، هى احدى التجارب التى لجأت اليها الحكومة السوفيتية لحل ماعرف بـ « المشكلة اليهودية » ، تلك المشكلة التى ورثتها عن الحكومة القيصرية ، وواجهتها بعد ثورة أكتوبر فى صورة جديدة .

وهذه التجربة ، بلا ريب ، لها أهميتها التاريخية ، وهى جديرة بالدراسة ، لانها وان سارت جنبا الى جنب مع التجربة الصهيونية لانشاء وطن قومى يهودى ، ثم دولة يهودية ، فانها كانت فى الحقيقة معارضة لها فى الاتجاه ، بل انها جعلت فى جملة اهدافها الرئيسية مكافحة الصهيونية ، وعمدت خلال حملات الدعاية التى رافقتها الى مقارنتها بها ، وابراز أخطاء المخطط الصهيوني ، ومساوئه ، وعدم مشروعيته ، وما سيواجهه من صعوبات ، ويصحبه من اعتداء على حقوق الآخرين ، ليظهر أن فلسطين لا يمكن أن تكون حلا سليما ونهائيا لمشكلة اليهود فى العالم .

وكان مشروع « بيروبيجان » ـ بطبيعة الحال ـ محل نزاع شديد بن اليهود والمهتمين بشؤونهم ، فى الاتحاد السوفيتى وخارجه . وقد اختلفت الآراء فيه ، وتباينت فى تقييمه : رحّب به ، وتحمّس له ، كثيرون من اليهود ، وحاربه آخرون ، بدوافع مختلفة ، وخاصة

الصهيونيون الذين رأوا فيه نسفا لمخططهم فى فلسطين • وصدر عن المشروع فى الاتحاد السوفيتي وخارجه عدد من الكتب والكراسات والمقالات (باللغتين الروسية واليدية وغيرهما) ، وخاصة في السنوات الاولى لظهور المشروع الى الوجود (أى منذ سنة ١٩٢٨) • ولا يزال مشروع بيروبيجان موضوع بعض الدراسات التى تصدر من وقت لآخر فى الاتحاد السوفيتي وفى الغرب •

وقد لفت موضوع هذه « المقاطعة اليهودية ذات الحكم الذاتي » نظرى ، وأثار اهتمامي ، خلال فترة عملى فى الاتحاد السوفيتي بين سنتي ١٩٦٣ و ١٩٦٦ ، كما أثار استغرابى أن هذه التجربة تكاد تكون غير معروفة فى العالم العربى ، ولم تكتب عنها أية دراسة خاصة باللغة العربية حتى الآن •

وكنت خلال اقامتى فى الاتحاد السوفيتى ، أتمنى زيارة هذه المقاطعة بطبيعة الحال ، للاطلاع على الحياة فيها شخصيا ، ودراسة هذه التجربة فى مكانها • ولكن ذلك كان فى الحكم المستحيل لاسباب معلومة وصعوبات مختلفة أبسطها بعدها الشاسع عن مقر عملى فى موسكو (أكثر من ثمانية آلاف كيلومتر) • ومع ذلك ، فقد حاولت خلال وجودى فى موسكو ، وبعد مغادرتى اياها ، أن أجمع كل ما تيسر لي من معلومات ووثائق ودراسات عن تلك المقاطعة •

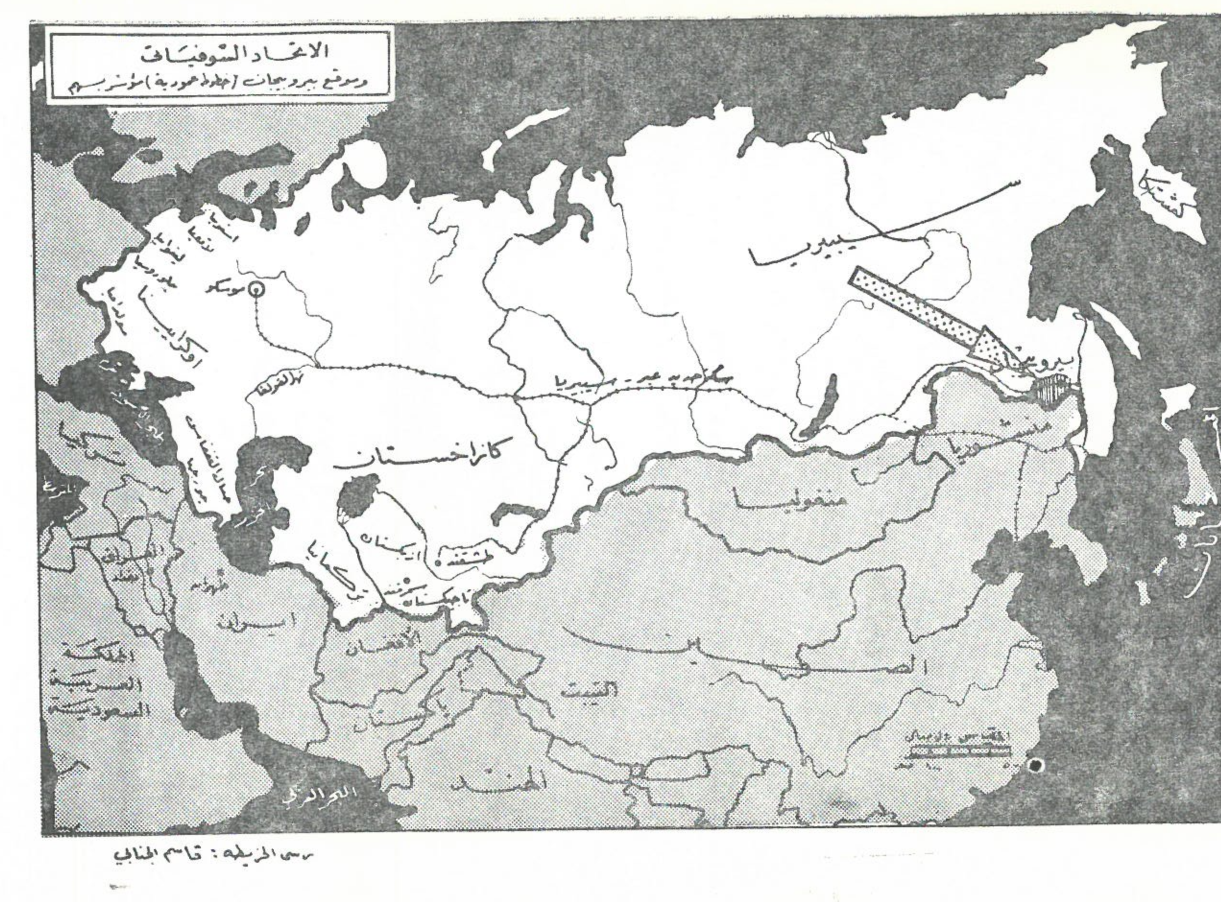
وقد كتبت هذه الدراسة استنادا الى تلك المصادر ـ السوفيتية والغربية ـ والى محادثاتي وتحقيقاتي الشخصية مع مواطنين سوفييت، من مختلف القوميات ، يهود وغير يهود ، مسؤولين وغير مسؤولين •

وأرجو أن تكون هذه الدراسة نافعة فى اعطاء القارىء العربى

وغيره ـ أن أتيح لغيره الاطلاع عليها ـ فكرة عن هذا الكيان اليهودى الذي حاولت الحكومة السوفيتية أقامته بنيّة حسنة ، وبطريقة سلمية ، وبدوافع انسانية ووطنية ، مهما كان نصيب المحاولة من النجاح أو الفشل • فكرة تمكنّه من مقارنة بواعثه وأهدافه واساليبه بالكيان اليهودى الآخر الذى أقيم فى فلسطين ، بطرق عدوانية ولا انسانية وغير مشروعة •

وأود أن أؤكد أنني حاولت فى هذه الدراسة التزام الموضوعية الى أقصى حد يستطيعه كاتب عربى يتناول موضوعا يتعلق بالصهيونية واليهود ، فعسى أن يجدها القارىء كذلك •

ن • ف • ص •



رسم الخريطة : قاسم الجنابي

الفصل الأول

المشكلة اليهودية
في العهدين القيصري والسوفيتي

ان « المشكلة اليهودية » التى واجهتها الحكومة السوفيتية بعد تسنمها الحكم تختلف اختلافا كلياً عما كانت عليه تلك المشكلة فى عهد الحكومة القيصرية .

كانت روسيا القيصرية موطن أكبر عدد من اليهود فى العالم ، وفى سنة ١٩٠٩ كان فيها ٥٫٢١٥٫٠٠٠ يهودى من مجموع ١١٫٥٠٠٫٠٠٠ يهودى فى العالم .

وقد واجهت روسيا المشكلة اليهودية على نطاق واسع للمرة الاولى فى عهد « كاترين الكبرى » (١٧٢٩ - ١٧٩٦) بعد تقسيم بولونيا بين روسيا وبروسيا والنمسا ثلاث مرات متتاليات بين سنتي ١٧٧٢ و١٧٩٣ ، وحصول روسيا ، بعد كل تقسيم ، على جزء كبير من أراضي الدولة البولونية التى زالت من خارطة أوربا بعد التقسيم الثالث ، فلم تسترد استقلالها الا بعد الحرب العالمية الاولى .

وقد استرجعت روسيا ، بعد التقسيم الثالث ، أراضي اوكراينا

وبيلوروسيا (روسيا البيضاء) ، وحوض البلطيق ، وكان فى هـــذه المناطق مجموعات كبيرة من اليهود ، لان ملوك بولونيا ـ خلافا لما درج عليه ملوك روسيا ـ لم يمانعوا فى دخول اليهود الى بلادهم ، بل انهم كانوا يشجعونهم على ذلك فى بعض العهود •

وهكذا وجدت روسيا ـ بعد عمليات التقسيم ـ أنها تضم زهــاء مليون يهودى جديد • وبعد ان كانت الحكومة الروسية تسن القوانين التى تمنع دخول اليهود الى أراضيها ، وتصدر من وقت لآخر المراسيم بنفيهم منها ، فانها لم تجد فى هذه المرة مناصا من قبول هذا العـــدد الضخم منهم بين رعاياها مرة واحدة • ولكنها عمـــدت ، ازاء هذه الحالة ، الى اصدار قوانين جديدة لتنظيم حالتهم ، خشية تغلغلهم فى داخل روسيا وسيطرتهم على تجارة البلاد ، وبقصد « الحد من تأثيرهم الشرير على السكان الروس » كما جاء فى ديباجة احدها •

وكان اهم هذه القوانين ، وأبعدها أثرا فى حياة اليهود فى روسيا ، هو القانون الذى حدد اقامة اليهود فى مناطق معينة من البلاد (وهي التي كانوا يقيمون فيها وقت التقسيم) ومنعهم من الانتقال منها والسكنى خارجها الا فى حالات استثنائية محدودة • وقد عرفت هذه المناطق فيما بعد باسم « حظيرة التوطن اليهودية » •

ووجد القرن التاسع عشر يهود الامبراطورية ، بعددهم الكبير ، مجموعات احتشدت فى المناطق الغربية ـ الجنوبية من الامبراطورية ، تعيش فى أحيائها المغلقة ـ التى تسمى «غيتو» ـ فى عزلة العالم الخارجى • مجموعات على مستوى واطىء جدا من المعيشة ، وغريبة عن أهل البلاد فى ديانتها وعاداتها وتقاليدها وزيّها ، وكانت لغة التخاطب بينها هى

اليدية (أو : اليدش)[1] ، ولغة الكتابة بين القلة المتعلمة منها هي العبرية • وكانت الاغلبية الساحقة من هؤلاء اليهود لا تعرف لغة البلاد ، ولذلك كان اتصالهم بالعالم المحيط بهم ضئيلا ومحدودا •[2]

وقد أصبحت كراهية اليهود ومعاداتهم من المشاعر الشائعة بين الشعب الروسى لاسباب دينية واقتصادية واجتماعية ، فضلا عن العزلة التى التزمها اليهود ، وعدم اختلاطهم بغيرهم من سكان البلاد ، مما أدى الى بقائهم فى نظر هؤلاء عنصرا غريبا وشعبا دخيلا يعيش فـــي بلادهم ، وينتفع بخيراتهم ، ويزاحمهم فى أرزاقهم • وأصبح الامـــر حلقة مفرغة ، فكلما زادت الكراهية نحو اليهود ، زادوا انكماشا على أنفسهم ، وكلما زادوا انكماشـــا زادت العداوة نحوهم ، حتى تعرضوا

---

(١) ان اللغتين الرئيسيتين اللتين يتكلم بهما معظم اليهود فى العالم هما العبرية واليدية • والعبرية هى لغة اليهود الاصلية واحدى اللغات السامية • اما اليدية (Yiddish) فهى فى اساسها اللغة الالمانية المستعملة فى العصور الوسطى ، والتى كان يتكلم بها يهود المانيا قبل انتشارهم فى أوربا الشرقية وامريكا ، وهى اليوم لغة اليهود من طائفة (آشكنازيم) التي ينتمي اليها يهود المانيا وبولونيا واوكراينا وبيلوروسيا وغاليسيا وروسيا • وتحتوي اليدية على كثير من المفردات العبرية (حوالى ٢٠ بالمائة) ونسبة اقل منها من لغات الاقطار التي وجد فيها اليهود • وكانت اللغة اليدية وما تزال لغة عدة ملايين من يهود العالم ، وقد أنتجوا بها أدبا غزيرا ، وآثارا في الشعر والقصة والرواية والادب المسرحي • وما تزال تصدر بها صحف كثيرة فى مختلف انحاء العالم • وهي تكتب بالاحرف العبرية •

(٢) ظهر بنتيجة احصاء السكان لسنة ١٨٩٧ ان نسبة الذين يحسنون القراءة والكتابة بين يهود روسيا كانت ٢٣ر٦ بالمائة ، وان ٩٧ بالمائة منهم أفادوا أن لغتهم الاصلية هى اليدية ، وواحد بالمائة فقط أفادوا أنها الروسية •

في فترات متعاقبة الى كثير من الاعتداءات والمذابح التى عرفت باسمها الروسي (Pogrom) ، وقد دخلت هذه الكلمة معظم اللغات الاوربية للدلالة على المذابح اليهودية فى روسيا .

ان تردّى أحوال اليهود الاقتصادية والاجتماعية، وتعقّد مشاكلهم، حدا بالسلطات الروسية الى تأليف لجان كانت ترسل من وقت لآخر الى المناطق اليهودية ، لدراسة أحوال سكانها ، وتقديم المقترحات لحل مشكلاتهم ، وقد تعاقب ارسال هذه اللجان حتى انهيار الحكم القيصرى[1] . ومع ذلك ، فقد استمر الاضطهاد الحكومى وبقى اليهود محرومين من معظم الحقوق المدنية وممنوعين عن ممارسة كثير من الاعمال ، والسكنى فى المناطق الروسية .

لقد أدى هذا الاضطهاد فى العهد القيصرى الى انضمام كثيرين من اليهود الى الحركات الثورية والجمعيات السرية ، فزاد ذلك فى حقد السلطات القيصرية عليهم ، وأدى الى اغضائها عن الاعتداءات الشعبية والمذابح التى كانوا يتعرضون لها بصورة متزايدة ، بل تشجيعها والتحريض عليها فى بعض الاحيان ، وذلك بقصد تحويل سخط الجماهير على الحكومة القيصرية ومساوئها الى تيار العداء نحو اليهود .

وقد ظهر من سجلات الشرطة القيصرية أن نسبة اليهود بين

(١) جاء فى تقرير احدى هذه اللجان ، فى سنة ١٨٤٤ ، ان اليهود لا يتعاونون مع الحكومة ، وانهم يعيشون حسب تعاليم التلمود ، ويعدون اقامتهم في روسيا نفيا ، وينتظرون ظهور المسيح المنتظر . انظر:
S. Dubnov, Istoricheskie soobshcheniya, *Knizhki Voskhoda,* April 1904, pp. 30-1

المعتقلين بسبب نشاطهم الثورى كانت ١٣ر٤ بالمائة بين سنتى ١٨٨٤ و ١٨٩٠ ، وأنها ارتفعت فى العقد التالي فأصبحت ١٨ر٧ بالمائة فى سنة ١٨٩٨ ، و ٢٤ر٨ بالمائة فى سنة ١٨٩٩[1] ، بينما كانت نسبتهم الى مجموع السكان ـ حسب احصاء السكان لسنة ١٨٩٧ ـ هى ٤ر١ بالمائة .

وارتفعت نسبة اليهود فى الحركات الثورية بعد ظهور الاشتراكية ـ الديمقراطية ونموها الى أكثر من ذلك ، حتى أبدى الكونت « ويته » وزير مالية روسيا لـ « هرتزل » أثناء زيارة هذا الاخير الى روسيا فى سنة ١٩٠٣ أن خمسين بالمائة من مجموع الثوريين فى روسيا كانوا من اليهود .[2] وكذلك قال « بليفه » يوم كان وزيرا للداخلية فى روسيا للسر « مكنزى والاس » ان سبعين بالمائة من جميع المجرمين السياسيين المعروفين لدى الشرطة هم من اليهود . ولكن «والاس» نقل ذلك بتحفظ ، قائلا ان « بليفه » ربما كان يفكر فى المناطق الغربية والجنوبية

(١) Chaim Abramsky, "The Biro-Bidzhan Project, 1927-1959" in *The Jews in Soviet Russia,* ed. by: Lionel Kochan, London, 1970, pp. 62-3

(٢) *The Diaries of Theodor Herzel,* ed. & tr. by: Marvin Lowenthal, London, 1956, p. 396.

ومما قاله « ويتّه » لهرتزل أيضا ان اليهود هم المسؤولون عن الشعور المعادى لهم فى روسيا « فهم يتميزون بالرعونة ، ومعظمهم فقراء ، وبالتالى قذرون ومكروهون ، وهم يمارسون أخس الاعمال ، كالقوادة والربا . ولذلك فان أصدقاء اليهود يجدون صعوبة كبيرة في الدفاع عنهم » .

وحدها »(١) .

وكتب نيقولاى الثانى ـ آخر قياصرة روسيا ـ فى احدى رسائله الى زوجته بعد ثورة سنة ١٩٠٥ ـ التى أعقبتها سلسلة من الاعتداءات على اليهود والمذابح فى أكثر من مائة مدينة فى « حظيرة التوطن » دمرت خلالها الاحياء اليهودية ـ قائلا : « ان تسعة أعشار المشاغبين يهود ، ولذلك انصب غضب الشعب عليهم »(٢) .

وفى المؤتمر السابع لحزب العمال الاشتراكى الديمقراطى الروسى الذى عقد فى لندن سنة ١٩٠٧ كان عدد المندوبين من الجناح المنشفى ٩٦ مندوبا بينهم ٢٢ يهوديا ، وعدد البلاشفة ١٠٥ بينهم ١٢ يهوديا(٣) .

وربما كان أقرب التخمينات الى الصحة ما جاء فى « دائرة المعارف السوفيتية الكبرى » نقلا عن المؤرخ البلشفي « بوكورفسكى » ان نسبة اليهود كانت تتراوح بين الربع والثلث فى جميع الحركات الثورية المنظمة(٤) .

وفى عشية ثورة شباط (فبراير) ١٩١٧ ألقى « لينين » محاضرة فى جنيف عن ثورة سنة ١٩٠٥ صرّح فيها :

« ان حقد القيصرية كان موجها ضد اليهود بصورة خاصة . فمن جهة ، كان اليهود يؤلفون نسبة عالية جدا من قادة الحركة

---

(١) Sir Donald Mackenzie Wallace, *Russia*, London, 1912, p. 716

(٢) *The Secret Letters of the Last Tsar*, (ed. by: E.J. Bing), New York, 1938, pp. 191-2

(٣) *Pyatyi s'ezd R.S.D.P.*, pp. 656-9

(٤) *Bolshaya Sovetskaya Entsiklopediya*, 1st ed., vol. 24, Moscow, col. 74

الثورية (بالقياس الى مجموع السكان اليهود) ، وبالمناسبة يجب أن يقال ـ وتلك مأثرة لهم ـ ان اليهود يؤلفون اليوم نسبة عالية من ممثلى التيار الأممي بالقياس الى الشعوب الاخرى . ومن جهة أخرى ، كانت القيصرية تعرف جيدا كيف تستغل أحط الاوهام ضد اليهود عند أشد فئات السكان جهلا ، وتنظم مذابح اليهود وان لم تقدها بنفسها ، وفى تلك الفترة بلغ عدد القتلى فى ١٠٠ مدينة أكثر من ٤ر٠٠٠ وعدد المشوهين أكثر من ١٠ر٠٠٠ »(١) .

وقد ساد الحركات اليهودية السياسية والثورية فى روسيا ـ بصورة عامة ـ اتجاهان ، أولهما اشتراكى ماركسى ، والثانى قومى ـ عنصرى . وقد تمثل الاتجاه الاول فى منظمة « البوند »(٢) ، بينما تجسد الثانى فى الحركة الصهيونية .

حاول « البوند » تنسيق نشاط منظمات العمال اليهود ، واشترك مع المنظمات الاشتراكية ـ الديمقراطية الروسية فى نضالها من أجل الاطاحة بالنظام القيصرى عن طريق الثورة ، اعتقاداً منه بأن الحل الامثل لمشكلة اليهود والقضاء على ما يعانون من تمييز واضطهاد ، يكمن فى تحريرهم سياسيا ، وأن الشعور المعادى لهم سيزول حتما

---

(١) لينين ، **المختارات** ، دار التقدم ، موسكو ، بدون تاريخ (باللغة العربية) المجلد ١ ، الجزء ٢ ، ص ٤٨٤ .

(٢) البوند BUND التسمية المختصرة لـ « اتحاد العمال اليهود العام فى ليتوانيا وبولونيا وروسيا » ، وهو أول حزب عمالى اشتراكى ـ ديمقراطى فى روسيا ، أسس فى سنة ١٨٩٧ وأصبحت له شبكة واسعة من العمال اليهود ومنظماتهم . وقد انحاز « البوند » الى جماعة « المنشفيك » بعد الثورة ، ومنع نشاطه فى خلال العشرينات .

بزوال الرأسمالية •

أما « الصهيونية » فقد رأت ذلك الحل فى تخصيص اقليم معين تهاجر اليه جماهير اليهود ، وتمارس فيه حياتها السياسية والقومية فى ظروف اجتماعية واقتصادية طبيعية • وبالرغم من وجود قلة من المعارضين ، فأن اغلبية الصهيونيين كانوا يلحون على أن تكون فلسطين مقرا لهذه الدولة •

وقد انتشرت فى روسيا جماعات « عشاق صهيون » التى كانت تمثل أول منظمة صهيونية بالمعنى الصحيح • وكان تأثير هذه الجماعات أوسع من غيرها من الجمعيات والمنظمات الصهيونية فى روسيا ، وهى التى مهدت السبيل لظهور «الصهيونية السياسية» فيما بعد ، ليس بنشر الفكرة الصهيونية بين يهود روسيا فحسب ، بل لانها أضفت على الفكرة الصهيونية مفهوما عقائديا ، واظهرت ـ من أتباعها ـ عددا من الكتاب والمحررين البارزين الذين وجهوا الحركة وصاغوا مباداها •

ان العلاقات بين الحركتين البوندية والصهيونية اتصفت منذ البداية بالخصومة الشديدة والعداء السافر • فقد طالب البوند باستقلال ذاتى ثقافى ـ قومى لليهود ، وآمن بوجود « أمة » أو « قومية » يهودية • ولكنه مع ذلك شجب الحركة الصهيونية بوصفها حركة رجعية وبرجوازية صغيرة ، ومحاولة لتحويل اهتمام الجماهير اليهودية عن النضال الطبقى الذى كان بنظرهم الوسيلة المثلى لانقاذ البروليتاريا اليهود •

أما الصهيونيون فقد حاربوا « البوند » لانهم كانوا خصوما للاشتراكية التى رأوا فى « أمميتها » قضاء على الشعب اليهودى ،

وخصائصه القومية •

وقد جمعت كلتا الحركتين أتباعا كثيرين من يهود روسيا • فكان أعضاء « البوند » فى البداية أكثر عددا من أعضاء الحزب الديمقراطى ـ الاشتراكى الروسى • ويقول « ديمانشتاين » ـ وهو يهودى وبلشفي قديم لم ينتم الى اى حزب يهودى ـ انه كان للبوند حوالى ٣٠ر٠٠٠ عضو فى سنة ١٩٠٠[1] ، كما قدر أحد المؤرخين اليهود أن عدد أعضاء الحركة العمالية اليهودية قد بلغ ٧٠ر٠٠٠ عضو •[2]

وكذلك أصبحت الصهيونية قوة لها أثرها الملحوظ فى حياة اليهود فى روسيا ، وقد ظهر فى سنة ١٩١٨ ـ حين وجدت الحركة الصهيونية المجال للعمل بصورة مكشوفة لفترة قصيرة ـ أن هناك ما لا يقل عن ١ر٢٠٠ جماعة من جماعات « عشاق صهيون » وغيرها من المنظمات اليهودية المحلية • ويقدر « بارون » أن مجموع أعضاء هذه الجماعات كان حوالي ٣٠٠ر٠٠٠[3] ، وقد لا يخلو ذلك من شيء من المبالغة •

وكان « لينين » منذ البداية يختلف اختلافا أساسيا مع كل من

---

(١) Alfred A. Greenbaum, "Soviet Jewry during the Lenin-Stalin Period", in *Soviet Studies*, Oxford, April, 1965, vol. XVI, No. 4, p. 406

(٢) *Doklad Internatsionalnovo Sotsialistichesko Kongress v Amsterdam*, Geneva, 1904, p. 14

(٣) Salo W. Baron, *The Russian Jew under Tsars and Soviets*, New York, 1964, p. 208

البونديين والصهيونيين فى كيفية حل المشكلة اليهودية .

فقد كان « البوند » يطالب بالاستقلال الذاتى الثقافى ـ القومى لليهود بعد الثورة ، وكان فى ذلك متأثرا بنظريات بعض الماركسيين ، كالنمساوى « اوتو باور » الذى كانت تدور فى ذهنه مشاكل القوميات المشتتة فى الامبراطورية النمساوية ، ولكن « لينين » رفض هـذه الفكرة ودعا الى مبدأ « حق الأمم فى تقرير مصيرها » .

وقد لا يبدو الفرق بين النظريتين كبيرا أو واضحا فى الوهلة الاولى ، ولكن المقصود بهما فى الواقع كان مختلفا جدا . فالاستقلال الذاتى الثقافى ـ القومى يستهدف قيام وحدات ثقافية تمثل القوميات والجماعات القوميـة المختلفة ضمن اطار الدولة الواحدة . أمـا شـعار « حق الأمم فى تقرير مصيرها » فيستهدف تحرير كل الأمم المظلومة ، واقامة علاقات أخوية بين الأمم ، مبنية على ضرورة وحدة الكادحين من أبناء هذه الأمم ، من أجل تحريرهم .[1]

وكان « لينين » يرى أن اليهود لا يؤلفون « أمة » وقد أبدى أن اضفاء هذه الصفة عليهم رجعية من الناحية السياسية ، ومغلوطـة من الناحية العلمية .

ففى رجعية « لا عندما يدعو لها دعاتها الصرحاء (الصهيونيون) ، ولكنها كذلك عندما تصدر عن اولئك الذين يحاولون تكييفها مـع الافكار الديمقراطية ـ الاجتماعية (البونديون) . ان فكرة القومية اليهودية تناقض مصالح البروليتاريا اليهودية ، لانها تبعث فى صفوفها

(١) ناجى علوش ، **الماركسية والمسألة اليهودية** ، بـيروت ، ١٩٦٩ ، ص ٢٤ـ٢٥ .

ـ بصورة مباشرة أو غير مباشرة ـ روحا معادية للتمثل (الاندماج).. روح الغيتو » .[1]

وهى مغلوطة ، لان الامة يجب أن يتوافر لها عنصران لا بـد منهما ، وهما : أرض تتطور عليها ، ولغة مشتركة ، ولا يتوافر فى اليهود أى من هذين العنصرين .

وقد ألح لينين على أن الثقافة القومية يجب أن تقوم على اساس التقارب الاقليمى ، وشرح « ستالين » هذا المبدأ بتفصيل أكبر فيما بعد فى كراسته المشهورة « الماركسية والمسألة الوطنية » التى نفى فيها أيضا صفة الامة عن اليهود طالما لم يكن لهم اقليم قومى ، وكان تعريفه للامة أنها «جامعة أناس ثابتة تألفت تاريخيا ، ونشأت على أساس جامعة اللغة والارض والحياة الاقتصادية والخصائص النفسية التى تتجلى فى جامعة الثقافة » .[2]

وذهب لينين فى كتاباته ، وستالين فى كراسته ، الى أن يهـود روسيا سيمرون بنفس عملية « الاندماج » أو « الانصهار » التى كان يهود أوروبا يمرون بها فى ذلك الوقت . ولما كان هذا الاندماج يرافق التصنيع ، فانه كان بنظرهما ظاهرة تقدمية .

وكذلك كان تروتسكى (اليهودى) من القائلين بضرورة اندماج اليهود فى المجتمعات التى يعيشون فيها ، وهو لم ير لهم مستقبلا اذا

(١) Lenin, *Collected Works*, Vol. 7, Progress Publishers, Moscow, p. 101

(٢) ستالين ، **الماركسية والمسألة الوطنية** ، دار الطبع والنشر باللغات الاجنبية . موسكو ، ١٩٥٢ ، ص ١١ .

كونوا مجتمعا منفصلا • وكان يرى أن حل « المشكلة اليهودية » ليس فى تأسيس دولة يهودية ، ولا هو فى تأسيس دول يهودية ضمن دول أخرى غير يهودية ، وانما فى تركيب المجتمع تركيبا أمميا متماسكا ، وقد هاجم تروتسكي الحركة الصهيونية ، كما هاجم « البوند » وكان المقال الذى كتبه فى جريدة « ايسكرا » الصادرة فى كانون الثاني (يناير) ١٩٠٤ يحتوى على هجوم شديد على الصهيونية •

ولما حدثت ثورة شباط (فبراير) سنة ١٩١٧ ونجحت فى الاطاحة بالنظام القيصرى ، رحب بها اليهود وتحمسوا لها ، لعلمهم ان القيود المفروضة عليهم سترفع ، وما يعانون منه قد انتهى • وكان من أول المراسيم التى أصدرتها « الحكومة الموقتة » التى تولت الحكم على أثر تلك الثورة ، هو المرسوم الذى ألغت به « كل القيود التى فرضتها القوانين القائمة حتى الان على حقوق مواطنى روسيا على أساس الدين والمعتقد والقومية » •[1]

وازدادت حماسة اليهود أكثر من ذلك حين استولى البلاشفة ، بقيادة لينين ، على السلطة بعد نجاح ثورة اكتوبر فى السنة ذاتها •

وقد أعادت الحكومة السوفياتية ، على أثر نجاح ثورة اكتوبر ، تنظيم الدولة وفقا لشعار « حق الامم فى تقرير مصيرها » ، ذلك الشعار الذى طالما نادى به لينين قبل الثورة •

وكان المؤتمر الاول للسوفيات ، الذى عقد فى حزيران ١٩١٧ ،

(١) *Sbornik ukazov i postanovlenii Vremennogo Pravitel'stva*
(المجموعة الرسمية لمراسيم ومقررات الحكومة الموقتة) القسم الاول ، ١٢ مارت ــ ١٨ مايس ، ١٩١٧ ، طبع بتروغراد (بالروسية) ص ٨ •

قد أعلن حقوق « شعوب روسيا » فى تقرير المصير ببيان جاء فيه :

« •• لن يبقى سوى شعوب روسيا ، التى قاست وتقاسى الظلم والتحكم ، والتى يجب أن يبدأ تحريرها حالا ، وينفذ بعزم وبصورة مؤكدة • فقد كانت شعوب روسيا فى العهد القيصرى يستثار بعضها ضد بعض • ونتائج مثل هذه السياسة معروفة : المذابح والبوغرومات (الاعتداءات الجماعية على اليهود) من جهة ، واستعباد الشعوب من جهة أخرى •

« لايمكن أن تكون ولن تكون هنالك عودة الى هذه السياسة الشائنة ••• »[1]

وأكد المؤتمر الثانى للسوفيات ، فى تشرين الثانى (نوفمبر) من السنة ذاتها ، هذه الحقوق بصورة جازمة •

وتنفيذا لارادة هذين المؤتمرين قرر مجلس قوميسارى الشعب (مجلس الوزراء) اتخاذ المبادىء الآتية أساسا لسياسته فى مسألة القوميات :

(١) المساواة بين شعوب روسيا ، وسيادتها •

(١) John Reed, *Ten Days that Shook the World,* London, 1961, p. 306

الترجمة العربية لهذا الكتاب (بقلم فواز طرابلسي ــ منشورات دار الطليعة ــ بيروت) ليست دقيقة فى أداء هذا المعنى ، فهى تكتفي بالقول « •• المجازر والمذابح من جهة ، وعبودية الشعوب من جهة اخرى » (ص ٤٢٥) غافلة عن معنى كلمة « بوغروم » الواردة فى الاصل ، والتى تدل على الاعتداءات الجماعية والمذابح الموجهة ضد اليهود على وجه التخصيص ، وتستعمل فى الغالب لتلك التى وقعت فى روسيا واوكرايينا فى العهد القيصرى •

(٢) حق شعوب روسيا فى تقرير المصير بحرية ، حتى الى حد الانفصال وتكوين دولة مستقلة .

(٣) الغاء جميع الامتيازات والقيود القومية ، والقومية الدينية .

(٤) التنمية الحرة للأقليات القومية والجماعات الاثنوغرافية التى تقطن اقليم روسيا .[١]

ان انتصار البلاشفة وتسلمهم الحكم فى روسيا لم يسفر عن تطبيق سياسة « اندماج اجبارى » على اليهود . بل كان تأكيدا لسياسة حق الامم فى تقرير مصيرها . وكان « نداء السلام » الذى وجهه لينين الى حكومات الدول المتحاربة وشعوبها أول وثيقة تعبر عن هذا الاتجاه السياسى بعد الثورة مباشرة . وقد رفض هذا النداء الضم القسرى ، وأيد حق « الامم » فى تقرير مصيرها بصراحة .[٢]

وبالرغم من ان تصريحات لينين وستالين قبل الثورة (بعدم اعتبار اليهود امة) لم تكن نسيت ، فان السياسة التى سارت عليها الحكومة الجديدة كانت ترك حرية « الاندماج » لمن يختاره من اليهود ،والحفاظ على صفتهم اليهودية ولغتهم « اليدية » لمن يفضلون ذلك .

ويرى بعض الباحثين الذين يكتبون عن هذا الموضوع أنالسياسة السوفيتية نحو اليهود كانت فى جميع الاوقات سياسة « اندماج » أو ـ بعبارة أدق ـ سياسة « دمج » ، وأن مظاهر التساهل فى هذا الشأن لم تكن أكثر من مواقف موقتة يتخذها نظام حكم جديد يحتاج الى تأييد داخلى ودعم خارجي . ولكن لا يمكن التأكد من هذه الناحية

(١) *Ibid.*, p. 219

(٢) انظر نص النداء فى : *Ibid.*, p. 105

حتي تفتح الوثائق السوفيتية . والمصادر المتوافرة حتى الان لا تدل على سياسة « دمج » اجبارية ، بل على سياسة حياد . أما خلال الفترة المبكرة من الحكم السوفيتي فيمكن وصفها بسياسة محايدة تتضمن شيئا من العطف أو الميل الى المساعدة .[١]

والسبب فى ذلك هو أن « التمثل » أو « الاندماج » الذى كان يتحدث عنه لينين قبل الثورة هو اندماج طوعي ، وليس مفروضا بالقوة ، وأن فرض انصهار قسرى على اليهود أو غيرهم كان فى الواقع مناقضا لمبادىء لينين . وبالاضافة الى ذلك فقد كان موقف الحكومة البلشفية من القوميات التى كانت خاضعة للامبراطورية الروسية هو تنميتها من الناحيتين الثقافية والسياسية . ولذلك اهتمت الحكومة السوفيتية ببعث قوميات شبه منقرضة ، وانشاء جمهوريات وحكومات لشعوب شرقية متخلفة مثل التتر والباشكير والقيرغيز .[٢] وقد أعلن ستالين فى المؤتمر العاشر للحزب فى سنة ١٩٢٠ « أن الحزب الماركسى اذ يؤمن (برسوخ الامم واللغات القومية) فهو (ينبذ سياسة التمثل والدمج القومى نبذا تاما بوصفها سياسة معادية للشعب ومعادية للثورة) » .[٣]

وكان اليهود من جملة الجماعات التى حاولت الحكومة الجديدة أن تتيح لها فرصة النمو قوميا ضمن الدولة الاشتراكية . وبالرغممن

(١) Greenbaum, *op. cit.*, p. 407

(٢) ناجي علوش ، **الماركسية والمسألة اليهودية** . بيروت ، ١٩٦٩ ص ٣٤ — ٣٥ .

(٣) الياس مرقص « مسألة القوميات فى الاتحاد السوفيتي » مجلة **دراسات عربية** ، السنة الاولى ، مارت ١٩٦٥ ، العدد ٥ ، ص٢٦ .

أن اليهود لم يكونوا «أمة» فى رأي لينين وستالين ، فقد حاولت الحكومة البلشفية اعتبارهم قومية خاصة ، ومنحهم الحق الذى منح لغيرهم : حق الوجود القومى ، ضمن بعض الحدود الخاصة الناتجة عن عدم تجمعهم فى تكتل بشرى واحد .[١]

ان انتصار البلشفية ورفع القيود السياسية والاجتماعية عن اليهود، ومنحهم صفة « القومية » ، لم يكن معناه حل المشكلة اليهودية ، بل أدى الى ظهورها فى صورة جديدة ، وكانت فى هذه المرة ناجمة عن طبيعة الاعمال التى تمارسها الاغلبية الساحقة منهم .

كان معظم اليهود قبل الثورة يمارسون التجارة والصيرفة ، أو يمتلكون مخازن صغيرة ، أو يعملون فى بعض الحرف والصناعات اليدوية ، كالخياطة وصناعة الاحذية وتصليحها وما أشبه ، وذلك بسبب ميلهم الطبيعى الى تلك الاعمال من جهة ، ومنع الحكومة القيصرية اياهم عن ممارسة كثير من الوظائف والاعمال (أو تحديد نسبتهم فيها) وكذلك عن تملك الاراضى ، وحصرها اقامتهم فى مناطق معينة — من جهة أخرى . وكان عددهم بين عمال المصانع قليلا — نسبيا — وأقل من ذلك فى الاعمال الزراعية . فلما تولت الحكومة الجديدة الحكم ، وطبق النظام الشيوعي ، الغيت التجارة الخاصة والصناعة الفردية ، ففقد معظم اليهود موارد كسبهم بصورة مفاجئة ، وبدون فترة انتقال تتيح لهم الفرصة لايجاد أعمال جديدة يعيشون منها ، ولم يتمكن ذلك العدد الكبير الذى تعطل منهم فجأة من ايجاد أى مورد جديد للكسب .

(١) ناجى علوش ، المرجع سالف الذكر ، ص ٣٥ .

ولذلك فان الثورة البلشفية وان رفعت عن اليهود كثيرا من القيود المفروضة عليهم سابقا ، ومنحتهم حقوقا سياسية وثقافية متساوية مع المواطنين الآخرين ، فانها من ناحية أخرى سدت فى وجوههم كثيرا من أبواب الكسب التى درجوا عليها منذ أجيال . وهذه هى « المشكلة اليهودية » التى واجهتها الحكومة السوفيتية فى صورتها الجديدة ، وهى مشكلة لم تكن أقل تعقيدا عما كانت عليه فى العهد القيصرى ، وربما كانت أصعب منها حلا .

وقد تمكن عدد من اليهود من ايجاد أعمال فى المصانع ، وارتفع عدد العمال الصناعيين اليهود من ١٥٠٫٠٠٠ فى وقت الثورة ، الى أكثر من نصف مليون بعدها ببضع سنوات ، فكان على الحكومة السوفيتية أن تبحث عن حل لمشكلة بقية اليهود المتعطلين ، فالتمست هذا الحل فى تحويلهم الى الاعمال الزراعية ، وتوطينهم فى الارياف والمزارع .

وقد استحدثت الحكومة السوفيتية فى بداية تشكيلها قوميسارية (أو وزارة) لشؤون القوميات ، مهمتها معالجة المشاكل المتعددة والمتنوعة للقوميات الكثيرة التى تعيش فى الاتحاد السوفيتي . وكانت هذه أول وزارة من نوعها فى التاريخ ، وقد عين لها — كرمز لمهمتها — وزير من احدى الاقليات القومية ، وهو الجورجي « جوزيف ستالين » .

وأسست هذه الوزارة الجديدة ادارة خاصة ، أو قوميسارية فرعية ، لمساعدة اليهود ، ومعالجة المشاكل الكثيرة المتعلقة بهم ، عرفت باسم القوميسارية اليهودية « يفكوم » Yevkom ،[١] واختير لرئاستها،

(١) « يفكوم » تسمية مختصرة منحوتة من الكلمتين الروسيتين « يفريسكي » (أي : اليهودية) و « كوميساريات » (أي : القوميسارية ، أو الوزارة) .

باقتراح من زعماء اليهود أنفسهم ، البلشفي اليهودي « سـيمين ديمانشتاين » •

أما على الصعيد الحزبي ، فقد انشئت « فروع يهودية » ، ملحقة باللجنة المركزية للحزب الشيوعي عرفت باسمها الروسي المختصر « يفسكتسيا » •[١]

وكان موقف هذه « الفروع اليهودية » بصورة عامة مناهضـا للصهيونية ، ومعارضا لاستعمال اللغة العبرية ، وكان رؤساء هـذه الفروع أقسى في محاربتهما وقمعهما من أية سلطة أخرى • ويـرى الاستاذ « كار » أن موقف الشيوعية من الصهيونية قد أثرت فيه منذ البداية الخصومة التي كانت قائمة بين الاشتراكيين ـ الديمقراطيين الروس نحو الصهيونية ، وأن هذه الخصومة كانت ، الى حد ما ، موروثة من البونديين •[٢]

السياسة الاقتصادية الجديدة

خرج الاتحاد السوفيتي من « حرب التدخل » التي أستمرت أربع سنوات ، والحرب الاهلية التي دامت ثلاث سنوات ، منتصـرا عسكريا وسياسيـا ، ولكنه كان محطما اقتصاديا • فقد اجتاحت البلاد من أقصاها الى أقصاها ثلاثة جيوش متحاربة (الجيش الاحمـر ، والحرس الابيض ، والجيوش الاجنبيـة) واسـتنفدت الحرب كل

(١) Evreiskie Kommunisticheskie sektsii

(٢) E.H. Carr, *A History of Soviet Russia: The Bolshevic Revolution*, London, 1964, vol. 3, part II, p. 652.

قواها ، وزعزعت كيانها الاقتصادي الذي كان متداعيا قبل وقوعها • وأدت معارضة الفلاحين لسياسة الحكومة في الاستيلاء الاجباري على فائض المواد الغذائية ، ومنع التجارة الخاصة ، الى زوال مصلحتهم في انتاج الحبوب بكميات أكثر من حاجتهم الخاصة ، مما أدى الى انخفاض الانتاج الزراعي الى مستوى أقل بكثير من احتياجات البلاد ، حتى كان الانتاج الزراعي في عام ١٩٢٠ قد هبط الى نصف ما كان عليه قبـل الحـرب •

وكذلك تدهور الانتاج الصناعي ، وشحت المواد الخام والوقود ، وتعطلت معظم وسائط النقل ، وبلغ هبوط الانتاج الصناعي في عام ١٩٢٠ الى ١٣٫٢ بالمائة مما كان عليه في ١٩١٣ ، واتجهت البلاد الى حالة مخيفة من الفقر •[١]

لقد أدت هذه العوامل ، بالاضافة الى الاعاصير والفيضانات التي منيت بها البلاد في سنتي ١٩٢٠ و ١٩٢١ الى ركود الحركة الاقتصادية الى حد كبير ، والى مجاعات قاسية ، قدرت خسائرها في الارواح بخمسة ملايين شخص ،[٢] وهو عدد يوازي ضعف خسائر روسيا في الحرب العالمية • ولا شك أن هذه الخسائر كانت ستزيد عن ذلك

(١) **تاريخ اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية ـ موجز** (تأليف بريسوف وآخرين ـ ترجمـة طه صواف) موسكو (بدون تاريخ) ص ٣٠٧ ـ ٣٠٨ •

(٢) قدر « ريازانوفسكي » أن ضحايا الحرب والمجاعـات والاعدامات والخراب الاقتصادي والاجتماعي العام قد بلغ عددهـم ما يقرب من ٢٠ مليونا •
(Nicolas V. Riasanovsky, *A History of Russia,* New York, 1963, p. 540)

لولا المساعدات التى تلقتها روسيا من الخارج ، ولاسيما من الولايات المتحدة •[١]

ان الخراب ، وسوء التنظيم ، والفوضى ، والمجاعات ، كانت التركة التى خلفتها الحرب الاهلية لبلاد لا تزال تئن من خسائر الحرب العالمية •

وقد ظهرت آثار الاستياء بين بعض قطاعات الشعب الروسي نحو النظام الذى عرف باسم « شيوعية الحرب »[٢] في سلسلة من انتفاضات الفلاحين واضطرابات العمال[٣] • واخيرا حدثت فى بداية آذار سنة **١٩٢١** انتفاضة خطيرة فى القاعدة البحرية فى

(١) ان المنظمات التى اهتمت بالامر بالدرجة الاولى هى « ادارة المعونة الامريكية » (ARA) التى كان يرأسها « هربرت هوفر » – الرئيس الامريكى السابق – و « الكويكرز » ، وكان حجم مساعدات المنظمة الاولى ٢٣١ر٥٦٦ر٦١ دولار ، وقد أرسلت الى روسيا ٧٧٠ر٧١٨ طنا من المواد • وفي شهر آب (أغسطس) سنة ١٩٢١ بلغ عدد الذين يحصلون على الطعام منها أكثر من ١٠ ملايين شخص يوميا •

(George Vernadsky, *A History of Russia*, New Havan, 1964, p. 322)

(٢) « شيوعية الحرب » : الاسم الذى عرفت به سياسة الحكومة السوفيتية – الاجتماعية والاقتصادية – بين سنتي ١٩١٨ و ١٩٢١ ، وكان لها هدفان : دعم جهود البلاشفة خلال الحرب الاهلية ، وتحقيق الانتقال الى الشيوعية • ومن الناحية العملية شهدت تلك الفترة تاميم الصناعة والتجارة ، وجعل اجور العمال والمستخدمين عينية ، واجبار المزارعين على تسليم منتجاتهم من المواد الغذائية الى الحكومة ، وفرض العمل الاجبارى على الطبقة البرجوازية • وكانت فترة صارمة ، وانتهت اخيرا بتبني « السياسة الاقتصادية الجديدة » •

(٣) بريسوف وآخرون ، المرجع سالف الذكر ، ص ٣٠٧–٣٠٨ •

« كورنستاد » بين بحارة الاسطول الروسي ، وكانت القوات البحرية الموجودة في تلك القاعدة من أقوى دعائم الثورة البلشفية ومفاخرها • وكانت المطالب الرئيسية التى تقدم بها الثوار عقد الجمعية التأسيسية، واعادة حرية التجارة ، بل ان الشعار الذى رفعوه كان : « سوفيتات بلا شيوعية »[١] وبالرغم من أن الانتفاضة قمعت سريعا بواسطة القوات المسلحة ، فان السلطات السوفيتية رأت فيها بادرة تنذر بالسوء •

وأدرك لينين ، بما اوتي من حس سياسي مرهف ، خطورة الموقف ، فقرر أن يدعم الاجراءات القمعية بتحول أساسي فى سياسة الحكومة يكون من شأنه الحد من الاستياء المتفاقم • وكان ينظر الى الحالة في البلاد نظرة واقعية ، وقال في المؤتمر العاشر للحزب الشيوعي المنعقد فى آذار سنة **١٩٢١** : « اننا في حالة من الفقر والخراب ونضوب القوات المنتجة للعمال والفلاحين بحيث ان كل شيء يجب ان يطرح جانبا في سبيل زيادة الانتاج » ، وبذلك التصريح دشن لينين «السياسة الاقتصادية الجديدة» لتحل محل «شيوعية الحرب» ، وقد صارت تلك السياسة تعرف فيما بعد بالتسمية المختصرة « نيب » NEP[٢]

كانت هذه السياسة تساهلا ، وتراجعا موقتا ، او كما وصفها البعض « تراجعا ستراتيجيا » عن طريق الاشتراكية ، وهكذا قدمها لينين وقال انها خطوة الى الوراء لتحقيق خطوتين الى الامام ، وتمكن من استحصال موافقة الحزب عليها ، بالرغم من المعارضة الشديدة من جانب بعض العناصر العقائدية المتطرفة •

(١) Riasanovsky, *Op. cit.*, p. 451 ؛ بريسوف ، المرجع السابق •

(٢) Novaya Ekonomicheskaya Politika

لقد احتفظ الحزب الشيوعي بالسيطرة الكاملة طبعا ، ولم يمتد التساهل الى السياسة العليا • وحتى فى الشؤون الاقتصادية استبقت الدولة سيطرتها الكاملة على « المرتفعات القيادية » ـ أى على الصناعات الكبيرة والمتوسطة وعلى التجارة الخارجية ، وتجارة الجملة • ومع ذلك ، فقد استعانت هذه السياسة بالحافز الفردى ، وسمحت بالاستثمار الخاص فى الصناعات الصغيرة والحرف ، وتجارة المفرد • اما التغير فى سياسة الحكومة نحو الفلاحين فربما كان أهم من ذلك جميعا ، فبدلا من الاستيلاء على جميع فائض الانتاج الزراعى ـ كما كان المتبع خلال فترة « شيوعية الحرب » ـ فرض النظام الجديد ضريبة نسبية محدودة (كانت عينية فى البداية ثم اصبحت مالية) واصبح بامكان الفلاحين ، بعد دفع الضريبة المقررة ، التخلص من المنتوجات الزائدة عن حاجتهم بالطريقة التى يختارونها ، أى بيعها فى السوق الحرة • وكان ذلك حافزا كبيرا شجعهم على زيادة الانتاج • وبعد ذلك سمحت بتشغيل الفلاحين بالاجرة (بنطاق محدود) ، وتأجير الاراضي الزراعية ضمن قيود معينة • كما عالجت الحكومة ، بموجب « السياسة الاقتصادية الجديدة » النظام المالى ورسخته ، ووضعت للعمل قوانين جديدة من شأنها اعادة الاستقرار الى المجتمع •

لقد حققت « السياسة الاقتصادية الجديدة » نجاحا عظيما ، وأسفرت عن نتائج ايجابية محسوسة • فقد زاد الانتاج الزراعى بعد تطبيقها ، واتسعت مساحة الاراضي المزروعة ، وعادت الصناعة الى مستوى ما قبل الحرب • اما فى المدن فقد انتعشت التجارة الصغيرة ، بل انها ازدهرت ازدهارا عظيما •

وكان اليهود المستفيدين الرئيسيين من « السياسة الاقتصادية الجديدة » فى المدن ، حيث عاد كثيرون منهم الى تجارتهم الصغيرة ، وحرفهم اليدوية ، وصناعاتهم الصغيرة ، فتحسنت أحوالهم الاقتصادية تحسنا كبيرا ، وأثرى بعضهم من ورائها •

وكان من نتائج «السياسة الاقتصادية الجديدة» ظهور طبقة جديدة فى روسيا لقبت « رجال النيب » ـ نسبة الى N E P ـ وكانت هذه التسمية تعد مهينة ، وتطلق على الذين استفادوا من الفرص التى أتاحتها تلك السياسة فى ميادين الاستثمار الخاص فى التجارة والصناعة • وكان من المظاهر البارزة فى ذلك العهد انتقال حوالى ٧٥ بالمائة من تجارة المفرد الى القطاع الخاص •[١] وكان يقابل طبقة « رجال النيب » فى المدن طبقة « الكولاك » [٢] فى الارياف ، وهم

(١) Riasanovky, *op. cit.*, p. 542

(٢) « الكولاك » : كلمة روسية معناها الحرفى « قبضة اليد المضمومة » ، وكان يوصف بها قبل سنة ١٩١٧ التجار البخلاء الذين يطبقون على ارباحهم بحرص زائد ، والفلاحون الذين مكنهم تفوقهم المادى على غيرهم من استغلال عمل الغير او استئجار الاجراء او السيطرة على زملائهم عن طريق الربا او غير ذلك من الطرق • وقد استعمل هذا التعبير فى الدعاية الشيوعية بعد سنة ١٩١٧ للدلالة على المزارعين الاغنياء نسبيا ، والذين حرموا من الحقوق الانتخابية ، واخضعوا لضرائب ثقيلة ، وكانت تحمل معنى الاستغلال والجشع ، وصارت تطلق على الذين رفضوا الانتماء الى المزارع التعاونية • وقد تبنت الحكومة السوفيتية فى سنة ١٩٢٧ اجراءات معينة لتقييد الكولاك • وقد أدت سياسة تصفية طبقة الكولاك الى اختفاء اكثر من خمسة ملايين عائلة زراعية ، حيث نفي المزارعون من تلك الطبقة اما الى المعسكرات الاصلاحية ، او الى ما سمي بالمستوطنات الخاصة فى انحاء نائية من البلاد •

المزارعون الاغنياء •

ان هذه النتائج الاجتماعية للسياسة الاقتصادية الجديدة أقلقت الشيوعيين بطبيعة الحال ، فأعلن مؤتمر الحزب الشيوعى الحادىعشر في سنة **١٩٢٣ أنه لا يمكن احتمال** مزيد من « **التراجع** » ، **وأدخلت** الحكومة فى سنتى **١٩٢٤** و **١٩٢٥ اجراءات معينة لتقييد الطبقة التى** دعيت « رجال النيب » ، وفى سنة **١٩٢٧** لتحديد « الكولاك » • وتعرضت هاتان الطبقتان الى كثير من التميز والاضطهاد (كحرمان افرادها من الحقوق الانتخابية ، والتميز فى المحاكم ، وفى قبول اطفالهم فى المدارس وغير ذلك) • وبعد انتهاء فترة « السياسة الاقتصادية الجديدة » والانتقال الى مرحلة البناء الاشتراكىالايجابى ، صودرت أموال « رجال النيب » ونفي **كثيرون منهم الى معسكرات** العمل الاجبارى • [١]

ولذلك فان اليهود ، بالرغم من أنهم كانوا المنتفعين الرئيسيين من « السياسة الاقتصادية الجديدة » ، فانهم ربما **كانوا أيضا أكثر** من قاسوا من نتائجها ، لان طبقة « رجال النيب » **ضمت بطبيعةالحال** نسبة مرتفعة من اليهود •

وقد قدر استنادا الى بعض الادلة أن **١ر١٢٠ر٠٠٠ يهودى** اضطروا الى غلق تجارتهم الصغيرة ، وبذلك **زادوا فى عدد العاطلين** عن العمل • **واتجه معظم هؤلاء اليهود الى التعامل في السوق**

---

(١) فى فترة « التطهير الكبير » ـ فى الثلاثينات ـ كان من المآخذ **الخطيرة على المواطن السوفيتى ان يكون** احد اقربائه من « **رجال النيب** » •

السوداء ـ مع مخاطره الكبيرة ـ **أو الهجرة الجماعية** من أماكن تركزهم ـ فى اوكرانيا وبيلوروسيا ـ الى داخل روسيا ، وخاصة **الى المدن الكبيرة** كموسكو ولينينغراد وكييف وخاركوف وغيرها •• **والعمل فى المشروعات** الصناعية الجديدة التى بدأت فيها ، أو فى وظائفالجهاز الحكومي • وقد غادر القرى اليهودية الصغيرة التقليدية المعروفة باسم (Shtetle) فى تلك الفترة أكثر من نصف مليون يهودى هاجروا الى المدن ، وكانت تلك أكبر حركة هجرة داخلية منذ التدفق اليهودى الى أمريكا فى نهاية القرن السابق •

أما جمهور اليهود المتبقين فى منطقة « حظيرة التوطن » ، فكان **الفقر مخيما عليهم** والبطالة سائدة بينهم ، **حتى بلغت نسبة اليهود** **المتعطلين غير** المنتجين نحو **٣٢ر٣** بالمائة من مجموع اليهود فىالبلاد •

الفصل الثاني

توطين اليهود في الأراضي الزراعية

المحاولات الاولى

كان من أهم عناصر السياسة الزراعية للحكومة السوفيتية بعد تسنمها الحكم احياء عمليات الهجرة الداخلية والتوطين ، تلك العمليات التى بدأت فى العهد القيصرى منذ الغاء نظام القنانة .

فقد شهدت الفترة بين سنتي ١٨٦١ و١٨٩٠ موجات من هجرة الفلاحين ـ على نطاق صغير وبصورة غير منظمة ـ من المناطق المزدحمة الى منطقة الفولغا والقفقاس الشمالى ، ثم سيبيريا . وكانت هذه بداية حركة جديدة فى روسيا . فقد كان السكان الاوربيون فى المناطق الآسيوية من الامبراطورية الروسية يتألفون بصورة رئيسية من المنفيين لاسباب سياسية أو جنائية ، ورجال الحكومة من مدنيين وعسكريين ، والتجار الذين يقصدونها لاستغلال الثروات الطبيعية أو الاتجار مع السكان المحليين . اما الان فكانت الاسس توضع للمرة الاولى لسياسة مدروسة ترمي الى تخفيف ضغط السكان عن روسيا الاوربية من جهة وفتح مجالات جديدة للاستفادة من أراضي آسيا الخصبة من جهة أخرى .

وقد اكتسبت هذه السياسة اهميتها القصوى بالشروع فى تشييد الخط الحديد عبر ــ سيبيريا فى سنة ١٨٩١ ، وهو مشروع املتــه بالدرجة الاولى اعتبارات ستراتيجية ، ففى سنــة ١٨٩٢ ألف رئيس الوزراء « الكونت ويته » لجنة خاصة لانجاز المشروع ، وكان من جملة واجباتها تشجيع الاسكان والتوطن فى المناطق التى يمر بها ذلك الخط . وقد اتسعت هذه المهمة فيما بعد الى درجة استوجبت انشاء ادارة خاصة بها فى وزارة الداخلية . ومنذ ذلك الوقت ، بدأت عمليات الهجرة الى سيبيريا تنظم على نطاق واسع ، وترصد لها مبالغ كبيرة فى الميزانيــة العامة . وفى السنوات العشرين بين ١٨٨٥ و١٩٠٥ هــاجر حوالى ٠٠٠ر٨٨٥ر١ من الفلاحين عبر اورال ، وفى الســنوات بين ١٩٠٦ و١٩١٣ كان مجموع المهاجرين قد بلغ ٠٠٠ر٢٧٤ر٣ شخصا[1] .

اتجهت عمليات الهجرة والتوطــين ــ بالدرجــة الاولى ــ الى سيبيريا بسبب بناء السكة الحديد الجديدة . وبين سنتي ١٨٩٦ و١٩١٤ استقر مليونان وربع المليون من المهاجرين فى سيبــيريا غربى بحيرة « بايكال » و ٠٠٠ر٣٥٠ فى الشرق الاقصى . وكانت هاتان المجموعتان الرئيسيتان تؤلفان اكثر من ٧٠ بالمائة من مجموع المهاجرين .

ان قيام النظام السوفيتي الذى كان يؤكد على حق تقرير المصير

---

(١) انظر خلاصة وافية لهذه الهجرة مع جداول احصائية فى :
Entsiklopedicheskii Slovar' Russkogo Bibliograficheskogo Instituta Granat, XXX. هذا وقد هاجر خلال الفترة بين ١٩٠٦ و ١٩١٤ اكثر من ثلاثة ملايين من رعايا روسيا الى امريكا الشمالية والجنوبية . وكانت اغلبية هؤلاء ــ على النقيض من المهاجرين الى روسيا الاوربية ــ ممن ينتمون الى الاقليات القومية بينهم نسبة كبيرة من اليهود .

للاقليات القومية فى الامبراطورية الروسية ، وشجب كل اعمال النظام القيصرى ، احدث ردة فعل قوية ضد فكرة توطين الروس فى آسيا . حتى ان المستوطنين الروس الذين جــاءوا مؤخرا الى تركســتان وكازاخستان والقفقاس الشمالى صاروا يطردون منهــا ، وفى بعض الحالات يقتلون بأيدى السكان المحليين .

وكان الاعتقاد السائد هو ان حاجة الفلاحين الملحة الى الارض يمكن سدها بتوزيع اراضى الاقطاعيين عليهم . وقد قضى هذا الاعتقاد على الحافز الى مزيد من الهجرة ، حتى وان لم تنشب الحرب الاهلية لتجعلها مستحيلة . ولكن نهاية الحرب الاهلية ، والمجاعة التى حدثت فى سنة ١٩٢١ حركت عمليات الهجرة من روسيا الاوربية الى روسيا الاسيوية مرة اخرى . ولكن المهاجرين فى تلك الفترة كانوا لاجئين أكثر منهم مستوطنين ، وقد عاد كثيرون منهم الى مواطنهم القديمة فيما بعــد .

وبينما كانت حركات الهجرة الخاصة ، او غير المنظمة ، فى مد وجزر فان حركة الهجرة الرسمية المنظمة لم تبدأ الا بعــد مدة من الزمن .

وكانت هنالـك منـذ سـنة ١٩٢١ « مؤسـسة البحث العلمي فى التوطين الحكومي » (اسمها الروسـي المختصـر : Goskolonit) . وتضمن القانون الزراعى لجمهورية روسيا الفدرالية الصادر فى كانون الاول (ديسمبر) ١٩٢٢ عدة مواد قصد بها تنظيم الهجرة من المناطق المزدحمة بالسكان الى المناطق الخاليــة فى الجمهورية (المواد ٢٢٢ــ ٢٢٦) . وكانت اول محاولة لتنظيم الهجرة بصورة رسمية قد بدأت

بالخطة الزراعية الخماسية لقوميسارية الشعب للزراعة • فقد نظمت تهجير ٦٣٠ر٠٠٠ شخص الى المناطق غير الاهلة بالسكان فى مناطق الفولغا والاورال ، وكذلك في سيبيريا ، خلال السنوات الخمس المبتدئة فى ١٩٢٣ – ١٩٢٤ •

وكانت الهجرة حتى ذلك الوقت تتخذ وسيلة للتخفيف عن ضغط السكان في المناطق المزدحمة والتي يسودها الجوع • أما القانون الجديد فقد حدد اغراض الهجرة بالاستفادة من الاراضي غير المستغلة ، وزيادة الانتاج الزراعي والصناعي فى البلاد بتنمية المصادر الانتاجية فى المناطق الشرقية •

ان هذين الهدفين اللذين اوحيا بتشجيع الهجرة (اى تخفيف الضغط عن المناطق المزدحمة فى روسيا الوسطى ، وتنمية المصادر الانتاجية فى المناطق الشرقية) كانا مرتبطين ومتداخلين • وحين حلت سنة ١٩٢٤ ، كانت آثار الحرب والمجاعة قد تم التغلب عليهما • وفى تلك السنة قدر عدد الذين انتقلوا من الارياف الى المدن بما لا يقل عن ١ر٦٠٠ر٠٠٠ شخص ، وقد ادت هذه الهجرة الجديدة الى بطالة متزايدة ، بسبب عجز المدن عن استيعاب هذه الزيادة المفاجئة • وابدت وزارة الزراعة فى أحد تقاريرها ان السلطات الاقليمية تضغط على الحكومة بوجوب اتخاذ الزيادة فى السكان حافزا للهجرة المنظمة ، بالرغم من ان تحسين اساليب الزراعة كان فى رأيها افضل الوسائل لمعالجة نمو السكان فى المدن •

وفى هذا الوقت بدأت مشكلة زيادة السكان فى الارياف تظهر فى مقررات الحزب وتقاريره • وقرر المؤتمر الثالث للسوفيات – المنعقد

فى مايس ١٩٢٥ – « لغرض اعطاء الفلاحين فى المناطق التي نقل فيها الاراضي ، امكانية الهجرة الى الاراضي الخالية » الاستعجال فى اعداد هذه الاراضي للتوطين ، وتزويد المهاجرين بالتجهيزات اللازمة •

منظمات توطين اليهود

أولا – المنظمات السوفيتية

كان من جملة المشروعات التى تبنتها الحكومة السوفيتية للتهجير والتوطين مشروع فرعى لتوطين اليهود على الاراضي الزراعية •

وهنالك محاولة سابقة لهذا الغرض ، وهى تأليف لجنة خاصة فى سنة ١٩٢٣ ، يبدو انها لم تحقق اية نتائج • وفى السنة التالية تقدمت احدى المنظمات اليهودية الامريكية بمشروع لانشاء « مؤسسة امريكية – يهودية زراعية مشتركة »، عرفت باسمها المختصر (Agro-Joint) وهدفها « تحويل اكبر عدد ممكن من يهود الاتحاد السوفيتي البالغ عددهم ٢ر٧٠٠ر٠٠٠ الى الاعمال الانتاجية » • وقد تم التوصل الى اتفاقية تخصص بموجبها الاموال اللازمة لتنفيذ هذا المشروع ، على ان تساهم فيها هذه المؤسسة والحكومة السوفيتية مناصفة[1] •

وبعد ذلك الفت هيئة الرئاسة (بريزيديوم) لسوفييت القوميات، بقصد تطبيق تجربة المستعمرات الزراعية اليهودية ، وتشجيع ظهور طبقة فلاحية يهودية سوفيتية ، منظمتين خاصتين هما « لجنة توطين الكادحين اليهود على الاراضي الزراعية » و « جمعية توطين الكادحين

(١) انظر تفاصيل ذلك أدناه ، فى بحث « منظمات اليهود الامريكيين » ص ٥١ •

اليهود على الاراضي الزراعية » ٠

١ _ « **لجنة توطين اليهود على الاراضي الزراعية** » : وقد عرفت باسمها الروسي المختصر (KOMZET) ٠ أسست هذه المنظمة فى آب (اغسطس) ١٩٢٤ ، وكانت هيئة رسمية ، تابعة لرئاسة (بريزيديوم) سوفييت القوميات ، ومسؤولة عن الجانب الادارى من عمليات التوطين ٠

وكانت اللجنة تتألف من ١٧ عضوا بينهم عدد من كبار المسؤولين الشيوعيين ، مثل قوميسار (وزير) التجارة « ليونيد كراسين » ، ونائب رئيس مجلس السوفييت الاعلى « بيتر سميدوفيج » الذى كان رئيسا للجنة ، وكلاهما غير يهودى ، بالاضافة الى عدد من اليهود البارزين مثل « ميريجين » ، من كبار اعضاء القسم اليهودى فى الحزب الشيوعي ، وكان سكرتيراً للجنة ، و « ماكسيم ليتفينوف » الذى كان فى ذلك الوقت نائبا لوزير الخارجية[1] ، و « سيمين ديمانشتاين » ، نائب رئيس قسم الدعاية فى الحزب الشيوعي ٠ وبالاضافة الى « اللجنة » المركزية ، ألفت الحكومة السوفيتية ادارات مماثلة فى عدد من الجمهوريات الاخرى ، وفى الوحدات الادارية الاصغر منها ٠

ان المهمة التى عهد بها الى هذه المنظمة هى توطين العائلات اليهودية على الاراضي التى تخصص لهم فى مختلف انحاء الاتحاد السوفيتي ، وخاصة التوطين الزراعي ٠ ولما قررت الحكومة السوفيتية انشاء المقاطعة اليهودية ذات الحكم الذاتي فى بيروبيجان كان لها دور

(١) أصبح فيما بعد وزيرا للخارجية ونال شهرة دولية واسعة ، واسمه احقيقى « والاخ » ٠

مهم في تنمية المنطقة اقتصاديا وثقافيا ٠ وقد قامت منظمة « كومزيت » خلال وجودها ، بادارة اكبر حملة فى تاريخ الشعب اليهودى لاعادته الى العمل فى الزراعة ٠

٢ـ « **جمعية توطين الكادحين اليهود على الاراضي الزراعية** » :

وقد عرفت ايضا باسمها الروسي المختصر OZET (واحيانا باسمها المختصر باللغة اليدية GEZERD) ، ألفت فى ٢٤ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٢٤ ، كمنظمة شعبية ، أو شبه _ أهلية ، اعضاؤها متطوعون ، وهدفها مساعدة منظمة « كومزيت » الرسمية فى تحقيق أغراضها ٠

وكان للجمعية « مجلس مركزي » يتألف من ٨٦ عضوا ، ومجلس ادارة قوامه ٤٩ عضوا ، وهيئة رئاسة (بريزيديوم) ٠ وكانت لها فروع فى شتى انحاء الاتحاد السوفيتي ، وفى كثير من المصانع ، وفى الجيش الاحمر ٠ وقد بلغ عدد فروعها فى سنة ١٩٣٦ ، ٦٠٠ فرع ، ومجموع اعضائها حوالى ٥٠٠ر٠٠٠ عضو ٠

ولم تكن عضوية « اوزيت » قاصرة على اليهود وحدهم ، فقد كان بين اعضائها عدد كبير من غير اليهود ، بل ان نسبة الاعضاء غير اليهود بينهم بلغت فى وقت من الاوقات حوالى ٦٠ بالمائة من مجموعهم ٠

وقد عين لرئاسة منظمة « اوزيت » اقتصادى يهودى معروف ، ومن المقربين الى ستالين ، هو « يورى لارين » ، وكانت تضم بين اعضائها العاملين معظم رؤساء منظمة « كومزيت » ، الى جانب اعضاء بارزين في « يفسكتسيا » (الاقسام اليهودية في الحزب الشيوعي)

وشخصيات رئيسية فى الدولة بما فيهم « ميخائيل كالينين » (الذى كان رئيسا للجنة التنفيذية المركزية ، اى رئيسا للدولة) ، و « جيجيرين » قوميسار الشعب للخارجية ، و « ليونيد كراسين » ، قوميسار الشعب للتجارة ، و « بيتر سميدوفيج » نائب رئيس مجلس السوفييت الاعلى ، وكلهم غير يهود ، وكان بينهم ايضا الدبلوماسي اليهودى المعروف « ماكسيم ليتفينوف » نائب قوميسار الخارجية .

وكانت المهمة الرئيسية لهذه الجمعية القيام بالدعاية لفكرة توطين اليهود على الاراضي الزراعية ، وجمع الاموال لمشروعات التوطين ، ومحاربة ما خلفه العهد القيصرى من مشاعر معادية لليهود . وقد شنت الجمعية حملة دعاية واسعة النطاق لهذه الاغراض ، عن طريق الاجتماعات العامة ، والمحاضرات ، والمعارض ، والمنشورات .

وبالاضافة الى اصدار المنشورات الشعبية عن احوال اليهود الاقتصادية ، وعن « بيروبيجان » ، ومختلف المشروعات الزراعية ، قامت الجمعية ـ بين سنتي ١٩٢٧ و١٩٢٧ ـ باصدار مجلة اسمها (Tribuna) ، عهد برئاسة تحريرها الى « سيمين ديمانشتاين » ، رئيس القوميسارية اليهودية ، وكان من اهم اغراض هذه المجلة محاربة اللاسامية فى الاتحاد السوفيتي .

وقد استعملت المنظمة الاموال التي جمعتها بطرق متعددة ، بما في ذلك « اليانصيبات » ، للمساهمة فى نفقات مشروعات توطين اليهود السوفييت على الاراضى الزراعية ، واعطاء المستوطنين اليهود تسهيلات للتسليف ، والارشاد الفني ، وتقديم المساعدات القانونية والطبية لهم ، والعناية بحاجاتهم الثقافية ، كما أنها كانت تساعد منظمة « كومزيت »

فى البحث عن الاراضي الصالحة للتوطن ، وتساهم فى اختيار الفلاحين اليهود ، وتدريبهم المبدئي على الحياة الجديدة التى تنتظرهم .

وكان من جملة الطرق التى لجأ اليها رؤساء «اوزيت» فى جمع الاموال ، هى الطريقة اليهودية التقليدية فى طلب مساعدة يهود العالم لابناء دينهم ، وجمع التبرعات منهم . وكانت « اوزيت » على صلة بالمنظمات اليهودية اليسارية فى خارج الاتحاد السوفيتي ، وان اشراك عدد من الدبلوماسيين البارزين (مثل جيجيرين ، وليتفينوف ، وكراسين) فى المنظمة ، بينما ليست لها صلة بمجالات عملهم ، كان دليلا على الاهمية التى علقتها السلطات السوفيتية على مساعدات اليهود فى الخارج .

وقد تمكنت « اوزيت » من الحصول على تبرعات كثيرة للمستوطنات اليهودية المزمع انشاؤها ، كما وقعت ، لهذا الغرض ، اتفاقية مع اكبر منظمة يهودية امريكية ، وهى « لجنة توزيع الامريكية ـ اليهودية المشتركة » .

وقد خصصت الحكومة السوفيتية الاراضي اللازمة لتنفيذ مشروعات توطين اليهود فى جنوب « اوكرايينا » ، وفى شبه جزيرة القرم ، مع وعد بتخصيص اراضى اخرى فى منطقة « الفولغا » وفى شمال القفقاس .

صفيت اعمال منظمة « اوزيت » فى سنة ١٩٣٨ .

ثانيا ـ المنظمات الاجنبية (منظمات اليهود الامريكيين)

اظهر اليهود فى خارج الاتحاد السوفيتي ، وخاصة فى الولايات

المتحدة ، اهتماما كبيرا بحالة اليهود فى روسيا خلال جميع الازمات التى مرت بهم ، وأسسوا منظمات عديدة مهمتها جمع التبرعات لهم ، وتقديم المساعدات المالية والفنية لعمليات توطينهم وحل مشاكلهم •

ولما قررت الحكومة السوفيتية انشاء مقاطعة خاصة لليهود فى « بيروبيجان » رأى كثير من زعماء الجاليات اليهودية فى أمريكا من واجبهم دعم المشـروع ، وتقديم كل مـا يمكن من المسـاعدات لنجاحه[١] • وكانت علاقات الولايات المتحدة مع روسيا فى الثلاثينات، وحتى فى اوائل الاربعينات ، طبيعية ، ولم يكن الامريكيون فى تلك الفترة لينظرون الى الاتحاد السوفيتي بنظرة الخوف والحـذر التي صاروا ينظرون بها اليها فيما بعد •

وكذلك هنالك عدة منظمات امريكيـة يهودية سـاهمت فى مشروعات توطين يهود روسيا فى الاراضي الزراعية ، فى اوكرايينا والقرم أولا ، ثم فى بيروبيجان ، اهمها :

١ ـ « لجنة التوزيع الامريكية ـ اليهودية المشتركة »

اكبر المنظمات الامريكية لمساعدة اليهود فى الخارج ، والاسم الدارج الذى تعرف به هو "Joint" أو J. D. C. ، وهمـا مختصران لاسمها الكامل باللغة الانكليزية[١] • وقد أسست فى سنة ١٩١٤ بمبادرة بعض زعماءاليهود الامريكيين ،لغرض مساعدة اليهود

(١) Barnet Litvinoff, *A Peculiar People*, London, 1969, p. 42

(٢) (American-Jewish Joint Distribution Committee)

المتضررين فى الحرب العالمية الاولى ،ثم واصلت اعمالها بوصفهـا المنظمة الرئيسية لمساعدة اليهود فى العالم ، وقد امتدت تلك الاعمال الى كل اقطار اوربا الشرقية والوسطى ، والشرقين الادنى والاقصى ، وشمال افريقية • وبالاضافة الى مساعداتها لليهود فى مختلف انحـاء العالم خلال فترات الطوارىء والازمات ، فانها نظمت برامج لاعـادة توطين اليهود وتحسين احوالهم ، كما انها انشأت او ساعدت فى انشاء مؤسسات دينية وثقافية متنوعة لشتى الجاليات اليهودية • وقد اتسـع نطاق اعمال هذه المنظمة بصورة خاصة فى فترات معينة ، منها الحكـم النازى فى المانيا ، والحرب العالمية الثانية ، وقيام اسرائيل فى فلسطين المحتـلة •

وبالرغم من ان منظمة « جوينت » اسسها فى البداية عدد محدود من اغنياء اليهود الامريكيين ، فانها أصبحت فيما بعد ممثلة لجميـع الهيئات والمنظمات اليهودية فى الولايات المتحدة •

وقد قامت هذه المنظمة خلال الحرب العالمية الاولى وبعدهـا بفعاليات واسعة لمساعدة اللاجئين اليهود فى روسيا وبولونيا وغيرهمـا من اقطار اوربا الشرقية والوسـطى ممن اضـطروا الى الجلاء عن أماكن سكناهم •

وحينما بدأت « ادارة المعونة الامريكية » بتنفيذ برنامجها الواسع لمحاربة المجاعة فى روسيا ، كلفت منظمة « جوينت » بالتعاون معها فى هذا المجال ، فارسل الى روسيا ممثلان عنها مع بعثة « ادارة المعونـة الامريكية » • وخلال السنوات التالية كانت فعاليات منظمة « جوينت » فى روسيا جزءا من عمليات تلك الادارة • ولما انتهت اعمال « ادارة

المعونة الامريكية » فى روسيا ، عقدت منظمة « جوينت » اتفاقية خاصة مع الحكومة السوفيتية لمواصلة اعمالها بصورة مستقلة ، وصرفت فى روسيا مبلغا قدره ٠٠٠ر٢٠٠ر٤ دولار[١] .

وبعد خروج روسيا من الحرب الاهلية ، واستقرار النظام السوفيتي ، وجدت المنظمة ان الحاجة تدعو الى اعادة بناء الحياة اليهودية فى روسيا على اسس جديدة ، وتكييف اليهود مع الظروف السياسية والاقتصادية القائمة فى البلاد . وكانت هذه المهمة تتطلب اجراءات خاصة ، ولذلك اسست منظمة « جوينت » فى سنة **١٩٢٤** منظمة جديدة هى «**المؤسسة الامريكية ـ اليهودية الزراعية المشتركة**» وعهدت اليها بمهمة توفير الاستقرار الاقتصادى ليهود روسيا فى ظل النظام الجديد ، وكان من سياسة منظمة « جوينت » دائما ان تسلم اعمالها الى المنظمات اليهودية المحلية فى البلاد التى تمارس فعالياتها فيها ، حالما تصبح تلك المنظمات قادرة على القيام بتلك الاعمال بنفسها . وقد احالت منظمة « جوينت » اعمالها فى روسيا الى المؤسسة الامريكية ـ اليهودية الزراعية المشتركة » تمشيا مع تلك السياسة .

٢ ـ « المؤسسة الامريكية ـ اليهودية الزراعية المشتركة » [٢]

أسست « لجنة التوزيع الامريكية ـ اليهودية المشتركة » هذه المنظمة فى ٢١ تموز (يوليه) ١٩٢٤ لتنوب عنها فى القيام باعمالها

---

(١) Joseph C. Hyman, "Joint Distribution Committee, American-Jewish", *The Universal Jewish Encyclopedia*, Vol. VI. p. 174.

(٢) "American Jewish Joint Agricultural Corporation

فى روسيا ، وقد عرفت هذه المنظمة الجديدة باسمها المختصر (AGRO-JOINT) ، وكانت مهمتها تحسين الاحوال الاقتصادية ليهود روسيا ، وتمكينهم من الحصول على حقوق متساوية مع طبقة العمال والفلاحين . وكان من المعروف ان الحل الوحيد لمشكلة اليهود فى الاتحاد السوفيتي ، واعادة اعتبارهم وتوطينهم بشكل دائمي ، هو فى تحويلهم بصورة جماعية الى الاعمال الانتاجية .

وقد بدأت مؤسسة (AGRO-JOINT) اعمالها بمشروع تجريبي لتوطين بضع مئات من العائلات اليهودية على الاراضي الزراعية . وكانت نتائج هذه التجربة ـ حتى سنة **١٩٢٥** ـ مشجعة بصورة تفوق ما توقعته «لجنة التوزيع الامريكية ـ اليهودية المشتركة» ولذلك تقرر مواصلة هذه الجهود على نطاق اوسع . وقد عين لادارتها « جوزيف روزن » ، وعهد اليه بمهمة توطين اليهود على الاراضي الزراعية ، وتنفيذ عدد من المشروعات التى توخت توجيه نسبة كبيرة من السكان اليهود فى روسيا الى الاعمال الزراعية والصناعية .

وقد اعارت الحكومة السوفيتية اعمال هذه المنظمة تأييدها الكامل ، وقدمت لها كثيرا من التسهيلات ، كتوفير الارض اللازمة للتوطين الزراعي ، وأجور النقل المخفضة ، والقروض المالية ، كما قدمت الجزء الاكبر من الامور الضرورية التى يتطلبها تنفيذ مشروعاتها [١] .

---

(١) Joseph C. Hyman, "American Jewish Agricultural Corporation", *The Universal Jewish Encyclopedia*, Vol. I. p. 253

بدأت (AGRO-JOINT) اعمالهـا بمبلغ قدره ٤٠٠ر٠٠٠ **دولار حصلت عليه من « لجنة التوزيع الامريكية – اليهودية المشتركة»** وبلغ مجموع ما انفقته فى روسيا منذ ذلك الوقت حتى سنة **١٩٢٨** حوالى ٥ر٨٨٠ر٠٠٠ دولار (١) • وفى تلك السنة اخذت منظمة امريكية اخرى على عاتقها تقديم المعونة المالية لاعمال مؤسسة (Agro-Joint) ، وهذه المنظمة هى « الجمعية الامريكية للمستوطنات الزراعية اليهودية فى روسيا » ، اذ تعهدت بجمع مبلغ ٨ر٠٠٠ر٠٠٠ دولار ، كما تعهدت الحكومة السوفيتية – بموجب اتفاقية خاصة – بأن تدفع بالروبلات مبلغا مساويا لذلك • وبذلك أصبح مجموع المبلغ المخصص ١٦ر٠٠٠ر٠٠٠ دولار تدفعها المنظمة المذكورة والحكومة السوفيتية مناصفة ، خلال عشر سنوات • وقد وضع هذا المبلغ تحت تصرف (Agro-Joint) لينفق على تنفيذ برامج تحويل اليهود الى الأعمال الصناعية وتوطينهم على الاراضي الزراعية •

ان اعمال مؤسسة (Agro-Joint) التى بدأت فى سنة ١٩٢٤ استمرت حتى سنة ١٩٣٨ ، واسفرت عن تحسينات جذرية فى احوال يهود روسيا ، وامتدت آثارها وشملت جميع السكان اليهود ، ولم تقتصر برامجها على التوطين فى المزارع فقط ، وانما تضمنت ايضا مشروعات صناعية وفعاليات اخرى شملت اليهود فى المدن الكبرى والصغرى ، وكذلك فى القرى •

(١) *Ibid.*, p. 254

أما مشروع التوطين الزراعي فقد اصبح حركة واسعة وطنت ٢٥٠ر٠٠٠ شخص على اراضي مساحتهـا ٣ر٠٠٠ر٠٠٠ ايكر فى المستوطنات الموجودة فى اوكراينا والقرم • وفى سنـة ١٩٣٧ كانت المزارع التعاونية قادرة على قبول اعضاء جدد بدون مساعدة خارجية وعلى تقديم مساعدات مالية كبيرة للتنمية العامة ، وكهربة القرى ، والري ، واسالة الماء ، وغير ذلك من الخدمات العامة •

وقامت مؤسسة (Agro-Joint) – بالتعاون مع جمعية التوطين اليهودية » (I.C.A.) (١) بادارة ٣٠٠ جمعية تسليف لتمويل المشروعات التعاونية ، كما انشأت ، خلال سنوات عملها ، مدارس تجارية وصناعية تدرب فيها ألوف الناشئة اليهود واخذوا يعملون فى المشروعات الصناعية الحكومية • وكذلك اسست مراكز تعاونية دربت على مختلف الصناعات والحرف عشـرات الالوف من اليهود العاطلين الذين لا يصلحون للتوطين الزراعي • كما اسست جمعيات

(١) « جمعية التوطين اليهودي » : جمعية خيرية يهودية بريطانية اسمها المختصر الدارج (I.C.A.) اسسها البارون موريس دى هيرش (المقيم فى باريس) فى سنة ١٨٩١ لغـرض مساعدة يهود اوربا الشرقية على التوطن فى الاراضى الزراعية • بدأت اعمالها برأسمال قدره ٢ر٠٠٠ر٠٠٠ باون استرليني ، ثم ارتفع حتى اصبح ٨ر٠٠٠ر٠٠٠ باون • وكان مشروع التوطين الرئيسي لهذه الجمعية فى الارجنتين ، حيث استقر ألوف اليهود على الاراضى التى اشتراها دى هيرش لهذا الغرض • وقد قامت الجمعية بفعاليات مماثلة فى البرازيل وكندا وفلسطين وروسيا وبولونيا ، كما قامت بجهود واسعة لتحسين الظروف الاجتماعية لليهود فى البلاد التى يهاجرون اليها وساعدتهم فى انشاء المدارس والمصارف التعاونية للتسليف والتوفير •

طبية وفرت اسباب المعالجة لأعداد كبيرة من اليهود العاطلين .

وبدأت (Agro-Joint) بتصفية فعالياتها فى أواخر سنة ١٩٣٧ واستمرت تلك العملية طيلة سنة ١٩٣٨ ، وقد تقرر اتخاذ ذلك الاجراء بعد ان تحسنت احوال يهود روسيا الى حد كبير ، ولم يعودوا بحاجة الى مساعدة المنظمات الخارجية .

ولا شك أن مشروعات (Agro-Joint) كان لها اثرها الكبير فى تحويل يهود روسيا من سكان احياء مغلقة (غيتو) لا مورد لهم تقريبا الى عمال منتجين فى المعامل والحقول . على ان تعاون الحكومة السوفيتية مع المنظمة ، والتسهيلات التى قدمتها لها كانت من اهم عوامل نجاح مشروعاتها .

٣ - « جمعية التوطين اليهودى فى الاتحاد السوفيتى »

جمعية امريكية مهمتها مساعدة عمليات التوطين الزراعي ليهود الاتحاد السوفيتى ، اسست فى سنة ١٩٢٤ فى مؤتمر عقده عدد من منظمات جاليات اليهود وجمعياتهم فى الولايات المتحدة . وقد عرفت باسم « ايكور » (ICOR) وهو مختصر اسمها الكامل باللغة اليدية[1] ، وكلمة « ايكور » تعني ايضا « فلاح » باللغة العبرية .

ركزت هذه الجمعية اهتمامها فى البداية على دعم عمليات توطين اليهود فى القرم وفى منطقة اوديسا من اوكراينا الجنوبية . وكانت الاموال التى ترسلها لهذا الغرض تصرف بواسطة منظمة « اوزيت » فى

(١) Gesellschaft tsu Helfen der Yiddisher Kolonizatzie in Soveten-Ferband.

موسكو باشراف الممثل المقيم للجمعية فى موسكو (موشي كاتز) .

على ان نشاط المنظمة بلغ اوجه فى الفترة بين سنتي ١٩٢٨ و١٩٣٢ ، وكان قرار الحكومة السوفيتية بتخصيص منطقة « بيروبيجان» للتوطن اليهودي الزراعي والصناعي الجماعي اليهودي حافزا كبيرا فى ذلك . وقد وجهت منظمة « ايكور » ، على اثر ذلك القرار ، فعالياتها جميعا الى بيروبيجان ، واصبحت اهم داعية للفكرة فى امريكا . وعقدت المنظمة فى سنة ١٩٢٨ اتفاقية مع الحكومة السوفيتية منحت بموجبها الحق فى القيام بتحريات وداسات فى المنطقة الجديدة وبناء (أو المساعدة فى بناء) المستوطنات الزراعية اليهودية الجماعية ، والمصانع التعاونية ، وتنظيم شتى وسائل المساعدات الثقافية للمستوطنين فيها[1] .

وقد ارسلت منظمة « ايكور » فى سنة ١٩٢٩ لجنة تحقيق واستطلاع الى « بيروبيجان » برئاسة « وليم هاريس » من جامعة « يوتا » الامريكية ، كما ان رئيس المنظمة « تشارلز كونتز » اقام فى « بيروبيجان » من سنة ١٩٣٠ الى سنة ١٩٣٣ لمراقبة اعمال منظمته .

وقد تم خلال هذه الفترة صرف وتوزيع مبلغ ٣٠٠ر٠٠٠ دولار تبرع بها يهود امريكا . وكان بين المواد التى ارسلت الى « بيروبيجان » بهذا المبلغ مكائن امريكية لازاحة الغابات ، وتراكتورات ، وسيارات ركاب وحمل ، ودراجات بخارية ، وحفارات ، ومكائن بناء الطرق ، ومكائن نفطية ، واجهزة لتفريخ البيض ، ومكائن تعليب ، ومعمل كامل لصناعات الاخشاب[2] .

(١) Moshe Katz, "ICOR", *The Universal Jewish Encyclopedia*, Vol. V., p. 533.

(٢) *Ibid.*, p. 533

وبعد سنة ١٩٣٣ اصبحت الفعاليات الثقافية الشاغل الرئيسي لهذه المنظمة ، حيث انشأت مؤسسة طباعة عصرية لتيسير نشر الصحف والمجلات المحلية ، وكذلك الكتب والمنشورات الاخرى • وافتتح معرض دائم يحتوى على لوحات تبرع بها فنانون يهود وغير يهود فى أمريكا ، الى جانب مكتبة عامة • كما وزع عدد كبير من الآلات الكاتبة باللغة اليدية • وقدمت المنظمة كذلك مساعدات لفتح رياض للاطفال • وقد استمرت هذه الفعاليات الثقافية حتى سنة ١٩٣٩ وخصص لها مبلغ ٧٥ر٠٠٠ دولار أنفق خلال هذه الفترة[١] •

وأخيرا وجهت المنظمة ، بعد سنة ١٩٣٩ ، اهتمامها بصورة رئيسية الى جمع المعلومات عن الحياة اليهودية فى الاتحاد السوفيتي وفى « بيروبيجان » • وحين وقع الغزو الالمانى لروسيا فى سنة ١٩٤١ ، انضمت « ايكور » الى المنظمات الاخرى فى الدفاع عن فكرة تقديم العون الى انكلترة وروسيا ، وتعاونت تعاونا وثيقا مع « لجنة الشعب اليهودى » •

وكانت المنظمة بين سنتي ١٩٢٨ و١٩٣٣ تضم حوالى ١٢ر٠٠٠ عضو فى الولايات المتحدة ، واكثر من مائة لجنة فرعية محلية فى شتى أنحائها[٢] •

وفي سنة ١٩٣٥ بدأت « ايكور » باصدار مجلة شهرية باللغتين اليدية والانكليزية اسمها Nailben (أى : « الحياة الجديدة ») ، الى جانب كتب ونشرات وكراسات مختلفة تتعلق بالشؤون اليهودية •

(١) *Ibid.*, p. 534

(٢) *Ibid.*, p. 534

٤ ـ « الجمعية الامريكية لتوطين يهود روسيا فى المزارع »[١]

أسست هذه الجمعية فى سنة ١٩٢٨ لمواصلة تمويل برنامج توطين اليهود على الاراضي الزراعية فى الاتحاد السوفيتي •

وكانت منظمة « جوينت » الامريكية ، ووكيلة اعمالها فى روسيا ، منظمة (Agro-Joint) تمولان ذلك البرنامج منذ سنة ١٩٢٤ ، وحين تألفت هذه المنظمة اخذت تلك المهمة على عاتقها ، وتمكنت ـ بدون اللجوء الى نداء عام من جمع مبلغ ٨ر٠٠٠ر٠٠٠ دولار من تبرعات خاصة تعهد بدفعها خلال عشر سنوات عدد صغير من اثرياء اليهود فى الولايات المتحدة ، لدعم المزيد من الفعاليات الموسعة لبرنامج توطين اليهود على الاراضي الزراعية فى اوكرايينا والقرم •

وقد عقدت الجمعية ـ لغرض تنفيذ هذا البرنامج ـ اتفاقية خاصة مع منظمتي (Agro-Joint) الامريكية ، و (KOMZET) السوفيتية ، تقضي بأن تدفع الجمعية المبلغ الذى جمعته ، على ان تدفع المنظمة السوفيتية بالروبلات مبلغا مساويا ، فأصبح مجموع ما خصص لتنفيذ برامج (Agro-Joint) ١٦ر٠٠٠ر٠٠٠ دولار تسدد فى الفترة بين سنتي ١٩٢٨ و١٩٣٥ ، بالاضافة الى ما تعهدت منظمة « كومزيت » بتقديمه من تسهيلات ومساعدات اخرى لعمليات التوطين •

عمليات التوطين في اوكرايينا والقرم

كانت الخطة الاصلية لمنظمة « اوزيت » ترمي الى توطين حوالى

(١) "American Society for Jewish Farm Settlements in Russia, Inc."

نصف مليون يهودى حتى نهاية سنة ١٩٢٦ ، وقد خصصت الحكومة السوفيتية للمشروع اراضى تبلغ مساحتها ١٠٠ر٠٠٠ هكتار فى جنوب اوكراينا وفى القرم ، وقد سجلت اكثر من ٤٠ر٠٠٠ عائلة طلبات للتوطن فى تلك المناطق •

وقد نظمت بالجهود المشتركة لمنظمتي « كومزيت »و «اوزيت » ثلاث مناطق يهودية ذات طابع زراعي في اوكراينا، وهي: «كالينيندورف» و « ستاليندورف » و « نوفوزلاتوبول » • وكانت الاولى ـ كالينيندورف ـ أهم هذه المناطق لانها تضم أعلى نسبة من اليهود بين مستوطنيها • وكان فيها ، حتى سنة ١٩٣٧ ، ٤٥ مزرعة تعاونية يهودية •

اما فى القرم فكانت لليهود منطقتان قوميتان ، هما : «فريادورف» و « لاريندورف » (الاخيرة سميت باسم رائد حركة التوطين الزراعي لليهود ، ورئيس منظمة « اوزيت » يورى لارين) •

وقد اعارت الدعاية السوفيتية اهتماما خاصا لابراز منطقة « فريادورف » التي كانت مساحتها حوالي ١٩٠ر٠٠٠ هكتار ، وتضمنت ٣٣ مزرعة تعاونية يهودية فيها ١ر٦٩٢ عائلة • وكانت تحتوى على ٣٨ مدرسة ، و ٧ قاعات عامة للمطالعة • [١]

وقد بلغ عدد المزارع التعاونية اليهودية فى الاتحاد السوفيتي حتى اواسط الثلاثينات ٥٠٠ مزرعة ، وكان هناك ٢٢٥ر٠٠٠ يهودى يعملون فى الزراعة ، ٩٠ بالمائة منهم يقيمون فى اوكراينا ، وبيلوروسيا والقرم • ولكن هذا العدد أخذ يتضاءل فى السنوات القليلة التي سبقت

---

(١) Walter Kolarz, *Russia and her Colonies*, New York, 1952, p. 172

الحرب العالمية الثانية • [١]

ان تجربة توطين اليهود فى الاراضي الزراعية فى القسم الغربي من الاتحاد السوفيتي لايمكن ان تعد ناجحة تماما بالقياس الى الجهود الكبيرة التي بذلت من اجلها • فان تحول اليهود الى الزراعة لم يقض على المشاعر المعادية لهم ، بل انه ، على العكس من ذلك، أنعشها • وقد هاجم كثيرون من الروس حتى فكرة تأليف منظمة «كومزيت» وأخذوا يتساءلون : لماذا ألفت الحكومة لجنة خاصة لتوطين اليهود ولم تؤلف لجانا مثلها للقوميات الاخرى ؟ [٢]

وكان مشروع التوطين فى القرم ، بصورة خاصة ، مبعث غيرة كبيرة بين الفلاحين الروس والاكراينيين • وقد تسلمت الجريدة الفلاحية الشيوعية (Bednota) رسائل كثيرة من الفلاحين الذين كانوا يتشوقون الى الحصول على الاراضي ، قالوا فيها : « حين نقدم طلبات لتوطيننا فى القرم ترفض طلباتنا ويقال لنا اننا يجب ان نذهب

---

(١) *Ibid.*

(٢) ومع ذلك ، فان هؤلاء المنتقدين كانوا مخطئين ، لان السلطات السوفيتية ألفت فى سنة ١٩٢٦ لجنة مماثلة لتوطين الغجر (النور) فى روسيا باسم « لجنة التوطين الزراعى للغجر » وكانت هذه اللجنة مرتبطة بمنظمة اخرى هى « اتحاد الغجر لعموم روسيا » اسست سنة ١٩٢٥ ثم ألغيت فى سنة ١٩٢٨ من قبل قوميسارية الشعب للشؤون الداخلية ، وقد أمكن اقناع ألف عائلة غجرية على الاشتراك في المزارع التعاونية فى شتى انحاء الاتحاد السوفيتى ، حتى ان السلطات السوفيتية ، فى الثلاثينات ، فكرت فى انشاء منطقة قومية غجرية لتضم اكثر من نصف الغجر السوفييت الذين كان عددهم يبلغ ٦٠ر٠٠٠ •

الى سيبيريا • فلماذا يستحق اليهود مثل هذه العناية ، ويسمح لهم بالذهاب الى القرم ؟ » وكانت أجهزة الدعاية الحكومية ترد على هذه الاحتجاجات بان ملاكي الاراضي اليهودية – مثل بارون غينزبرغ – كانوا يمتلكون فى ظل النظام القيصرى أراضي فى القرم تزيد بكثير عما تمنحه الحكومة السوفيتية اليوم للفلاحين اليهود •

لقد قوبلت مشروعات توطين اليهود فى مناطق اوكراينا والقرم بمقاومة شديدة من السكان المحليين ، وكان من بواعثها الرئيسية مشاعر العداء والكراهية السائدة بينهم نحو اليهود • وبالرغم من أن الحكومة السوفيتية حاربت معادة اليهود – او اللاسامية – بهمة عظيمة (١) فان رؤساء منظمة « كومزيت » ادركوا ضرورة البحث عن مناطق أخرى يجرى توطين اليهود فيها بدون مقاومة •

وبالاضافةالى ذلك ، فان السلطات السوفيتية نفسها بدأت تشعر بعدم الارتياح لتجربة توطين اليهود فى المزارع التعاونية فى اوكراينا والقرم ، لان هذه المزارع اصبحت مراكز للدعاية الدينية ، وقواعد لترسيخ الشعور الديني بين الناشئة اليهود فى فترة كانت محاربة الاديان فيها على اشدها • وقد ذكرت « لجنة التوزيع الامريكية اليهودية المشتركة » – جوينت – فى تقرير لها عن سكان المزارع التعاونية اليهودية فى سنة ١٩٢٥ ما يأتي :

« يصل المستوطن الجديد الى الارض المخصصة له ليكون فلاحا ،

(١) Yuri Larin, *Yevri i Antisemitism v S.S.S.R.*, Moscow, 1929 (اليهود واللا سامية فى الاتحاد السوفيتى) – (باللغة الروسية) ، وفى هذا الكتاب عرض شامل لهذه الحملة ، والاجراءات المقابلة التي اتخذتها الحكومة السوفيتية •

ولكنه يصبح فلاحا يهوديا ، يرعىحرمة السبت وسائر الاعياداليهودية• ان المزارع التعاونية ، بسبب بعدها ، عن العوامل المؤثرة فى المدن ، تتيح الفرصة لاقامة حياة عائلية أكثر تماسكا ، والتأثير القوى الذى يكون للاب على اولاده فى هذه المزارع يؤدى الى حياة دينية يهودية أقوى مما يشاهد فى المدن • كما ان انعدام أثر موظفي الحكومة يمكن المستوطنين من تطوير مدارسهم ومنشئاتهم على الاسس اليهودية » •(١)

على ان هناك سببا مهما آخر ، وهو ما أخذ ستالين يشعر به من عدم الاطمئنان الى ولاء اليهود التام للاتحاد السوفيتي • وقد وجد من الافضل عدم تركيز اليهود فى منطقة ستراتيجية مثل اوكراينا او القرم ويؤيد هذا الرأى ما جاء فى المذكرات التي نسبت الى خروشوف ، ونشرت في لندن سنة ١٩٧١ ،(٢) في معرض الحديث عن موقف ستالين من اليهود :

(١) *The American Jewish Yearbook,* Philadelphia, 1925, pp. 54-55

(٢) *Khrushchev Remembers,* tr. by: Strobe Talbott, London, 1971, p. 261

بالرغم من ان خروشوف نفى صحة هذه المذكرات بشدة – كما كان لابد له أن يفعل – فهناك دلائل تشير الىاحتمال صحتها ، أو على الاقل كونها منقولة عن احاديثه • وقال الخبير المعروف فى الشؤون السوفيتية « أدوارد كرانكشو » فى المقدمة التى كتبها لها : « حين أخبرت بوجود مذكرات لنيكيتا خروشوف كان اول ما تبادر الى ذهنى انها مزورة • وهنالك عدد من امثال هذه الوثائق التى كانت فى الواقع ملفقة فى الغرب لاسباب سياسية او تجارية • ولكننى لم احتج الى المضي فى قراءتها كثيرا لاشعر أن هذه كانت حقيقية • وحين اكملتها كنت مقتنعا بصحتها » •

« .. كان ستالين يناقش قائلا بانه فى حالة خلق جمهورية يهودية فى القرم ، ستحصل الصهيونية ـ التي كانت منتشرة ونشيطة فى أمريكا ـ على موطيء قدم فى بلادنا » [1] .

وحتى اذا رفضنا صحة نسبة تلك المذكرات الى خروشوف ، فان له تصريحا سابقا بنفس المعنى تقريبا ، أدلى به فى آب (اغسطس) ١٩٥٧ اثناء مقابلة له مع وفد شيوعي كندى قال فيه انه « كان يتفق في الرأي مع ستالين بأن منطقة القرم يجب ألا تتخذ مركزا لتوطين اليهود ، لان هذه المنطقة ـ فى حالة نشوب حرب ـ يمكن ان تصبح قاعدة لضرب الاتحاد السوفيتي » [2]

وقد بقيت المزارع التعاونية اليهودية، معذلك ، قائمة فى اوكرانيا والقرم حتى الحرب العالمية الثانية . ولكن المستوطنين اليهود تركوا تلك المناطق أثناء الحرب ، عند اقتراب القوات النازية منها ، وتم جلاؤهم الى الاقسام الداخلية من روسيا . ولم تحاول السلطات السوفيتية اعادة تأسيس تلك المزارع التعاونية بعد الحرب .

(١) *Ibid.*, p. 261

(٢) Lazar Pistrak, *The Grand Tactician, Khrushchev's Rise to Power*, London, 1961, p. 187

الفصل الثالث

إختيار منطقة بيروبيجان
أسبابه وأغراضه

ان عجز مناطق اوكرانيا والقرم عن استيعاب اعداد كبيرة من اليهود ، والمنافسة الشديدة على الارض فى تلك المناطق ، ومقاومة السكان المحليين لتوطين اليهود بينهم ، جعلت زعماء « اوزيت » ورؤساء « يفسكتسيا » ـ ازاء ضرورة حل مشكلة اليهود بصورة مستعجلة ـ يتقدمون الى السلطات السوفيتية باقتراح للبحث عن منطقة أخرى ، تكون خالية ، أو قليلة السكان ، ليجرى تهجير اليهود اليها ، وتوطينهم فيها ، دون اثارة السكان المحليين ، أو الاعتداء على حقوقهم . وقامت اللجنة التى تألفت لهذه الغاية ـ فى البداية ـ بدراسة بعض المناطق المحيطة ببحر آزوف ـ شمال القفقاس ـ وسهول كازاخستان .ويقال ان الحكومة السوفيتية كانت تدرس فعلا مشروعا لانشاء جمهورية يهودية على شواطيء بحر آزوف [1] .

(١) Avrahm Yarmolinsky, "Birobidjan", *The Universal Jewish Encyclopedia*, Vol. II, p. 373.

ولكن رؤساء المنظمات اليهودية سرعان ما أدركوا أن روسيا الاوربية ـ بما فيها المنطقة المحيطة ببحر آزوف ـ لم تعد فيها مساحة تكفى لبناء وطن قومى لليهود ، فاتجهت أنظارهم الى المساحات الكبيرة المفتوحة فى الشرق الاقصى السوفيتي •

وفى أوائل صيف سنة ١٩٢٧ أرسلت بعثة للبحث والاستكشاف فى منطقة بيروبيجان • وكانت البعثة مؤلفة من ١٨٠ شخصا ، وقد أنهت مهمتها فى ستة أسابيع • وجاء فى تقريرها أن المنطقة تحتوى (خارج القسم المؤلف من التلال) على حوالى مليون هكتار (٢ر٤٧٠ر٠٠٠ ايكر) من الاراضى التى اذا جرفت عنها المياه ، تصبح صالحة للزراعة ، وأنها تستطيع أن توفر معيشة ٥٠ر٠٠٠ عائلة جديدة فى المستقبل القريب • ويكون بامكان ٤٠ر٠٠٠ منها أن تعمل فى الزراعة • وأبدى خبراء البعثة فى تقريرهم أيضا أن تنمية الصناعة والزراعة الكثيفة ستجعل من الممكن تحقيق زيادة أخرى فى السكان ، حتى تبلغ كثافتهم ما اعتبروه الكثافة الطبيعية للمنطقة ، وهى ٤٠ شخصا فى الكيلومتر المربع الواحد • ومعنى ذلك حوالى مليون ونصف المليون من السكان ضمن الحدود الحالية للمنطقة •

وقد لقي هذا التقرير المشجع تجاوبا سريعا ، ففى كانون الثانى (يناير) ١٩٢٨ طلبت منظمة « كومزيت » الى الحكومة السوفيتية ، بصورة رسمية ، تخصيص المنطقة للتوطن اليهودى • وفى ٢٨ مارت ١٩٢٨ أصدرت هيئة الرئاسة للجنة التنفيذية المركزية للاتحاد

السوفيتي[1] مرسوما خصصت بموجبه جميع الاراضى الخالية فى منطقة بيروبيجان « للمستوطنات اليهودية المتجاورة ـ أو المتصلة ببعضها » كما منحت المنطقة نفسها صفة « دائرة قومية Rayon يهودية »[2] بالرغم من أنه لم يكن فيها أى يهودى فى ذلك الوقت• وقد تضمنت الفقرة الخامسة من المرسوم صراحة أن التوطن اليهودى اذا سار فى المنطقة بنجاح ، فقد تنشأ فيها دولة يهودية ذات حكم ذاتى •

وقد هللت الصحافة الشيوعية ، فى داخل الاتحاد السوفيتي

(١) « اللجنة التنفيذية المركزية » TsIK هي الجهاز التنفيذى لمجالس نواب سوفيتات العمال والجنود (والفلاحين ايضا بعد سنة ١٩١٨) وكانت قائمة بين سنتى ١٩١٧ و ١٩٣٧ ، وكانت هنالك لجان تنفيذية مركزية لكل من الجمهوريات التى تكوّن منها الاتحاد السوفيتي ، ولجنة تنفيذية مركزية للاتحاد السوفيتي • وكانت لها سلطات تشريعية وادارية ، وكان رئيس اللجنة التنفيذية المركزية من الناحية الرسمية له صفة رئيس الدولة • وبعد أن أصدر ستالين الدستور السوفيتي الجديد فى سنة ١٩٣٦ ، قسمت وظائف « اللجنة التنفيذية المركزية » بين مجلس السوفييت الاعلى ، وهيئة الرئاسة (البريزيديوم) ، وأصبح رئيس « البريزيديوم » الرئيس الرسمي للدولة •

(٢) « رايون » ـ وحدة ادارية اقليمية تؤلف جزءا من الوحدات الادارية التى هى اكبر منها : « اوبلاست » و « كراى » ، وهى تقسم بدورها الى « سوفيتات القرى » • أما فى الجمهوريات الاتحادية التى ليست مقسومة الى وحدات من نوع « اوبلاست » أو « كراى » فتكون « الرايونات » تابعة لحكومات الجمهوريات مباشرة • وتقسم المدن الكبرى ، لاغراض ادارية ، الى عدد من « الرايونات » أيضا • جميع الاعمال الحكومية والفعاليات الاخرى داخل الرايون تراقبها اللجان الحزبية الموجودة فى كل منها •

وخارجه ، للمشروع ، ووصفته بأنه نقطة تحول فى تاريخ الشعب اليهودى ، وقامت منظمتا « كومزيت » و « اوزيت » على الفور بشن حملة نشيطة للدعاية للمشروع وتنميته •

ان الدوافع التى حملت السلطات السوفيتية على اتخاذ هذه الخطوة كانت متعددة ومختلطة ، أهمها :

أولا ، ايجاد حل للمشكلة اليهودية فى روسيا وتحسين حالة ذلك القسم من السكان اليهود الذين لم يجدوا لانفسهم مكانا فى النظام الاقتصادى الجديد ، واعادة اعتبارهم • وكانت هذه العناصر ، فى نهاية العقد الاول من قيام النظام السوفيتى ، تؤلف قطاعا كبيرا من مجموع السكان اليهود •

وقد وجدت السلطات السوفيتية ان هذا المشروع سيعيد حياة اليهود فى الاتحاد السوفيتي الى الوضع الطبيعي ، بجعل اليهود « أمة » أو « قومية » لها جذور اقليمية ، شأن غيرها من القوميات • ان أحد أركان « الامة » أو عناصرها الضرورية - حسب التعريف الستاليني الرسمى - هو أن يكون لها اقليم خاص بها ، فاذا منح اليهود هذا الاقليم ، واستطاعوا أن ينشئوا عليه كيانا خاصا بهم ، يكون مركزا قوميا وثقافيا لهم ، فانهم سيصبحون أمة بصورة اوتوماتيكية •

وكان هذا الحل - فى رأى السلطات السوفيتية - سيؤدى ايضا الى تحويل اليهود من طبقة الى أخرى : من طبقة برجوازية ، تعيش على الاعمال غير الانتاجية ، الى طبقة عاملة منتجة ، وسيوفر لهم بداية حياة جديدة فى الزراعة والصناعات الاساسية •

ثانيا ، كسب عطف اليهود فى جميع أنحاء العالم ، واحباط

دعايات العناصر اليهودية المعادية للسوفيت فى الخارج ، والحصول على التأييد المعنوى والمادى لليهود فى الخارج ، وفى الولايات المتحدة بصورة خاصة •

ثالثا ، الاعتبارات الستراتيجية • فقد كانت الحكومة السوفيتية غير مرتاحة لوجود منطقة حدود خالية من السكان تقريبا ، مجاورة لمنشوريا المزدحمة بالسكان •

ان محاذير بقاء تلك المنطقة خالية قد أثارت مخاوف الحكومة القيصرية أيضا ، فقد شعرت بأهمية تأهيل المنطقة الكائنة بين نهرى (بيرا) و (بيجان) ، وشرعت بارسال مستوطنين من اوكراينا اليها منذ سنة **١٩٠٨** حيث بدأ العمل بمشروع سكة حديد سيبيريا • ولكن مشروع الاستيطان الاوكرايني انهار خلال الحرب العالمية الاولى ، لان المستوطنين الذكور جندوا للخدمة فى الجيش ، وعادت نساؤهم الى اوكراينا •

وفى أواخر العشرينات أصبح الاتحاد السوفيتي يتخوف من تزايد عدد المتسللين الصينيين عبر الحدود • وكانت الصين ، المزدحمة بالسكان ، تقذف بموجات من اللاجئين الى جميع البلاد المجاورة لها أو القريبة منها ، وظهر هنالك خطر حقيقي بأن يستولوا أيضا على المناطق القليلة السكان فى سيبيريا الشرقية •

وقد أخذ الناطقون السوفيتيون يؤكدون على ضرورة توطين مناطق الحدود بأقصى سرعة • ويمكن العثور على تصريحات بهذا المآل فى بعض المنشورات السوفيتية الصادرة فى تلك الفترة ، منها تصريح « آبرام ميريجين » - نائب رئيس منظمة « كومزيت » - في

تقرير قدمه الى تلك المنظمة بتاريخ ١٢ تموز (يوليو) ١٩٢٨ ، أكد فيه على أهمية تأهيل بيروبيجان خلال عشر سنوات ، أو خمس عشرة سنة ، لصد سيل الصينيين :

« خلال عشر سنوات ، أو خمس عشرة سنة ، سيكون هنالك جمهور كثيف من الصينيين الذين انتقلوا قرب نهرى « آمور » و « سونكارى » . وسيكون سكان منشوريا قد بلغ عددهم فى ذلك الوقت حوالى ثلاثين مليونا . ومن هنا تنشأ مسألة امكانية اسكان منطقة آمور فى بيروبيجان خلال العشر سنوات أو الخمس عشرة سنة القادمة . فاذا أمكن تأهيلها فى الوقت المناسب تكون هجرة المزارعين الصينيين قد اصبحت مستحيلة »[١] .

ولم يمض وقت طويل ، الا وأصبح من الواضح أيضا ، أن توطين منطقة بيروبيجان بالسكان سيصد من خطر أى توسع ياباني محتمل فى الشرق الاقصى السوفيتى . ومع تدهور الوضع الدولى ، وخاصة بعد الغزو الياباني لمنشوريا فى سنة ١٩٣١ أخذت الاعتبارات الستراتيجية لمناطق الشرق الاقصى السوفيتى تظهر بصورة مضاعفة . وكان الاتحاد السوفيتي مضطرا الى استبقاء قوات كبيرة فى المناطق المجاورة لساحل المحيط الهادىء .

ان الحكومة السوفيتية لم تنس أسباب اندحار روسيا فى الحرب الروسية ـ اليابانية قبل ثلاثين سنة ، وكانت على علم تام بالصعوبات التى تواجهها عمليات تجهيز قواتها بالطعام والعتاد من المراكز الزراعية

(١) A.N. Merezhin, *O Birobidzhane*, ed. KOMZET, Moscow, 1929, p. 10

والصناعية فى روسيا الاوربية . ولذلك رأت من المفيد ، بل ومن الضرورى ، أن تؤسس فى مكان قريب مراكز زراعية وصناعية يكون من شأنها حل تلك المشكلة التى قد تواجهها يوما ما .

قال الكاتب السوفيتي « فيكتور فينك » الذى رافق بعثة ICOR الى بيروبيجان[١] :

« الى جانب تحقيق حل للمسألة اليهودية ، فان اللجنة التنفيذية المركزية قدمت بهذا الصدد حلا لمشكلة أخرى لا تقل عنها أهمية ، وهى اسكان المساحات الشاسعة فى الشرق الاقصى ، أو ـ بعبارة أدق ـ استيعابها من قبل الدولة السوفيتية ، تلك المساحات التى يثير بقاؤها خالية مطامع جيراننا الامبرياليين »[٢] .

كما صرح الاقتصادى السوفيتي (اليهودى) المشهور « يورى لارين » :

« ان توطينا عاجلا لبيروبيجان كان أمرا ضروريا للحد من أحد العوامل التي تغرى الاستعمار الياباني بالشرق الاقصى السوفيتي »[٣] .

ان مجلة « تريبيونا » Tribuna الناطقة بلسان « اوزيت » اعترفت الى حد ما بهذا الحافز السياسى الذى كان وراء اختيار بيروبيجان مقرا للوحدة الاقليمية اليهودية حين أبدت فى مقال نشرته

(١) انظر ص ٥٩ .

(٢) Victor Fink, ''Brobidzhan'' in *Sovetskoye Stroitel'stvo,* May, 1930, p. 117. (باللغة الروسية) .

(٣) Yuri Larin, *op. cit.*, p. 184

في سنة ١٩٣٢ :

« ان جماهير الكادحين اليهود التي يغمرها الولاء للنظام السوفيتي، والتفاني من أجله ، ذاهبة الى بيروبيجان ... ان تلك الجماهير لا تحارب من أجل وطنها فقط ، وليس من أجل وطن جديد ـ فالاتحاد السوفيتي وطنها ـ بل لتقوية الاتحاد السوفيتي في الشرق الاقصى»[١].

بل ان « ديمانشتاين » كان صريحا أكثر من ذلك حين قال :

« من الواضح وضوح النهار لكل مساهم واع في بناء الاشتراكية، أن حماية شرقنا الاقصى من أي تدخل خارجي هو أمر يهم اتحادنا السوفيتي كثيرا . ان أحد العناصر المهمة جدا في هذا المشروع هو ضرورة توطين تلك المنطقة ـ بأكثر كثافة ممكنة ـ بعناصر موثوقة ودؤوبة ، واننا كلما ازددنا قوة في الشرق الاقصى ، كلما ابتعد خطر الحرب »[٢].

---

(١) *Tribuna*, No. 9, 1932

(٢) Dimanshtaine, *Yidishe Avtonome gegend*, Moscow, 1934

(« المقاطعة اليهودية ذات الحكم الذاتي » ـ باللغة اليدية)

بيروبيجان : المقاطعة اليهودية ذات الحكم الذاتي

الفصل الرابع

منطقة بيروبيجان وصفها وتاريخها

وصف المنطقة

ان مساحة المنطقة التى خصصت للتوطن اليهودى فى الشرق الاقصى بموجب القانون الصادر فى ٢٨ مارت ١٩٢٨ تبلغ ٣٧٫٠٠٠ كيلومتر مربع (أو ١٤٫٨٠٠ ميل مربع)[1] .

وتقع هذه المنطقة فى جيب يحدثه انعطاف كبير فى نهر «آمور» الذى يفصل بين الاتحاد السوفيتى ومنشوريا . وتمتدحدودها الجنوبية، والجنوبية ــ الغربية ، محاذية لذلك النهر العريض لمسافة ٥٥٠ كيلو مترا تقريبا ، مبتدئة من نقطة في غرب مدينـة « خاباروفسك » ، ثم تنحني معه شمالا ثم شرقا ، فتتبع خطا منحنيا يتجه شرقا فجنوبا حتى تحاذى أنهار « كوزمون » و « اومرى » و « تونكوسكا » .

وفى القسم الغربي والشمالى من المقاطعة تقع جبال « خينكان » الصغيرة التى يبلغ اقصى ارتفاعها ١٫٠٦٦ مترا (٣٫٥٠٠ قـدم) .

---

(١) وهي بذلك أكبر من مساحة فلسطين التي تبلغ ٢٦٫٠٧٢ كيلومتر مربع (أو ١٠٫٤٢٩ ميل مربع) .

وذلك القسم من المقاطعة بأجمعه عبارة عن تلال ليست صالحة للزراعة ، ولكنها تحتوى على غابات كثيفة غير مستغلة ، وتتوافر فيها أنواع ثمينة من الاخشاب ، كما توجد فيها حيوانات ذات فراء •

والمنطقة غنية بثروتها المعدنية ، ويوجد فيها الفحم والزئبق والصفيح والنحاس والحديد ، وقد قدرت كميات الحديد المخزونة فيها بـ ٦٠٠ مليون طن • وكذلك يوجد فيها الذهب ، كما اكتشفت فيها مؤخرا كميات كبيرة من المغنيسيا • ويستخرج من المنطقة ، فضلا عن ذلك ، الغرافيت ، والمرمر ، والاسبست ، والاحجار شبه الكريمة • وقد أعدت للمنطقة خارطة جيولوجية فى سنة ١٩٣٢–١٩٣٣ من قبل أعضاء بعثة أرسلت اليها برعاية « الصندوق الجيولوجي للشرق الاقصى » •

أما الامكانيات الزراعية فمتوافرة فى جنوب المنطقة وشرقها • ومعظم الاراضى فى تلك الاقسام تغطيها الاهوار والمستنقعات التى تتجمد شتاء • واذا جرفت المياه عنها ، فانها تكون – مع الاراضى السهلية الاخرى – صالحة للزراعة وانتاج الحبوب (كالحنطة والذرة والرز) وكذلك البقول والبطاطس • والمراعى فيها كثيرة ، مما يساعد فى صناعات الالبان ، وتربية المواشي ، والنحل • وفى المنطقة كميات وافرة من المياه للرى ، بالاضافة الى بحيرات متعددة ، ففيها حوالى ٢٠٠ من الانهار الكبيرة والصغيرة التى تتقاطع فى كل الاتجاهات ، أكبرها نهرا « بيرا » و « بيجان » ، وهما فرعان لنهر « آمور » ، وصالحان للملاحة لمسافة تبلغ ٨٠٠ كيلومتر تقريبا ، واسم المنطقة مستقى منهما •

وتقع المنطقة على خط العرض الذي تقع عليه أوكرانيا وكندا الجنوبية ويقال أن المهاجرين من المناطق المعتدلة يجدون مناخها محتملا • وشتاؤها قاس ، ولكن بردها جاف ، وفيها أيام مصحية كثيرة • وفي الربيع تهب فيها احيانا رياح قوية ، أما الفصل المتعب أكثر من غيره فهو الصيف ، وخاصة فى الشهرين الممطرين – تموز وآب – وتعقب الامطار فيضانات شديدة أحيانا •

وكان سكان المنطقة ، فى بداية تخصيصها للتوطن اليهودى فى أوائل سنة ١٩٢٨ يبلغ عددهم ٣٤٫٠٠٠ تقريبا ، وكانت كثافة السكان قليلة جدا : أقل من ٣ اشخاص لكل ميل مربع ، ولم يكن فى المنطقة أى يهودى • وتكوينها السكانى كالآتي :

٧٨٫٤ ٪ روس (معظمهم من القوزاق) وأوكراينيون وبيلوروسيون
١٠ ٪ كوريّون
١٫٦ ٪ صينيون
١٠ ٪ قبائل من سكان المنطقة الاصليين[١]

ومعظم الاقسام الآهلة بالسكان كانت تقع على ضفة نهر آمور ، وعلى امتداد سكة حديد عبر – سيبيريا التى تخترق المقاطعة من الغرب الى الشرق فى مسافة تمتد ٣٣٠ كيلومترا تقريبا •

---

(١) Yarmolinsky, *op. cit.*, vol. II, p. 373

ويذكر « كولارز » نسبة اخرى ، هى : ٨٠٪ روس ، ٨٫٦٪ اوكراينيون ، ١٫٦٪ بيلوروسيون ، ١٠٪ كوريون ، ١٫٦٪ صينيون ، ١٪ ناناى ويفنكي وشعوب محلية أخرى •
(Kolarz, *op. cit.*, p. 174)

ان أكبر مدن المقاطعة هى العاصمة ، وتدعى « بيروبيجان » أيضا • وكانت هذه المدينة فى سنة ١٩٢٨ محطة قطار صغيرة على سكة حديد سيبيريا ، تدعى « تيخونكايا » (ومعناها بالروسية : المكان الهادىء) • وقد أصبحت هذه المحطة فى سنة ١٩٣١ قرية ، وأطلق عليها اسم « بيروبيجان » ، ثم أصبحت مدينة • وأقرب المدن الكبيرة فى الشرق الاقصى السوفيتي اليها هى « خاباروفسك » التى تبعد عنها ١٧٣ كيلومترا ، أما المسافة بين موسكو ومدينة بيروبيجان فهي ٨٫٣٦١ كيلومترا •

تاريخ المنطقة

ان مقاطعة « بيروبيجان » هي جزء من الاراضى الواقعة على الضفة الغربية من نهر « آمور » — أو التى تسمى « برى آمورى » • ولهذا فان تاريخ استيطان بيروبيجان يرتبط ارتباطا وثيقا بتاريخ استيطان تلك المنطقة بصورة عامة •

لقد ظهر الروس فى منطقة « برى آمورى » للمرة الاولى قبل حوالى ٣٥٠ عاما ، وفى تلك الاوقات كانت تسكنها قبائل أصلها من منشوريا ، تمارس الصيد ، وصيد الاسماك ، والزراعة • وكانت تلك القبائل تدفع اتاوة الى « خان » الصين — أو ملكها — المسمى « باكيد » • وقد بلغت أخبار ما تمتلكه تلك القبائل من ثروات ضخمة الى الروس ، وظهرت فكرة الاستيلاء على المنطقة ، مثلما تم الاستيلاء على سيبيريا قبل ذلك الوقت بقليل •

وفى سنة ١٦٤٣ وصل منطقة « برى آمورى » — من « ياكوتسك » —

« فاسيلي بورياكوف » الملقب بـ « الرئيس الكاتب » مع جماعة من المسلحين ، وبقى فيها ثلاث سنوات ، ولكنه فقد كل رجاله تقريبا فى معاركه مع المنشوريين ، ورجع الى « ياكوتسك » خائبا •

وفى سنة ١٦٤٩ جرت محاولة جديدة للاستيلاء على منطقة « برى آمورى » ، اذ توجه اليها من ضفاف نهر « بنيسى » مهاجر غني ، وهو مزارع من مقاطعة « فولوكودسكايا » يدعى « يروفى بافلوفيج خاباروف » ، وكان له هدف واضح ، وهو تطويق السكان المحليين فى المنطقة ، وتحقيق ثروة طائلة لنفسه وللقيصر الروسى — وكان على عرش روسيا فى ذلك الوقت « الكسيس ميخائيلوفيج » (١٦٤٥–١٦٧٦) •

وتمكن « خاباروف » من تحقيق هدفه والانتصار على السكان المحليين فى معارك عديدة ، ولكن القسوة التى مارسها ، وقيام رجاله باعمال الاعتداء والسلب ، حملت السكان المحليين على كراهية الروس ومقاومتهم بشدة[1] •

ان مدينة « خاباروفسك »[2] الحالية فى الشرق الاقصى

---

(١) Y.I. Vaneev, *Biro-Bidjan*, Blagoveshinsk, 1931, p. 8

(٢) أكبر مدن الشرق الاقصى السوفيتى فى الوقت الحاضر ، والمركز السياسى الرئيسي للمنطقة ، وأهم مركز للمواصلات فيها • سكانها (بموجب احصائية ١٩٥٩) ٣٢٢٫٠٠٠ نسمة • وفيها صناعات هندسية ، ومصاف للنفط وغير ذلك • أسست « خاباروفسك » كمحطة عسكرية فى سنة ١٨٥٨ ، وفى سنة ١٨٨٠ حلت محل « نيقولاييفسك » كعاصمة للمنطقة البحرية •

السوفيتي تحمل اسم هذا الرائد .

وبعد « خاباروف » جاءت الى المنطقة حملات عديدة بقيادة « ستيبانوف » و « باشكوف » وغيرهما . ولم يكن باستطاعة جماعات صغيرة من القوزاق السيطرة على منطقة « برى آمورى » الشاسعة .

ان جهود روسيا خلال قرنين لضم منطقة « برى آمورى » وبذلك مد النفوذ الروسى حتى شواطىء المحيط الهادىء ـ قد خابت جميعا . ولكن فى سنة ١٨٥٨ انتهزت روسيا المصاعب التى تواجهها الصين ، فعقدت معها اتفاقية فى مدينة « آيكوف » أصبحت بموجبها الضفة اليسرى من نهر « آمور » تابعة الى روسيا . ومنذ ذلك الوقت بدأ الاستيطان الروسى فى ضفاف نهر «آمور » على نطاق واسع .[١] وقد قامت الحكومة الامبراطورية ، بقصد تدعيم وضعها هناك ، وحماية الحدود ، بمحاولة ضعيفة ، لجلب المستوطنين الى الاقليم الذى حصلت عليه حديثا . وقد نقلت بعض العوائل القوزاقية الى المنطقة بصورة اجبارية .

ويصف المؤرخون طريقة اختيار المهاجرين الى المنطقة ، وكيفية تسفيرهم اليها ، بصورة روائية طريفة . فيذكرون أنه منذ ربيع سنة ١٨٥٦ انتشرت فى قرى ما وراء البايكال التى كانت تسيطر عليها « كتيبة الخيالة الثانية » أخبار عن دعوة الراغبين فى الهجرة الى منطقة آمور . ولكن لم يظهر هنالك أى راغب . ولذلك صدرت الاوامر بانتقاء المهاجرين بطريقة القرعة ، أو بالطريقة التى يختارها المسؤولون

---

(١) Vaneev, *op. cit.*, p. 9

فى كل منطقة . وقد عهد الى قائد الكتيبة « خيللوفسكي » بجمع المهاجرين الاوائل وايصالهم . وذكر القائد فى البيان الذى أصدره عن اختيار المهاجرين « أنهم سيمنحون أراضي أفضل وأصلح للزراعة من أراضيهم الحالية . وستكون هناك مراع جيدة لمواشيهم ودوابهم ، ومياه وأخشاب بكميات وافرة . كما أن المهاجرين سيحصلون على معونة مالية لمدة سنتين فى محل اقامتهم ، اذ سيمنح كل منهم ١٥ روبلا فى الشهر طيلة المدة ، مع مواد غذائية . أما الفقراء منهم فسيحصلون على ملابس بدون مقابل ... الخ . »

على أن جميع هذه الوعود المعسولة التى قطعها « خيللوفسكي » الماكر الذى كان يصف منطقة آمور بأنها « جنّة » ، لم تغر القوزاق ، لانهم كانوا ينعمون بحياة جيدة نسبيا ، ولا يشعرون بحاجة الى تغيير محل اقامتهم . ولذلك فان كل رجل منهم كان حين يسحب بطاقته ، ويجد عليها عبارة : « الى آمور » ، يبدو عليه وكأنه محكوم عليه بالاعدام . واذا حانت ساعة الوداع كان المهاجرون ومودعوهم متلاصقين يبكون فكانوا يفصلون بعضهم عن بعض بقوة الرجال ، ثم يوثقون بالحبال ، ويوضعون فى العربات . وكان هذا المشهد يتكرر فى كل قرية . وحين يتم وضع المهاجرين فى السفن يعود اليهم شىء من الهدوء .

وهكذا فان الهجرة الى منطقة آمور ، والتوطن فيها ، لم تكن باختيار من القوزاق أنفسهم ، ولم يسألهم أحد هل تعجبهم المنطقة ، وهل الارض صالحة للزراعة .

وحين تصل الباخرة المملوءة بالمهاجرين الى البقعة المقصودة ،

ويشاهد كبير الملاحين على البر عمودا مرتفعا عليه لوحة ، ترسو
السفينة ، ويؤمر ركابها بالنزول الى البَرّ ، فينزلون ومعهم المواد
الغذائية ، وأمتعتهم الشخصية • ويوزع عليهم رئيس السفينة نبيذا ،
ويهنىء المهاجرين بموطنهم الجديد قائلا : « عيشوا باسم الله يا شباب ! »
ثم يعود بسفينته لينقل وجبة أخرى من المهاجرين •(١)

وحين حلت سنة ١٨٥٨ ، ووقعت اتفاقية « آيكوف » مع
الصين ، كانت المنطقة المحيطة بـ « آمور » كلها (وهي منطقة
بيروبيجان الحالية) ابتداء من هضبة « خينكان » مستوطنة من قبل
القوزاق • وفى هذه المنطقة استوطنت ٣٦٠ عائلة قوزاقية ، وظهرت
فيها القرى ، الواحدة تلو الاخرى •

ان هذه القرى القوزاقية ما تزال موجودة منذ سنة ١٨٥٨ ، حتى
ان أسماءها لم تتغير ، وأكثرها سميت بأسماء رؤساء هذه الهجرة
الاجبارية ، وقادتها ، ورجالها البارزين •

فقرية «رادفسكايا» سميت باسم عالم التاريخ الطبيعي « راده »
الذى عاش قرب هذه المنطقة فى عام ١٨٥٧ للقيام بأبحاث حيوانية
ونباتية فى منطقة « خينكان » •

وقرية « بومبيفا » تحمل اسم « بومبي بوليكار بوفيج بوزينو »
القائد الروسي لكتيبة المشاة الآمورية ، وبأسمه أيضا سميت محطة
« بوزينو » •

وقرية « يكانيو ـ نيكولسكايا » سميت باسم زوجة الكونت

(١) *Ibid.*, pp. 9-10

« مورافيوف ـ آمورسكي » الذى أوحى الى القيصر الكسندر بالاستيلاء
على منطقة « برى آمورى » •

وقرية « ميخايلو ـ سيمونوفسكايا » أطلق عليها اسم الجنرال
« ميخائيل سيمونوفيج كورساكوف » الحاكم العام لمنطقة سيبيريا
الشرقية •

وقد استمرت مراكز التوطن فى تلك المنطقة بالازدياد ، وظهرت
مراكز جديدة مثل « آرلوفكا » و « سباسكيا » و « زابيليفا » • ولم
ينقطع تهجير القوزاق الذين كانوا يرسلون الى مناطق مسكونة من
المهاجرين القدماء ، أو يبنون قرى جديدة •

ان القوزاق الذى أنزلوا فى ضفة نهر آمور ، تركوا لمواجهة
مشاكلهم وبناء حياتهم الجديدة لوحدهم • ولم تكن هنالك أية مساعدة
طبية أو بيطرية • وفى السنوات الاولى أحاقت بهم صعوبات شتى •
ولم يكد القوزاق يبنون حياتهم بصورة مقبولة حتى أغرق فيضان نهر
آمور فى سنة ١٨٦١ أكثر القرى والمحطات فى المنطقة ، وقضى على
كل حصادهم وبيوتهم ومزارعهم • وبنتيجة الفيضان أيضا حصل نقص
كبير فى المواشى بسبب استعمال العلف المتعفن الذى بقي تحت الماء مدة
طويلة • وأخيرا ظهرت « القرحة السيبيرية » التى انتشرت بين القوزاق •

وبعد الفيضان الاول جاء القوزاق بالمواشى مرة أخرى من منطقة
ما وراء البايكال ، ولكن الرعي كانت تحف به صعوبات كثيرة ، لان
المواشى كانت تقاسى من الوحوش المفترسة التى كانت تكثر فى المنطقة •
وكانت الذئاب تهاجم قطعانا من الغنم والماعز وتقضي عليها بأكملها •
ولكن أكثر الوحوش التى قاسى منها القوزاق هى النمور التى كانت

كثيرة جدا ، وتتجول حول البيوت ، ولا تكتفي بالهجوم على المواشي، بل تفترس كثيرا من الناس أيضا •[١]

وفي سنة ١٨٧٢ فاض نهر آمور ثانية ، وكانت أضراره هذه المرة تزيد كثيرا عن أضرار فيضان سنة ١٨٦١ ، والمراكز القائمة في المنخفضات القريبة من النهر اقتلعها تيار الماء الجبار من أساسها • وبعد هذا الفيضان انتقلت كل مراكز التوطن الموجودة في المنخفضات ،والتي قاست من ويلات الفيضان ، الى المناطق الداخلية ، وتوزعت على ضفاف نهري « بيرا » و « بيجان » ، وقد توسعت القرى القديمة وظهرت الى جانبها قرى جديدة •

وأخيرا في الفترة ما بين سنة ١٩٠٨ و ١٩١٢ قامت هيئة الاسكان بمشروعات اسكان المناطق الواقعة شمال نهر آمور في منطقة «بيروفيلد» الحالية ، وفي حوض نهر « اون ـ بيري » • وقد بدأ اسكان المهاجرين في هذه المحلات في سنة ١٩١٠ ، وظهرت عدة قرى جديدة •

ان عددا من الكوارث التي شهدتها هذه المنطقة في سنة ١٩١٥ قضت على الوحدات الانتاجية الفنية فيها ، وأجبرت المهاجرين الجدد

(١) جاء في تقرير رسمي عن احدى الحوادث الوصف الطريف الآتـي :

« في احدى الليالي هجم النمر فجأة على الحارس الواقف قرب مخزن المؤونة في قرية ميخايلو سيمونوفسكايا • وكان الحارس رجلا قويا ، ولكن الصراع على الحياة والموت كان عنيفا • وقد قتل الحارس في النهاية ، وكانت ترقد الى جانب جثته حربة مكسورة • أما رأس الحارس فكان مقطوعا ، وملقى على غير بعيد من الجثة ، وأما الجثة فكانت ممزقة ، والدم قد لطخ جدار المخزن • لقد ترك النمر وراءه آثارا دموية • أما الاقفال والمفاتيح فقد وجدت سليمة » •
(*Ibid.*, p. 11)

على ترك قراهم • فقد كان صيف سنة ١٩١٥ ممطرا جدا ، واستمرت الامطار أربعة أشهر متتالية ، وبسبب فيضانات كبيرة • وفي ذلك الصيف لم يتمكن المستوطنون الجدد من الحصاد ولا جمع العلف للحيوانات ولا اعداد الاراضي للموسم الزراعي التالي • وبعد ذلك اخذت الماشية تتناقص ، وفي ختام كل ذلك دعي أكثر الرجال في هذه القرى الى الخدمة العسكرية ، وأرسلوا الى جبهات القتال النائية •

وقد أدت هذه العوامل الى اضطراب شديد بين المستوطنين ، ففي خريف سنة ١٩١٥ غادرت المنطقة ٢٩٣ وحدة انتاجية ، أي حوالي ٦١ بالمائة من مجموع المستوطنين في السنوات الست الاخيرة ، وعادوا الى المدن والقرى التي جاءوا منها •[١]

وكان الاتجاه الثاني لحركة الاستيطان موازيا لخط السكة الحديد التي شرع في بنائها عام ١٩٠٨ واستمر العمل فيها حتى عام ١٩١٦ ، ففي هذه الفترة بنيت قرى كثيرة موازية لسير الخط الحديد أو قريبة منه • وبين سنتي ١٩١٠ و ١٩١٢ بنيت في المنطقة عدة محطات للقطار: « بيرا » و « لوندوكو » و « تيخونكايا » ، وبالقرب من هذه المحطات ظهرت القرى • وقد بنيت قرية « بيروبيجان » بالقرب من المحطة الاخيرة « تيخونكايا » •

وكان أوائل سكان هذه القرى في الغالب من العمال الذين اشتغلوا في بناء سكة حديد آمور ، وبعد الانتهاء من بناء ذلك الخط ، وبدء سير القطارات عليه بصورة منتظمة ، ظهرت موجة جديدة من العمـــال

(١) *Ibid.*, p. 12

والمزارعين والحرفيين والصناعيين ، فسكن قسم منهم فى هذه المحلات الجديدة ، وعاد آخرون الى مواطنهم الاصلية ، وتوغل قسم ثالث الى الاماكن الداخلية بحثا عن فرص العمل وامكانيات العيش • وأخذ عدد سكان المنطقة ، بالنتيجة ، يتزايد من سنة لاخرى •

وفى صيف سنة **١٩٢٧** وصلت الى المنطقة البعثة التى أوفدتها الحكومة الجديدة فى روسيا ـ الحكومة السوفيتية ـ لدراسة امكانية اتخاذها مقرا لتوطين اليهود ، ومدى صلاحها لذلك ، فكان وصولها فاتحة عهد جديد فى تاريخها •

الفصل الخامس

المشروع بين أنصاره وخصومه

لم تلق تجربة بيروبيجان ـ بالرغم من الدعاية الواسعة التى صحبتها ـ ترحيبا من جميع اليهود فى الاتحاد السوفيتى ، ولا من جميع الشيوعيين اليهود ، بل انها كانت محل نزاع شديد ، وموضوع مناقشات طويلة حامية بين زعماء اليهود والمسؤولين عن شؤونهم فى الحزب والحكومة ، ظهر صداها فى الصحافة السوفيتية ، وفيما نشره أنصار المشروع ، وأجهزة الدعاية الحكومية ، من كتب ودراسات •

وقد ذهب خصوم المشروع عدة مذاهب • فمنهم من كان يرى وجوب توطين اليهود فى احدى مناطق اوكراينا ، ومنهم من كان يدعو الى توطينهم فى القرم • أما الصهيونيون فكانوا ، بطبيعة الحال ، يرون فى فلسطين الحل الوحيد لمشكلة اليهود فى الاتحاد السوفيتي وفى العالم ، ويعدون مشروع بيروبيجان نسفا للمخطط الصهيوني ، أو على الاقل اضعافا له •

وكان أنصار فكرة توطين اليهود فى اوكراينا أو القرم يرون فى مشروع بيروبيجان تنازلا لا لزوم له أمام أعداء السامية فى روسيا الاوربية ، واضرارا بمصالح الشعب اليهودى فى الاتحاد السوفيتى •

وكانوا يقولون بأن الاموال التى خصصت لذلك المشروع يمكن أن تنفق ، بصورة أكثر فائدة ، على تنمية المستوطنات اليهودية الموجودة فى اوكراينا أو القرم ، خاصة وأن هذه المناطق مألوفة لدى اليهود، وقد عاشوا فيها منذ أجيال وقرون • وكان من رأيهم أيضا أن بيروبيجان قد تصلح وطنا لمستوطنين ذوى تقاليد زراعية ، ولكن ليس لشعب كاليهود ، لم يمارس الزراعة الا حديثا •

ويبدو أن بعض اليهود كانوا يطمعون فى انشاء مقاطعة يهودية فى منطقة « اوديسا » فى اوكراينا • وكانت مدينة « اوديسا » — ميناء الاتحاد السوفيتى على البحر الاسود — من أقدم مراكز التجمع اليهودى فى روسيا ، وبؤرة الصهيونية فيها ، ومركز جماعات « عشاق صهيون » التى انتشرت فروعها فى جميع المناطق التى يوجد فيها اليهود فى روسيا • وكان رئيسها فى اوديسا « ليو بينسكر » مؤلف كتاب « التحرير الذاتى » ، ورائد الفكرة الصهيونية بين يهود روسيا فى شكلها الحديث •[1]

ويروى الدبلوماسى الالمانى السابق « كارل داينتسمان » فى

(١) كان « بينسكر » فى كتابه « التحرير الذاتى » أول من عبّر عن التيار « القومي » بين يهود روسيا بصورة واضحة المعالم وباقتراحات معينة • وقد نشر هذا الكتاب فى سنة ١٨٨٢ أى قبل كتاب هرتزل « دولة اليهود » بأربعة عشر عاما • وبالرغم من تشابه آراء هرتزل وبينسكر واقتراحاتهما ، فان هرتزل حين وضع كتابه لم يكن قد اطلع على كتاب بينسكر أو سمع به ، وقد قرأه بعد صدور كتابه ، وقال فى مذكراته انه ربما لم يكن ليكتب كتابه لو علم بوجود كتاب بينسكر •

مقالة نشرها فى سنة ١٩٥٣ ما يأتى :

« كنت قنصلا فى أوديسا خلال السنوات بين ١٩٢٦ و ١٩٢٨ ، وكانت هذه هى الفترة التى تبنّى فيها الاتحاد السوفيتى فكرة حماية حقوق الاقليات ، وأفسح المجال لظهور مستوطنات ومقاطعات خاصة للاقليات فى شكل جمهوريات أو مقاطعات ذات حكم ذاتى • ان الجالية اليهودية القوية عدديا فى اوديسا قد غمرها الامل بأن منطقة اوديسا يمكن أن تصبح مقاطعة من هذا النوع ، وقامت بالدعاية لهذه الغاية • ولكن هذه الرغبات سرعان ما أخمدت ، وكأنما نزلت عليها صاعقة • اذ قامت الشرطة السرية باعتقالات واسعة النطاق ، وتم توقيف عدة مئات من اليهود فى ليلة واحدة ، ثم جرى نفيهم الى سيبيريا بقرار ادارى • وكان المعتقد أن حركة أوديسا تعود فى أصولها الى الصهيونية التى كانت ترمي الى جعل « اوديسا » طليعة لاورشليم ، ولذلك شمل التوقيف جميع الصهيونيين المحليين بدون استثناء • وهكذا جعلت فكرة المقاطعة اليهودية مخطرة سياسيا ، فلم يعد يتطرق اليها أحد • وبعد ذلك بمدة أنشأت الحكومة بيروبيجان كبديل لاوديسا » •[1]

وقد جرى النقاش حول مزايا مشروع بيروبيجان وعيوبه فى أواخر العشرينات بقدر كبير من الصراحة التى لم تعد ممكنة بعد ذلك بعشر سنوات •

وكانت الاقسام اليهودية فى الحزب (اليفسكتسيا) منشقة فيما يتعلق بمشروع بيروبيجان ، وفى جدواه وفائدته ، وكان هنالك ،

(١) Dr. Carl Dienstman, in *Frankfurter Allgemeine Zeitung*, March 19, 1953

حتي سنة ١٩٣٠ ، معسكران : أنصار القرم ، وأنصار بيروبيجان •

والى جانب هذين المعسكرين ، قامت فئة ثالثة من الحزب الشيوعي فى بيلوروسيا ، فناضلت مدة من الزمن من أجل الحصول على اقليم يخصص لتوطين اليهود فى جمهورية بيلوروسيا ، بدلا من اغــراء سكانها اليهود على الذهاب الى مناطق أخرى • ولكن مركز الاقسام اليهودية في الحزب في موسكو رفض هذا الطلب رفضا قاطعا •

وهنالك زائر أمريكي كان قد حضر مؤتمر « اوزيت » فى سنة ١٩٣٠ ، كتب مؤخرا أن الوفود الشيوعية عارضت التوطين فــى بيروبيجان فى الأجتماعات التمهيدية الخاصة ، ولكنها لم تجرؤ على ذلك فوق المنبر •[١]

ان الشخص الوحيد الذى جعل معارضته علنية صريحة ، وحارب فكرة توطين اليهود فى منطقة بيروبيجان ، هو « يورى لارين » ، رئيس منظمة « كومزيت » ، فقد كان على رأس خصوم المشروع • وقد دافع عن فكرة اتخاذ منطقة التوطن اليهودى فى شبه جزيرة القرم ، وقال بصراحة وبدون أى تحفظ : « ان الاصوات غير المعقولة التى ترتفع دفاعا عن بيروبيجان لا تتناسب مع الاهمية الحقيقية لتلك المنطقة بالنسبة للبروليتاريا اليهود » •[٢]

وقال « لارين » ان بيروبيجان منطقة تتألف من مستنقعات ، وتكثر فيها حشرات التسي تسي ، وتغمرها الفيضانات من وقت لآخر ،

(١) Melech Epstein, 'Pages from my Stormy Life', *American Jewish Archives*, vol. 14, No. 2, p. 148

(٢) Yuri Larin, *op. cit.*, p. 153

وشتاؤها طويل قاس ، تنخفض خلاله درجة الحرارة الى أكثر من ٤٠ درجة مئوية تحت الصفر • وهى تبعد عن ساحل البحر اكثر من ألف كيلومتر[١] ، ولذلك كان اليهود الذين اختاروا الذهاب اليها ضحية القرارات المستعجلة ، وخلقوا ضجة فى غير محلها ، وتحولوا الى نوع من الصهيونية ، حلت فيه بيروبيجان محل فلسطين » •[٢]

وقد أخذت معارضة « بيروبيجان » تخفت تدريجيا ، وصار خصوم المشروع يتهمون اما بانحرافات يسارية ، أو بانحرافات قومية ، حتى خمدت المعارضة كليا •

ان الضجة التى أحدثتها الاوساط اليهودية ، فى الاتحــاد السوفيتي وخارجه ، حول المشروع ، حملت السلطات السوفيتية ، ومنظمتي « كومزيت » و « اوزيت » على اصدار بعض الدراسات والكتب عن بيروبيجان ، ومزايا توطين اليهود فيها • وكان من أبرز هذه المنشورات مجموعة من المحاضرات التى القاها ، باقتراح من دار النشر « لينوزيت » ، عدد من اساتذة جامعة لينينغراد ، وجمعتها الدار المذكورة فى كتاب بعنوان « عن بيروبيجان ـ مقالات أساتذة لينيغراد » صدر فى سنة ١٩٢٩[٣] ، وجاء فى مقدمة الكتاب : « ان هيئة ادارة دار النشر لينوزيت قامت باصدار هذه النشرة بسبب التذبذب والارتياب اللذين قابل بهما قسم من المجتمع اليهودى فكرة توطين منطقــة

(١) على أن هذه مبالغة ، لان بيروبيجان تبعد عن البحر بنصف المسافة التى ذكرها « لارين » تقريبا •

(٢) *Ibid.*, pp. 183-190 & 306-307

(٣) *O Biro-bidzhan, Statei Leningradskikh profesorf,* Leingrad, 1929.

بيروبيجان . وباقتراح من هذه الدار نظمت محاضرات أساتذة جامعة لينينغراد الاخصائيين فى هذا الموضوع ، والذين لهم آراؤهم وخبرتهم الخاصة فيه . ان سمعة هؤلاء العلماء ومكانتهم ، تؤكد واقعية البداية الجبارة للمشروع ، وان هيئة ادارة « لينوزيت » باصدارها هذه النشرة، ترغب فى تنوير كل الذين يهمهم هذا الموضوع ودراسته من جميع نواحيه ، وكذلك تسهيل الدراسات المقبلة عنه . ان كل المؤلفين المسهمين فى هذه النشرة هم من الذين يؤيدون حل مشكلة بيروبيجان » .[١]

ومن أوائل الكتب التى صدرت عن بيروبيجان أيضا ، كتاب «ميريجين» ـ رئيس منظمة «اوزيت» ـ المعنون «ماهي بيروبيجان ؟ »[٢] والصادر فى سنة ١٩٢٩ ، ويستعرض هذا الكتاب أسباب المعارضة التى قامت ضد مشروع بيروبيجان ، والصعوبات الحقيقية والمفترضة التى واجهها المشروع ، ومن هم الذين عارضوه ، ثم يدرس الوضع الراهن (فى وقت تأليف الكتاب) فى بيروبيجان ، والمشاكل الطبيعية : الطبقة الجليدية التى تغطى المنطقة شتاء ، وشدة برودتها ، والمستنقعات والفيضانات ، وبعدها عن البحر ، ثم يبحث فى الزراعة والصناعة فى

(١) ويتضمن هذا الكتاب أربع مقالات مفصلة : (١) مقالة الاستاذ « فوشينين » عن « العوامل التاريخية لتوطين منطقة بيروبيجان » (٢) مقالة الاستاذ « بروخوف » عن « أراضي منطقةبيروبيجان ودراستها من الوجهة الزراعية » (٣) مقالة الاستاذ « سوفيتوف » عن « القوة المائية فى منطقة بيروبيجان » (٤) مقالة الاستاذ « كريشتوفيج » عن « جيولوجية منطقة بيروبيجان » .

(٢) A.N. Merezhin, *Shto takoe Biro-bidzhan?*, Moscow, 1929.

المنطقة ، كما يستعرض نتائج السنة الاولى من العمل فيها ، وأسباب عدم تنفيذ خطة سنة ١٩٢٨ وهل كانت تلك الخطة واقعية ، ثم يدرس طبقات السكان من الناحية الاجتماعية ، وكيفية اعانة المعوزين فى المنطقة ، ودور أعضاء الحزب والكومسومول ،[١] وشعار الوحدة الوطنية المحلية ، والمزارع التعاونية والحكومية ، ثم يبحث فى الهجرة الى بيروبيجان وهل تكلف كثيرا ، ويقارن بين بيروبيجان والقرم مبينا أفضلية المشروع الاول ، ويبحث فى امكان توفير عدد كاف من الشغيلة اليهود لبيروبيجان ، وادخال الاستثمارات الاجنبية الى المنطقة ،وامكانات نجاحها .

ويعد هذا الكتاب من أهم الكتب المبكرة الصادرة عن «بيروبيجان» . بسبب مكانة المؤلف ، وخبرته الشخصية فى الموضوع ، ولغزارة المعلومات التى يحتوى عليها الكتاب ، وهو بطبيعة الحال ، يقف موقف التأييد الكامل لفكرة المشروع ، وجدواه فى حل المشكلة اليهوديه ، وتنمية الشرق الاقصى السوفيتى .

ومن الكتب التى صدرت عن بيروبيجان أيضا ، كتاب « بروك » ـ الاستاذ فى جامعة لينينغراد ـ المعنون « بيروبيجان » ،[٢] وهو يحتوى

(١) « كومسومول » : التسمية الروسية المختصرة لـ « عصبة الشبيبة الشيوعية » ، وهى منظمة اسست فى سنة ١٩١٨ لمساعدة الحزب الشيوعى ، وعضويتها خاصة بالشبان والشابات الذين تتراوح أعمارهم بين ١٤ و ٢٦ سنة ، وكان عدد اعضائها فى الاتحاد السوفيتى فى سنة ١٩٥٦ قد بلغ ١٨٫٥ مليون ، وقد قامت هذه المنظمة بدور فعال أثناء تطبيق النظام التعاونى فى الزراعة بصورة خاصة .

(٢) B. Bruk, *Biro-bidzhan*, Leningrad, 1929

على دراسة جغرافية للمنطقة : أرضها ومناخها وشبكة الانهار فيها ، وحيواناتها ، ثم يبحث فى سكان المنطقة ، وأهم محلات اقامتهم ، وفى التقسيمات الادارية للمنطقة ، وطرق المواصلات فيها ، ويبحث فى فصل أخير عن هجرة السكان الى بيروبيجان ، وجو الاستيطان فيها . وقد طبع هذا الكتاب مرتين ، ويعد من المراجع المهمة فى دراسة المنطقة وأحوالها الطبيعية والسكانية فى السنوات الاولى من ظهور المشروع الى الوجود .

ومنها كتاب «فانييف» الصادر سنة ١٩٣١ بعنوان « بيروبيجان» ،[١] وهو يحتوى على وصف للمقاطعة من الناحية الطبيعية : المناخ والانهار والخيرات الطبيعية ووسائل المواصلات ، والسكان وأشغالهم ، والمزارع التعاونية والحكومية الاولى فى المنطقة ، ومناطق الاسكان الاولى فيها .

ومنها كتاب « دروبانوف » المعنون « المقاطعة اليهودية ذات الحكم الذاتي»[٢] وفيه معلومات تفصيلية عن الزراعة والصناعة في المقاطعة ، وعرض للصناعات المختلفة التى أسست فيها خلال السنوات الاولى من انشاء المقاطعة اليهودية ذات الحكم الذاتى فى بيروبيجان . وفيه أيضا فصول عن البناء السوفيتى ، ومنظمتي « كومزيت » و « اوزيت »وعن البناء الثقافي للمقاطعة ، والهجرة اليها .

وهنالك عدد آخر من النشرات والكراسات التى أصدرتها الحكومة السوفيتية عن بيروبيجان فى فترات مختلفة ، الى جانب عدد

(١) Vaneev, *Biro-bidzhan*, Moscow, 1931

(٢) M.B. Druyanov, *Yevriskaya Avtonomaya Oblast*

من المنشورات باللغة اليدية التى وزعت بقصد تشجيع اليهود على الهجرة ، منها كتاب يحتوى على مجموعة من المقالات جمعها « زالبفرت وآخرون » ، وهو مطبوع في فيلنا – عاصمة ليتوانيا – سنة ١٩٣٥[١] .

موقف الصهيونيين من المشروع

ان اشد ما تلقته فكرة بيروبيجان من هجوم ، وأقوى ما قوبلت به من معارضة جاء من جانب الصهيونيين الذين عدوا المشروع محاولة من السلطات السوفيتية لتثبيط المشاعر الصهيونية بين يهود الاتحاد السوفيتي ، وبالتالى نسفا لمخططهم فى فلسطين . وبادرت الفئات الصهيونية من يهود الاتحاد السوفيتى ، وكذلك الدعايات الصهيونية فى الخارج ، الى شن حملة عنيفة على مشروع بيروبيجان ، وصدرت احدى الصحف اليدية فى « اوديسا » – مثلا – فى ١ نيسان (ابريل) ١٩٢٨ وهى تحمل العنوان الكبير الآتي : « لماذا بيروبيجان وليس فلسطين ؟ » .[٢]

وكانت الحجج التى يسوقها الصهيونيون فى معارضة المشروع تتلخص فى أن الشيوعيين قد افقروا اليهود واوصلوهم الى الافلاس ، وأنهم الآن يريدون التخلص منهم بارسالهم الى بقعة نائية موحشة . وأن بيروبيجان لا يمكن أن تكون فى يوم من الايام « نقطة جذب » فى حركة توطين اليهود ، لموقعها البعيد ، ولاسباب سلبية أخرى .

(١) D. Zalbefert, et. al., (ed.) *Birobidzhanish*, Vilna, 1935

(٢) "Far vos Biro-Bidzhan un nit Palestine?", *Die Gezerd Shtein*, April 1, 1928

كما أن تلك المنطقة لا توفر حلا للمشاكل الاقتصادية غير الاعتيادية للشعب اليهودى فى أرض الشتات • ولذلك فان فلسطين ، وفلسطين وحدها ، يمكن أن تكون المركز الثقافي والروحى والسياسى ليهود العالم •

وقامت الصحف السوفيتية ، بطبيعة الحال ، بنشر ردود مختلفة على هذه الهجمات بقلم كتاب يهود وغير يهود ، بالاضافة الى الكتب والدراسات الاخرى التى أصدرتها دفاعا عن مشروع بيروبيجان وتشجيعا لليهود على الهجرة اليها •

ومن أهم ما نشر فى الرد على انتقادات الصهيونيين للمشروع الكراسة التى وضعها « اى • سودارسكي » بعنوان « بيروبيجان وفلسطين »[١] وعقد فيها مقارنة بين التجربة السوفيتية فى بيروبيجان ، والمخطط الصهيونى فى فلسطين لانشاء مركز اقليمى أو وطن قومى ، أو دولة ، لليهود •

عرض « سودارسكي » فى كراسته حجج الصهيونيين فى معارضة المشروع ، ثم رد عليها ، وقارن بين حجم الاراضى الصالحة للزراعة فى كل من بيروبيجان وفلسطين ، وظروف المناخ فى كل منهما ، والمستقبل الاقتصادى الصناعي للمنطقتين ، وأوضح عدم كفاية أراضى فلسطين لاستيعاب اليهود ، مبديا أن فى الاتحاد السوفيتي وحده يمكن ايجاد يهود يعملون في الزراعة ثم تناول في فصل أخير الدوافع الحقيقية الكامنة لمعارضة البرجوازيين اليهود لمشروع بيروبيجان •

(١) J. Sudarski, *Biro-Bidzhan i Palestina*, Moscow, 1930

قال سودارسكي ان « البرجوازيين الصهيونيين أعربوا عن شكوكهم فى قدرة مشروع بيروبيجان على حل مشكلة اليهود • وجاءت بعدهم « الجمعيات الصهيونية البروليتارية » مكررة تلك الشكوك ، واعتبرت من « واجبها الاشتراكى المقدس » تحذير الشغيلة اليهود من خيالات « كومزيت » و « اوزيت » المشتطة • ولو جاء أولئك الشغيلة بشكوك جدية فى ملاءمة منطقة بيروبيجان لهجرة جماهير اليهود ، وحتى لو أنهم حذرونا من افراطنا فى الخيال ، فان واجبنا هو أن نستمع اليهم بصبر ، وبعد ذلك نرد عليهم بتفصيل » •

« ولكن حين تقوم البرجوازية اليهودية ضد بيروبيجان ، وهى فى الوقت نفسه تدعو جماهير اليهود لبناء (الوطن اليهودى) بالاموال والناس فى فلسطين تحت راية الاستعمار البريطاني ، يكون من واجبنا فى هذه الحالة ان نحذر الشغيلة اليهود من محاولات (الاصدقاء) الصهيونيين ، وان نشرح للجماهير اليهودية الاسباب الحقيقية لصراع الصهيونيين ضد بيروبيجان • فالآن ، وبعد خمسين عاما من التدريب العملي لاستيطان اليهود فى فلسطين ، أصبح من الواضح لكل انسان ان فلسطين بالذات ــ وهى التى يعدونها لمواجهة بيروبيجان ــ لا تتمكن بأى حال من الاحوال ان تكون نقطة جذب لاستيطان الجماهير اليهودية ، وان فلسطين ليست عاجزة عن حل المشكلة اليهودية فحسب، وانما هى غير قادرة حتى على توفير قطعة من الخبز لعشرات الالوف من الناس ، ممن تمكنوا بطرق الاحتيال والدعاية الصهيونية الكاذبة من السكنى فى الارض (المقدسة) » •

« اننا سنبرهن على صحة هذا كله ببحوث واضحة عن شروط

الاستيطان والحالة الاقتصادية فى كل من بيروبيجان وفلسطين •وبمقارنة ظروف المنطقتين ، سيظهر اين توجد المجالات المثمرة لتحسين الحالة الاقتصادية لليهود الفقراء »[1] •

« ان الاراضي الكثيرة التى تمنحها الحكومة الســوفيتية لليهود الفقراء فى اوكراينا وبيلوروسيا والقرم ، والتوطين الناجـح لالوف العوائل اليهودية التى تعمل فى الزراعة بصورة ناجحة ، لا تريـح الصهيونيين ، لان هذه الالوف من العوائل المستوطنة تظهر للعالم ان الحكومة السوفيتية تعنى باليهود ومصالحهم ، وانها تريد حل ما يسمى « المشكلة اليهودية » حقيقة ، كما انها تبرهن على ضآلة الاسـتيطان الصهيوني » •

ويمضي « سودارسكى » قائلا :

« وهذا ما كتبه (روبرت ستريكر) ، احد زعماء الصهيونيين ، فى (المجلة الاسبوعية الصهيونية) الصادرة فى ١٥ تشـرين الاول (اكتوبر) سنة ١٩٢٥ :

« ان الحكومةالسوفيتية تعلن بانها تمنح اليهود اراضي زراعية بدون مقابل فى مناطق خيرسون والقرم ، وتساعد المزارعين اليهود • ولكن هذا يعنى ان الاموال اللازمة لاسكناهم يجب ان تدفع من جيوب اليهود انفسهم • ولما كان يهود الاتحاد السوفيتي فقراء ، ولا يمكن جمع التبرعات منهم ، فقد توجهت الحكومة السوفيتية بنداء الى اليهود فى خارج الاتحاد السوفيتي ، وخاصة الى يهود امريكا • وان زعماء

(١) *Ibid.*, p. 6

اليهود الامريكيين ـ وخاصة لوى مارشال وفيليكس واربورغ ، مـن زعماء « جوينت » ـ قد ابدوا استعدادهم لجمع تبرعات ضخمة بمقدار ١٥ مليون دولار ، وتسليم هذ المبلغ الى الحكومـة السوفيتية ، وان الخطوات الاولى لذلك قد بدأت فعلا ، وفى الاسابيع القـادمة سيبدأ اليهود الامريكيون بهذه العملية التى هى عبارة عن اكبر خدعـة لليهود انفسهم •

« ويبدو ان (روبرت ستريكر) شخص صادق ، الا انه عصبي المزاج ، فهو لا يخفي انزعاجه من ان الحكومة السوفيتية اوقعت اولئك الاغنياء الامريكيين فى المصيدة ، وانهم مستعدون لجمع ١٥ مليـون دولار للمهاجرين اليهود فى الاتحاد السوفيتي • ان جميع الصهيونيين استنكروا ذلك مثل استنكار روبرت ستريكر ، وهم الآن يبحثون عن حلول أخرى لمحاربة اشتغال اليهود بالزراعة فيالاتحاد السوفيتي » •

« ومع ذلك ، فان الصهيونيين كانوا يأملون بان الاراضيالزراعية فى اوكراينا وبيلوروسيا والقرم ستنفد بسرعة ، وانهم سيعودون الى خداع العالم بفلسطينهم مرة اخرى • وفجأة تبددت كل احلامهم مثل فقاعة الصابون ، حين اصدرت الحكومة السوفيتية أمرا بمنح اليهـود اراضي واسعة مساحتها اربعة ملايين هكتار »[1] (فى بيروبيجان) •

« وهكذا ، فان فلسطين لا تستطيع ان تنافس بيروبيجان • ولهذا السبب يقوم الصهيونيون بصراع عنيف ضد اشتغال اليهود بالزراعـة فى الاتحاد السوفيتي بصورة عامة ، وفى بيروبيجان بصورة خاصة »[2]

(١) *Ibid.*, p. 11-12

(٢) *Ibid.*, p. 15

« ان الحركة الثورية بين الجماهير العربية ضد الاستعمار الانكليزي ، وضد السياسة الاستعمارية للصهيونيين ـ عملاء الاستعمار الانكليزي ـ قد اظهرت بمزيد من الوضوح ، الافلاس الكامل لمخططات البرجوازية الصهيونية الاعتدائية • ان الحوادث الدامية التي وقعت في فلسطين في آب (اغسطس) ١٩٢٩ اظهرت ان بناء (الحياة اليهودية) على اساس تشريد مئات الالوف من الفلاحين العرب معناه اقامة بناء على فوهة بركان » •

« ولكن الصهيونيين ، مع هذا ، يستمرون في سياستهم واعمالهم الاستعمارية ، لان الرجوع عن تلك السياسة معناه الاعتراف أمام العالم بافلاسهم التام »[1] •

تصريح كالينين وتصريح بلفور

وصفت اجهزة الدعاية السوفيتية المرسوم الخاص بتشكيل المقاطعة اليهودية بـ « تصريح كالينين » وربما كان المقصود بهذا الوصف ان بيروبيجان ستكون تحديا لـ «تصريح بلفور» و «الصهيونية البرجوازية » التي كانت تستند اليه في مطالبتها بانشاء وطن قومي في فلسطين ، ومن ثم انشاء دولة يهودية فيها •

ولم يكن ربط اسم « كالينين » ـ الذي كان رئيسا للدولة السوفيتية في ذلك الوقت ـ بالمشروع مغلوطا ، لانه كان اكثر زعماء الاتحاد السوفيتي اهتماما بالمسألة لليهودية ، وبانشاء المقاطعة اليهودية في الاتحاد السوفيتي • وبينما بدا « ستالين » ـ الخبير السوفيتي الاول

(١) *Ibid.*, p. 25

في مشاكل القوميات ـ وكانه يتجاهل مشروع بيروبيجان كليا ، فان « كالينين » كان يتكلم بحرارة عن هذا المشروع الذي تبناه ، ونظر اليه كنواة لدولة يهودية سوفيتية •

كان « كالينين » ابن فلاح ريفي ، وقد دافع اكثر من اي شخص آخر في روسيا عن فكرة عودة اليهود الى الاعمال الزراعية • وكان يعتقد ان اليهود لا يمكن ان يتطوروا ويستكملوا عناصر الامة الحقيقية طالما كانوا يعيشون في مدن اممية مختلطة القوميات (Cosmopolitan) مما يؤثر حتما في خصائصهم القومية ويؤدي الى طمسها • ولم يكن « كالينين » عاطفيا في المسألة اليهودية، وهو في الحاحه على خلق وحدة اقليمية يهودية ضمن الاتحاد السوفيتي كان مدفوعا بتقدير جدي لمدى نفوذ اليهود في العالم الرأسمالي • وكان يرى ان اليهود « من اكثر الاقوام حيوية ، ولهم نفوذ سياسي كبير » ولذلك كان من المهم لقضية الثورة بنظره ان يكسب الاتحاد السوفيتي عطف يهود العالم ، وان يبعث فيهم شعورا وديا نحوه[1] • وربما كانت آمال « كالينين » صادقة ، لان اليهود في الخارج ، وخاصة في الولايات المتحدة ساهموا في تجربة بيروبيجان مساهمات مالية كبيرة • اما في داخل الاتحاد السوفيتي فقد نظمت « اوزيت » في اوائل الثلاثينات اجتماعات جماهيرية كبيرة نادت بشعار « الاتحاد السوفيتي بأجمعه يبني المقاطعة اليهودية ذات الحكم الذاتي» •

(١) M.I. Kalinin, "Yevri v SSSR", *Revolyutsiye i Natsional'nosti*, 11/12 February-March, 1931, p. 44.

(كالينين ، « اليهود في الاتحاد السوفيتي » ـ مقال في مجلة « الثورة والوطنية » ـ باللغة الروسية) •

وكان زعماء منظمتي « اوزيت » و « كومزيت » – منذ بداية المشروع – يرددون كثيرا من الحجج القومية (المشابهة للحجج الصهيونية) فى نداءاتهم الموجهة الى اليهود فى روسيا ، واكثر من ذلك فى نداءاتهم الموجهة الى اليهود فى الخارج ، وكان هدفهم (الظاهرى على الاقل) نسف المشاعر الصهيونية التى كانت ما تزال قوية بين جماهير اليهود ، باقتراح وطن يهودى فى الاتحاد السوفيتى يكون بديلا لفلسطين التى تتجه اليها انظار الصهيونيين . وكانوا يشجبون الصهيونية بوصفها اداة للاستعمار البريطاني ، ويبرزون مشروع بيروبيجان كوسيلة تؤدى الى تحويل اليهود من طبقة الى اخرى، وذلك ما تمليه الحاجة الاقتصادية الملحة ، وفى نفس الوقت اعادة حياة اليهود الى الوضع الطبيعي ، بجعل اليهود قومية لها جذور اقليمية شأن سائر القوميات فى الاتحاد السوفيتى .

وقد ادرك بعض الزعماء السوفييت – بينهم كالينين نفسه – ادراكا تاما ، ان فكرة قيام مستوطنات خاصة باليهود ، ذات مؤسسات قضائية وتعليمية وسياسية ، تمارس شؤونها باللغة اليدية ، ستوقظ المشاعر القومية بين اليهود . ولم يكن اولئك الزعماء قد تناسوا ماذهب اليه « لينين » من ان اليهود ليسوا أمة ، وانهم بالنتيجة مقضي عليهم بالاندماج الكلي . ولذلك كان الشعار الرسمي الذى اتخذ للمقاطعة اليهودية ذات الحكم الذاتى انها « اشتراكية فى محتواها ، وقومية فى شكلها » .

وقال « آلكسندر خيميريسكى » سكرتير « يفسكتسيا » : « ان المقاطعة اليهودية ذات الحكم الذاتى ستكون اكبر ضربة للايديولوجية

الصهيونية والدينية »[1] .

ومع ذلك فان آثار المشاعر القومية والصهيونية بدأت بالظهور بين اليهود ، ومن هنا جاءت المحاولات المتعددة للكتاب السوفييت فى التأكيد على الفرق الكبير بين الطريقة السوفيتية فى توطين اليهود على الاراضي الزراعية ، واهدافها ، وبين اساليب الصهيونية واهدافها فى فلسطين .

وكتب « م. سيم » فى كانون الاول (ديسمبر) سنة ١٩٣٤ :
« وذلك هو السبب فى وقوع المذابح بين اليهود والعرب . والوفود العربية تقف امام المندوب السامي البريطاني ضد اليهود ، والوفود اليهودية تجادل ضد العرب . وعلى النقيض من ذلك ، كان لدينا فى المؤتمر الاول فى المقاطعة اليهودية ذات الحكم الذاتى مندوبون عن العاملين فى المزارع التعاونية من كل شعوب الاتحاد السوفيتي . وهكذا فاننا خلقنا موجة جديدة من الاخوة العالمية . ولهذا السبب فان الصهيونية هى قاعدة للثورة المضادة والرجعية بين اليهود ، وبؤرة اجتماع العناصر الفاشيستية السوداء والكهنوتية ، بينما يتركز حول المقاطعة اليهودية ذات الحكم الذاتى عطف العناصر التقدمية والثورية بين الجماهير اليهودية فى البلاد الرأسمالية »[2] .

---

(١) Alexander Chemerisky, 'Biro-Bidzhan-der grosser onzog', *Oktiabr*, March 30, 1928

(٢) M. Seme, *Birobidzhanish*, ed. Zalbefert, *et al.*, Vilna, 1935, p. 26.

(شؤون بيروبيجان : مجموعة مقالات عن المقاطعة اليهودية ذات الحكم الذاتى . جمعها زالبفرت وآخرون – باللغة اليدية) .

ان ناحية الشبه الوحيدة بين التجربة السوفيتية فى بيروبيجان ، وبين المخطط الصهيوني فى فلسطين ، كانت فى مناشدة يهود العالم لتقديم المساعدات المالية • وبعد ذلك دعوتهم الى المجيء والتوطن فى بيروبيجان •

الفصل السادس

عمليات الهجرة ونمو المنطقة

السنوات الست الاولى (١٩٢٨ – ١٩٣٦)

حين بدأت عمليات توطين بيروبيجان ، كانت الاراء ما تزال مختلفة حول سعة نطاق التوطين وسرعته ولكن المسؤولين السوفيت كانوا يعتقدون ان الجالية اليهودية فى بيروبيجان ستنمو بسرعة كبيرة • وفى مقابلة أجريت مع « آلكسي ريكوف » رئيس مجلس قوميسارى الشعب لجمهورية روسيا الفدرالية ، صرح ان عدد المهاجرين اليهود فى نهاية مشروع السنوات الخمس (اى فى ٣٠ ايلول – سبتمبر – سنة ١٩٣٣) سيكون قريبا من ٦٠٫٠٠٠ ، وبذلك سيؤلف اليهود الأغلبية الساحقة فى المنطقة •

وكان تقرير بعثة سنة ١٩٢٧ قد توقع ان الاستعدادات لايواء المهاجرين وتمليكهم الاراضي ستستغرق عام ١٩٢٨ بأكمله ، ولذلك اوصى بعدم ارسال اى مستوطنين خلال ذلك العام • واقترحت البعثة فى تقريرها ارسال الف عائلة يهودية فى سنة ١٩٢٩ ، والفي عائلة فى سنة ١٩٣٠ ، وبين ٢٫٠٠٠ و ٣٫٠٠٠ عائلة فى كل سنة بعد ذلك •

أما ما حدث فعلا فقد كان غير ذلك • اذ لم يمض على نشر المرسوم ٣٢ يوما الا ونزلت اول جماعة من المستوطنين اليهود من قطار

فى محطة « تيخونكايا » التى كانت ستصبح فيما بعد ، باسم بيروبيجان، عاصمة المقاطعة والمدينة الرئيسية فيها • وقد حصلت هذه الجماعة على سفر مجاني ، وزود افرادها بمبالغ بسيطة لنفقات الجيب ، ولكنهم حين وصلوا بيروبيجان لم تكن فيها اية ترتيبات لايوائهم أو تمليكهم الارض • واعقبتها جماعات اخرى وصلت خلال الشهرين التاليين ، وكان عدد الاجازات التى منحت فى تلك السنة ٦٠٠ اجازة (اعطيت لـ ٤٥٠ عائلة و١٥٠ فردا) ، وبلغ عدد المستوطنين الذين وصلوا فى السنة الاولى ٦٥٠ شخصا ، وكان بينهم حرفيون ، وعمال ، وسواق ، وأصحاب دكاكين سابقا ، وغيرهم ممن لم يكونوا متعودين على أية اعمال يدوية ، ولكن لم يكن بينهم ـ ربما سوى نفر قليل ـ ممن كانت لهم أية خبرة سابقة فى الزراعة •

وفى السنة التالية ، أى سنة ١٩٢٩ ، وصل بيروبيجان حوالى ألف شخص •

ان أغلبية المستوطنين الذين وصلوا خلال السنتين الاولين كانوا غير مدربين على اعمال التنمية ، ولا على العمل الزراعى ، ولم يتعودوا العمل فى المستنقعات والغابات • كما انهم لم يحتملوا جو بيروبيجان القاسي ، ولذلك قرر بعضهم العودة ، بعد انقطعوا الوف الكيلومترات، وبحث آخرون عن اعمال فى المدن الكبيرة فى الشرق الاقصى مثل خاباروفسك وفلاديفوستوك وغيرهما • وفى نهاية سنة ١٩٢٨ لم يبق فى بيروبيجان اكثر من ثلث القادمين اليها ، وتكرر الامر نفسه فى سنة ١٩٢٩ •

ان القلة التى اختارت البقاء فى بيروبيجان او اضطرت اليه ، لم

تشتغل فى الزراعة ، ولم تكن بيدها حيلة سوى الانتظار فى « تيخونكايا » ، محطة القطار الرئيسية فى المنطقة والتى أصبحت مدينة « بيروبيجان » فيما بعد ، أو فى غيرها من المحطات القريبة من السكة الحديد • ولم تكن عمليات تمليك الاراضي الصالحة للتوطن قد انتهت، بل انها لم تكن مسحت بعد ، ولذلك ترك المستوطنون الجدد فى « تيخونكايا » ينتظرون شهرا بعد شهر ، وكانت حياتهم فى هذه المحطة قاسية جدا •

وقد وصف « فيكتور فينك » ـ وهو كاتب سوفيتي كان يعطف على مشروع بيروبيجان ـ للرأى العام السوفيتي الظروف التى كان يعيش فيها المهاجرون فى محطة « تيخونكايا » كما شاهدها خلال زيارته الى بيروبيجان فى خريف سنة ١٩٢٩ مع بعثة (ICOR) الامريكية قائلا :

« فى نقطة التوطن القريبة من محطة تيخونكايا ـ على سكة حديد اوسورى ـ وهى بمثابة المدخل الى بيروبيجان ، احتشد المستوطنون اليهود فيما يشبه عنق قنينة • انهم يعيشون فى ثكنات ، وفى مكان مزدحم وقذر بدرجة فضيعة • عشرات من الاشخاص الذين لا تربطهم صلة قربى ـ رجال عزاب ، ونسوة شابات ، شيوخ عائلات كبيرة مع اطفالها ـ منتشرون ، وقد اختلط حابلهم بنابلهم ، ينامون فى اسرة خشبية ضيقة ذات طابقين • واستطيع ان اقول ان ثكنات مستوطني بيروبيجان تُخجل اى سجن • ان التعليمات الصادرة تقضي بعدم بقاء المستوطنين فى الثكنات اكثر من ثلاثة أيام • ولكنهم فى الواقع يظلون منتظرين شهرين او ثلاثة ، لان الارض لم تهيأ

للتوطن اولا ، ولعدم وجود الطرق ثانيا • ان بيروبيجان غير القرم ، حيث يستطيع المرء ان يمشي مسافات طويلة ، او يعيش فى اكواخ موقتة ، وحتى ان ينام فى العراء صيفا • اما فى بيروبيجان فلابد من ابنية متينة ، ولابد من شق الطرق خلال المستنقعات والسهول المتجمدة • وبدونهما لا يستطيع الناس ان يعيشوا فى تيخونكايا •

« ان سكان هذه الثكنات يحيون حياة مزعجة الى درجة غريبة • ويحاول بعضهم ـ وهم لا يزالون فى الثكنات ـ الحصول على قروض التوطن والاعتمادات ، فيعيشون على هذه الاموال دون ان يهتموا بالخروج من اماكنهم والقاء نظرة على الاراضي • وآخرون ممن هم اقل فطنة ، يعيشون فى حالة من العوز الشديد • وقد رأيت عائلة بلغ بها الفقر حدا حمل المستوطنين الآخرين على جمع التبرعات لها بينما هم انفسهم انصاف جياع ••• النسوة غير المتزوجات ، وقد وجدن أنفسهن فى وضع يائس الى حد انجرفن معه الى ممارسة البغاء • وكان بعضهن يذهبن الى مدينة « خاباروفسك » لهذا الغرض ، وفى شهرى ايلول ـ تشرين الاول (سبتمبر ـ اكتوبر) ١٩٢٩ كانت هنالك عدة يهوديات يمارسن البغاء حتى فى تيخونكايا ••• »[1] •

وفى سنة ١٩٣٠ بلغ عدد اليهود فى بيروبيجان ما يقرب من ١٫٥٠٠ شخص ،بين عدد السكان البالغ ٣٧٫٠٠٠ ، اى ان نسبتهم الى مجموع السكان كانت ٨ بالمائة • وقد ظهرت فى تلك السنة صعوبات كبيرة في استيعاب المهاجرين ، وربما كان سببها

(١) Viktor Fink, in *Sovetskoye Stroitel'stvo*, May 1930, p. 117

الصعوبات العامة الناجمة عن البدء بتطبيق نظام التعاونيات ، حتى ان قادة « اوزيت » اقترحوا عدم ارسال العائلات ، والاقتصار على الافراد فقط •

وفى سنة ١٩٣١ وجه نداء الى المحاربين القدماء من اليهود للذهاب الى بيروبيجان ، وكانت الحكومة السوفيتية مهتمة بالوضع العسكرى فى الشرق الاقصى بسبب الانزال اليابانى فى منشوريا فى تلك السنة • وهذا يفسر ارتفاع عدد المهاجرين فى تلك السنة ، اذ كان بينهم ٩٩٥ شخصا ممن تزيد اعمارهم عن ١٨ سنة • وهنالك ظاهرة مهمة اخرى فى تلك السنة ، وهي ان اغلبية المهاجرين جاءوا من « اوكراينا » ، وهى المنطقة التى تتسم فيها حالة اليهود بالفقر اكثر من اى مكان آخر • اما الذين غادروا بيروبيجان فى تلك السنة فقد قدرت نسبتهم بين ٢٠ و٣٠ بالمائة من مجموع المهاجرين ،وان كان بعضهم يعد هذا التخمين محافظا[1] •

وبالرغم من ان قانون مارت ١٩٢٨ كان يمنع المستوطنين غير اليهود من الهجرة الى المنطقة ، فانهم استمروا فى المجيء اليها ، بل ان عدد القادمين منهم كان يزيد عن عدد المستوطنين اليهود ظلوا فى بيروبيجان[2] •

(١) J. Bergman, in *Tribuna*, No. 7, 1932

(٢) كان مجموع سكان بيروبيجان فى سنة ١٩٢٨ ، ٣٢٫٢٤٥ ، وارتفع الى ٣٨٫٠٠٠ فى نهاية سنة ١٩٣٠ (بزيادة قدرها ٥٫٧٥٥) ، والى ٤٤٫٥٧٤ في نهاية سنة ١٩٣١ (بزيادة ٦٫٥٧٤) • أما السكان =

وفى خريف سنة ١٩٣١ اتخذت هيئة الرئاسة (بريزيديوم) لجمهورية روسيا الاتحادية عددا من الاجراءات لتطبيق قانون مارت ١٩٢٨ ، وكانت تلك الاجراءات تهدف الى تسريع التنمية الاقتصادية للمنطقة الى حد كبير ، وذلك بتأسيس صناعات كبيرة تستعمل فيها المواد الاولية المتوافرة محليا فقط (الحديد ، الغرافيت ، الاخشاب ، والمواد الانشائية الاخرى) ، وزيادة عدد المعاهد الحرفية والمزارع التعاونية (كولخوزات) والحكومية (سوفخوزات) ، وبناء السكك الحديد ، واصلاح التربة . واذا نجحت هذه المحاولات فانها ستتوج فى نهاية سنة ١٩٣٣ بتأسيس « وحدة ادارية يهودية ذات حكم ذاتي ، تكون جزءا من منطقة الشرق الاقصى »[١] .

وكانت الخطة المفترضة ان يرتفع عدد اليهود فى المنطقة الى ستة اضعاف خلال سنتين ، اى يكون حوالى ٢٦٫٠٠٠ ، بينما يرتفع عدد السكان غير اليهود بمقدار ٩٫٥٠٠ فقط ، بما فى ذلك زيادة طبيعية بمقدار ٢٫٥٠٠ .

ان استبعاد غير اليهود من الهجرة الى المنطقة بصورة كلية لم يعد

اليهود فقد بلغ عددهم ٢٫٦٧٢ فى سنة ١٩٣٠ ، وارتفع الى ٢٫٤٥٣ فى سنة ١٩٣١ .
(أنظر : A. Kantarovich, *Perspektivi Birobidzhana* « امكانيات بيروبيجان » (باللغة الروسية) منشورات Emes ، موسكو ، ١٩٣٢ ، هامش ص ٧٨) .

(١) تعليمات اللجنة التنفيذية المركزية للاتحاد السوفيتي فى ٣٠ ايلول (سبتمبر) ١٩٣١ ، منشورة فى :
Revolyutsiya i Natsional'nosti, October-November, 1931, pp. 73

يفكر فيه ، كما تخلت الحكومة كذلك عن فكرة جعل المستوطنين يعملون فى الزراعة وحدها .

وقد حدد مجموع اليهود الذين سيوطنون فى بيروبيجان فى سنة ١٩٣١ بحوالى ١٤٫٠٠٠ (بما فى ذلك من يعيلونهم من افراد عائلاتهم) ، وقدر عدد الذين سيرسلون للعمل فى المزارع من هؤلاء بـ ٦٫٢٠٠ فقط ، اى بنسبة ٤٤٫٣ بالمائة من مجموعهم .

على أن هذه الاعداد عدلت في ربيع سنة ١٩٣٢ ، حين قررت اللجنة التنفيذية المركزية للاتحاد السوفيتي ضرورة تسريع الهجرة اليهودية الى بيروبيجان[١] . ولدى مناقشة هذا القرار قال «ديمانشتاين» ان عدد اليهود فى بيروبيجان فى نهاية سنة ١٩٣٣ سيكون حوالى ٥٠٫٠٠٠[٢] ، اى بزيادة قدرها ١٩٫٠٠٠ عما توقعته خطة سنة ١٩٣١ . وكان هذا التخمين مبنيا على الافتراض بأن مجموع التوطن اليهودى فى نهاية سنة ١٩٣٢ سيبلغ ٢٠٫٠٠٠ ، وذلك ايضا يزيد عن العدد المقدر فى الخطة ، وهو ١٧٫٩٢٠ .

وفى الوقت نفسه رسمت سلطات منطقة الشرق الاقصى السوفيتي خطة اخرى ، اكثر طموحا ، تطلعت فيها الى ارتفاع مجموع السكان

---

(١) قرار اللجنة التنفيذية المركزية للاتحاد السوفيتى الصادر فى ٧ نيسان (ابريل) ١٩٣٢ ، نشر فى (Tribuna) العدد ١٠ – ١١ (٢٠ نيسان ١٩٣٢) .

(٢) S. Dimanshtein, "Yevreiskoye natasmen'shinstvo na novom etape", (الاقلية القومية اليهودية فى مرحلة جديدة) مجلة :
Revolyutsiya i Natsional'nosti, May 1932, p. 89.

في نهاية سنة ١٩٣٧ الى ٣٠٠ر٠٠٠ نسـمة ، بينهم ١٥٠ر٠٠٠ من اليهود[1] .

أمـا ما حـدث فعلا فكان مختلفـا عن ذلك جدا . فقد وصل بيروبيجان في سنة ١٩٣٢ ، ٩ر٠٠٠ مستوطن يهودي فقط (بدلا من ١٤ر٠٠٠) ولم يبق فيها منهم سوى ٣ر٠٠٠ ، وفي سنة ١٩٣٣ زاد عدد المغادرين على عدد القادمين . وفي نهاية تلك السنة كان عـدد اليهود في بيروبيجـان ٨ر٢٠٠ شـخص (بـدلا من ٣٠ر٠٠٠ او ٥٠ر٠٠٠) ، وان ارتفاع عددهم الى ١٥٠ر٠٠٠ خلال بضع سنوات كان مستحيلا .

ويعطي « كانتر » ـ وهو من الكتاب السـوفيت البارزين في شؤون الاقليات اليهودية ـ احصائية تبين حركة المستوطنين اليهود الى بيروبيجان ، ومنها ، خلال السنوات الست الاولى [2] ، وهي تختلف قليلا عن الارقام المذكورة أعلاه :

(١) D. Barshchevskii, "15 let Oktyabrya i yevreiskoye zemleustroistvo"

(التوطين الريفي اليهودي خلال خمسة عشر عاما بعد اكتوبر) في مجلة:

Tribuna, 1932, no. 27 (November 7, p. 8.

(٢) Yakov Kantor, *Natsional'noye stroitel'stvo sredi yevrev SSSR,*

(التكوين القومي بين يهود الاتحاد السوفيتي) ، منشورات اللجنة التنفيذية المركزية لجمهورية روسيا الفدرالية ، موسكو ، ١٩٣٤ ، ص ١١٨ .

السنة	القادمون	المغادرون	الزيادة
١٩٢٨	٩٥٠	٦٠٠	٣٥٠
١٩٢٩	١ر٨٧٥	١ر١٢٥	٧٥٠
١٩٣٠	٢ر٦٥٠	١ر٠٠٠	١ر٦٥٠
١٩٣١	٣ر٢٥٠	٧٢٥	٢ر٥٢٥
١٩٣٢	١١ر٠٠٠	٨ر٠٠٠	٣ر٠٠٠
المجموع	١٩ر٦٣٥	١١ر٤٥٠	٨ر١٨٥

وجاء في كراسة بعنوان «بيروبيجان »نشرتها الحكومة السوفيتية في «فيلنا » ـ عاصمة جمهورية ليتوانيا ـ في سنة ١٩٣٥ ، ان مجموع اليهود الذين ذهبوا الى بيروبيجان حتى اول تشرين الاول (اكتوبر) سنة ١٩٣٣ كان ١٩ر٠٠٠ ، وانه لم يبق فيها منهم سوى ٧ر٠٠٠ [1]، وهذه الارقام قريبة من الاحصائية التى ذكرها « كانتر » .

ونشرت جريدة (Emes) ـ النـاطقـة بلسان « يفسكتسيا » ـ الصـادرة في موسكو بتاريخ ٣٠ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٣٤ تصريحا أبدت فيه ان اكثر من ٢٠ر٠٠٠ مسـتوطن يهودي وصلوا بيروبيجان قبل خريف سنة ١٩٣٤ ،ولكن نصفهم فقط ظلوا هناك .

أما سنة ١٩٣٤ فكانت الخطة المرسومة لها هي استيعاب حـوالي ١٥ر٠٠٠ مهاجر ، ولكن عدد الذين وصلوا فعلا كان ٥ر٢٦٧ ، وكان

(١) Yarmolinsky, *Op. Cit.*, p. 374

بينهم معلمون وأطباء ومحاسبون وطلاب وخريجو مدارس تكنيكية .

ان مجموع سكان بيروبيجان فى بداية سنة ١٩٣٤ لم يعلن ، ولما كان قد نيف على ٤٤ر٠٠٠ فى نهاية سنة ١٩٣١ ، فمن الممكن الافتراض انه اقترب من ٥٠ر٠٠٠ خلال السنتين التاليتين ، وان نسبة اليهود بينهم كانت أقل من ٢٠ بالمائة .

الفصل السابع

من مستوطنات زراعية الى مقاطعة ذات حكم ذاتى

ما هى المقاطعة ذات الحكم الذاتى ؟

يتألف الاتحاد السوفيني ، بموجب دستوره ، من خمس عشرة جمهورية مستقلة ومتحدة اتحادا فدراليا [1]. وفي كل من هذه الجمهوريات توجد قومية واحدة تؤلف أغلبية السكان . وبالاضافة الى تلك الاغلبية المؤلفة من عنصر واحد ، تحتوى معظم الجمهوريات المتحدة على عدد من الجمهوريات القومية والعنصرية الاخرى التي يحق لها بدورها ـ بموجب مبدأ حق الامم في تقرير مصيرها ـ ان تطالب بادارة مستقلة ، او حكم ذاتي ، في المنطقة التى تؤلف أغلبية فيها ، لتمارس فيها حياتها القومية ، بما في ذلك استعمال لغتها .

وهناك ثلاثة انواع من الوحدات القومية ذات الحكم الذاتي ،

---

(١) وهي : جمهورية روسيا الاتحادية ، اوكرايينا ، بيلوروسيا (روسيا البيضاء) ، أزبكستان ، كازاخستان ، جورجيا ، آذربيجان ، ليتوانيا ، مولدافيا ، لاتفيا ، قيرغيزيا ، تاجكستان ، أرمينيا ، تركمانيا ، استونيا .

على درجات تتنازل حسب حجمها : (١) الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية ذات الحكم الذاتى (٢) المقاطعات القومية ذات الحكم الذاتى (Oblast) (٣) الدوائر القومية (Okrug) .

وتعد الجمهورية المتحدة من الناحية الدستورية أو النظرية ، دولة مستقلة ، ولها حق الخروج من اتحاد الجمهوريات السوفيتية (المادة ١٧ من الدستور) ، وهى تتمتع بجميع المظاهر الخارجية للدولة من علم ودستور ومجلس سوفييت أعلى ، ومجلس وزراء ، ولها أن تقيم علاقات مباشرة مع الدول الاجنبية وأن تعقد معها الاتفاقات وتتبادل واياها التمثيل الدبلوماسى والقنصلى (المادة ١٨ أ) ،[1] كما أن لها تشكيلاتها العسكرية الخاصة بها (المادة ١٨ ب) .

أما « الجمهورية ذات الحكم الذاتى » فهى تعد دولة أيضا ، ولها دستور خاص ، ومجلس سوفيت أعلى ، ومجلس وزراء[2] ، ولكنها لا تتمتع بحق الانفصال ، ولا حق اقامة علاقات مباشرة مع الدول الاجنبية . وتوجد فى الوقت الحاضر تسع عشرة جمهورية

---

(١) ومع ذلك فلم تمارس هذا الحق أية جمهورية سوفيتية حتى الآن ، بالرغم من وجود وزارة خارجية فى كل منها ، وذلك باستثناء اوكرايينا وبيلوروسيا اللتين لهما تمثيل مستقل فى الامم المتحدة .

(٢) ولكن يحق لمجلس وزراء « الجمهورية المتحدة » أن يوقف قرارات وأوامر مجالس الوزراء فى الجمهوريات ذات الحكم الذاتى ، وأن يلغي قرارات اللجان التنفيذية لسوفيتات الاقاليم والمقاطعات ذات الحكم الذاتى (المادة ٨٢ من الدستور) .

ذات حكم ذاتي .[1]

وأما « المقاطعة ذات الحكم الذاتى » فهي عبارة عن وحدة ادارية اعتيادية ، ولكنها تتمتع بشيء من الكيان الذاتى ، والمفروض أنها تمثل كيانا اقليميا مستقلا لمنطقة معينة تحتوى على سكان من قومية واحدة لا يكفى عددهم لتأليف جمهورية خاصة . وتوجد فى الوقت الحاضر تسع مقاطعات من هذا النوع ، احداها « المقاطعة اليهودية ذات الحكم الذاتي » .[2]

وأما « الدائرة القومية » فهي ، من الناحية العملية ، تؤلف جزءا من التقسيمات الادارية الاعتيادية (التى تسمى « كراى ») ، ولا تكاد تتمتع بأى حكم ذاتى . وقد أسست الدوائر القومية فى المناطق النائية ، حيث تقل كثافة السكان . وشعوبها شبه بدوية ، وعلى مستوى ثقافي واطىء . وتوجد فى الوقت الحاضر تسع دوائر قومية كلها فى سيبيريا .

---

(١) وهى : باشكيريا ، بورياتيا ، داغستان ، كباردا ـ بلكاريا ، كالميك ، كاريليا ، كومي ، مارى ، موردوفيا ، اوسيتيا الشمالية ، تتاريا ، اودمورتيا ، شاشان ـ انغوشيا ، جوفاشيا ، ياقوتيا (وجميعها فى جمهورية روسيا الاتحادية) وناخيتشفان (فى آذربيجان) وابخازيا ، وآجاريا (فى جمهورية جورجيا) ، وقره قالباقيا (فى اوزبكستان) .

(٢) أما بقية المقاطعات ذات الحكم الذاتى فهى : الاديغية ، آلطاى الجبلية ، قرهجاى الشركسية ، التوفية ، الهاكاسية (وجميعها فى جمهورية روسيا الاتحادية) ، وقرهباغ الجبلية (فى آذربيجان) ، واوسيتيا الجنوبية (في جورجيا) ، وباداخشان الجبلية في تاجيكستان) .

ان الجمهوريات السوفيتية المتحدة ، والجمهوريات السوفيتية ذات الحكم الذاتى ، والمقاطعات ذات الحكم الذاتى ، والدوائر القومية ، تؤلف بمجموعها (٥٢) وحدة قومية تتمتع بدرجات متفاوتة من الحكم الذاتى ، واللغة الرسمية المستعملة فى أجهزتها الادارية ومحاكمها ومدارسها ، هي لغة أكثرية سكانها ـ بالاضافة الى اللغة الروسية التى تعد ضرورية للتفاهم بين شعوب الاتحاد السوفيتي المختلفة والتى هي لغة أكثرية سكان البلاد .

والسلطة التشريعية فى الاتحاد السوفيتي منوطة بالسوفيت الاعلى ، وهو يتألف من مجلسين : مجلس الاتحاد ، ومجلس القوميات . ولابد لصدور أى تشريع من حصوله على مصادقة كليهما . ولكل من المجلسين عدد متساو من الاعضاء تقريبا ، **وهو حوالى ٦٠٠** عضو .

وبالرغم من أن المبادىء التى قامت عليها الحكومة السوفيتية لاتقر نظام المجلسين ، وتنتقد أشكاله المعهودة فى الدول الغربية ، فانها وجدت اتباع هذا النظام ضروريا للاتحاد السوفيتى ، بسبب تعدد القوميات فيه ، ووجوب تحقيق المساواة فى الحقوق بين تلك القوميات .

فالمجلس الاتحادى يتألف من أعضاء يمثل كل منهم **٣٠٠ر٠٠٠** من السكان (المادة ٣٤ من الدستور) ، وهذه النسبة واحدة بالنسبة لجميع الجمهوريات . ولو تألف السوفييت الاعلى من مجلس واحد فقط ، لتمتعت الجمهوريات الكبيرة ـ بحكم عدد سكانها ـ بعدد أكبر من الاعضاء ، وبالتالى بامتيازات تفوق كثيرا ما تتمتع به الجمهوريات الاصغر منها . ولتفادى ذلك أنشىء مجلس ثان سمي « مجلس

القوميات » يضم عددا متساويا من الاعضاء عن كل جمهورية من الجمهوريات ، وكل وحدة من الوحدات القومية ، بغض النظر عن مساحتها وسكانها .

ولكل جمهورية سوفيتية متحدة **(٢٥)** ممثلا فى مجلس القوميات ، وكل جمهورية ذات حكم ذاتى لها **(١١)** ممثلا ، وكل مقاطعة ذات حكم ذاتي لها **(٥)** ممثلين ، وكل دائرة قومية لها ممثل واحدة (المادة ٣٥) .

انشاء « المقاطعة اليهودية ذات الحكم الذاتى »

لم يكن من الممكن ، بطبيعة الحال ، انشاء المقاطعة اليهودية ذات الحكم الذاتي بجرّة قلم ، ولا بقرار آني تصدره الحكومة السوفيتية، كما حدث فى حالة المقاطعات الاخرى ذات الحكم الذاتى .

فالمقاطعات الاخرى كان سكانها موجودين فى مناطقهم ، وكان اعتبار تلك المناطق مقاطعات ذات حكم ذاتى تقريرا لواقع موجود ، وهو انتماء سكانها الى مجموعة قومية واحدة تؤلف أغلبية فى المنطقة . أما فى حالة المقاطعة اليهودية ، فكان على اللجنة المركزية أن تسير فى انشائها على مراحل . وكان لا بد من تشجيع اليهود على التوطن في بيروبيجان ، لتكون فيها أكثرية من السكان اليهود ، قبل أن يصبح من الممكن تشكيل وحدة اقليمية قومية خاصة بهم فى المنطقة .

وكانت الخطوة التى اتخذتها اللجنة التنفيذية المركزية هى اصدار مرسوم **٢٨** مارت **١٩٢٨** الذى خصص منطقة بيروبيجان للتوطن اليهودى .

وتمت الخطوة الثانية فى ٣٠ أيلول (سبتمبر) ١٩٣١ حين قطعت الحكومة السوفيتية وعدا بتأسيس وحدة اقليمية ادارية فى بيروبيجان فيما اذا نجحت عمليات توطين الكادحين اليهود فى تلك المنطقة •

ولم يعلن عن تشكيل « المقاطعة اليهودية ذات الحكم الذاتى » بصورة رسمية الا فى سنة ١٩٣٤ •

وبالرغم من أن الشرط الرئيسي لتشكيل مقاطعة ذات حكم ذاتي كان وجود أغلبية قومية معينة فى المنطقة ، فان ذلك الشرط فى سنة ١٩٣٤ لم يكن غير متوافر فقط ، بل انه كان بعيدا عن التحقيق الا اذا حدث تغيير جذرى فى أساليب التوطين •

ومع ذلك ، فقد أعلنت السلطات السوفيتية فى ٧ مايس ١٩٣٤ اعطاء بيروبيجان صفة « مقاطعة يهودية ذات حكم ذاتى » • ويقال ان اتخاذ هذا القرار كان احدى الوسائل التى لجأت اليها الحكومة السوفيتية لتشجيع اليهود على الهجرة الى بيروبيجان •

وبهذه المناسبة ألقى ميخائيل كالينين – رئيس الاتحاد السوفيتي – خطابا مهما تناول فيه ، بتوسع ، فكرة « الحفاظ على القومية اليهودية » التى سبق أن تطرق اليها فى خطابه المشهور الذى ألقاه فى سنة ١٩٢٦ ، وأضاف عليها جوانب ولمحات ذات أهمية كبيرة • قال :

« تسألون لماذا تألفت المقاطعة اليهودية ذات الحكم الذاتى ؟ السبب هو أن هناك ثلاثة ملايين يهودى ، وليس لهم نظام حكومى خاص بهم • انهم القومية الوحيدة التى هى بهذا الوضع فى الاتحاد السوفيتى • ان ايجاد مقاطعة كهذه هى الوسيلة الوحيدة لنمو هذه

القومية بصورة طبيعية • وستصبح بيروبيجان فى مدى عشر سنوات أهم حام للثقافة القومية اليهودية » •

وأضاف كالينين بعبارات صريحة واضحة :

« ان على اولئك الذين يعتزون بثقافة قومية يهودية أن يرتبطوا ببيروبيجان ••• اننا نهيء بيروبيجان لتكون دولة قومية يهودية » •

واعترف كالينين فى خطابه أيضا بأن الهجرة اليهودية الى بيروبيجان لم تكن ناجحة جدا ، لان عدد اليهود الذين عادوا منها كان أكثر بكثير من الذين مكثوا فيها • وأعرب عن الامل بأنه اذا هاجر اليها ٤ر٠٠٠ يهودى فقط فى كل سنة ، فالكثير يكون قد انجز خلال عشر سنوات • وحين يستوطن هناك ١٠٠ر٠٠٠ شخص فان الحكومة السوفيتية ستنظر فى انشاء جمهورية يهودية • ثم أكد كالينين على أهمية الدفاع عن الشرق الاقصى السوفيتي ، وهاجم الصهيونية ، واعترف بفضل المساعدات التى جاءت من « لجنة التوزيع الامريكية المشتركة » (Joint) • وختم كالينين خطابه الطويل بكلمة وجهها الى « البروفسور جوزيف ليبربرغ » الذى كان رئيسا للجنة تنظيم المقاطعة ، قال فيها :

« ستكون قد قمت بعملك جيدا ، اذا نجحت خلال خمس أو ثماني سنوات فى تحويل المقاطعة اليهودية ذات الحكم الذاتى الى جمهورية اشتراكية سوفيتية يهودية » •[1]

وبعد اعلان بيروبيجان مقاطعة ذات حكم ذاتى بسنتين ونصف ،

---

(١) النص الكامل للخطاب في : *Yidn in F.S.S.R. Zamlbuch,* (ed. Dimanshtein), Moscow, 1935, pp. 31-8.

ألقى ستالين خطابا مهما تضمن ردا غير مباشر ، وبعيد الدلالة ، على آمال كالينين وجماعة « اوزيت » فى انشاء جمهورية يهودية ٠

ان ستالين ، وهو أكبر مسؤول سوفيتي خبير بشؤون القوميات ، كان قد التزم الصمت عن موضوع اليهود منذ مقالته المشهورة « الماركسية ومسألة القوميات » التى نشرت فى سنة ١٩١٣ ، ولكنه فى نهاية سنة ١٩٣٦ ، وفى الخطاب الذى ألقاه حول « مسودة دستور الاتحاد السوفيتى الجديد » صرح ـ بدون ذكر اليهود ولا بيروبيجان ـ أنه لا بد من توافر شروط ثلاثة في « المقاطعة ذات الحكم الذاتى » ، قبل أن تصبح جمهورية سوفيتية :

« أولا ـ انها يجب ان تكون واقعة على الحدود ، وليست محاطة باقليم الاتحاد السوفيتي من جميع جهاتها ٠[1]

ثانيا ـ ان القومية التى تمنح اسمها لجمهورية سوفيتية يجب أن تؤلف أكثرية متماسكة ضمن تلك الجمهورية ٠

ثالثا ـ يجب أن يكون عدد سكانها كافيا ، فلا يقل ـ بل يزيد ـ عن مليون نسمة مثلا » ٠[2]

وبموجب هذه الشروط التى افترضها ستالين ، فان العدد الذى

---

(١) يتوافر هذا الشرط فى جميع جمهوريات الاتحاد السوفيتي الحالية ، فلكل منها حدود مشتركة مع دولة اجنبية اخرى او منفذ على البحر ٠ وكان ذلك ضروريا بسبب تمتع كل جمهورية بحق الخروج من الاتحاد ، اذ لابد من وجود منفذ لها الى الخارج ، لكيلا تصبح ، فى حالة خروجها ، جزيرة محاطة بأراضي الاتحاد السوفيتي الذى انفصلت عنه ٠

(٢) J. Stalin, *Leninism*, London, 1940, p. 584.

اقترحه كالينين ، وهو ٤ر٠٠٠ مهاجر سنويا ، يستوجب استمرار هذه العملية لمدة ٢٠٠ الى ٢٥٠ عاما بدون توقف ، قبل أن تدرك بيروبيجان ـ من ناحية عدد السكان ـ المرحلة التى تؤهلها لان تكون جمهورية سوفيتية ٠

وهكذا قضى ستالين ، بصورة غير مباشرة ، على فكرة انشاء جمهورية يهودية منذ البداية ٠ وفى ذلك الوقت ، حيث بدأت فترة « التطهير الكبير » ، كان معظم زعماء اليهود قد أفل نجمهم ، أو معتقلين ، ولم يكن باستطاعة أحد التعليق على هذا التصريح المهم ، أو ابداء رأي فيه ٠

الهجرة بعد انشاء المقاطعة ذات الحكم الذاتى

كانت الفكرة الاصلية لمشروع بيروبيجان اتخاذ هذه المنطقة مكانا لتوطين سكان القرى اليهودية الصغيرة الذين انتشرت بينهم البطالة ، وسادهم الفقر ، وتشجيعهم على الاعمال الزراعية وغيرها من الاعمال الانتاجية ٠ وبعد ست سنوات من عمليات التهجير والتوطين التى لم تحقق نجاحا كبيرا أصبح اختيار المستوطنين اليهود خاضعا لاعتبارات أخرى ٠

وحين أعلنت بيروبيجان « مقاطعة ذات حكم ذاتى » فى سنة ١٩٣٤ كان المستوطنون الذين يهجرون اليها يجرى اختيارهم من بين العمال اليهود المستخدمين فى مختلف الصناعات ، والفلاحين اليهود الذين يعملون فى الزراعة فعلا ، والحرفيين اليهود المستقرين ، والذين يتمتعون بضمانات كافية ، فى جاليات حظرية كبيرة ، ويمارسون

أعمالا منتجة الى حد ما • ان الهدف الرئيسى لم يعد حل مشكلة اليهود العاطلين بقدر ما هو بناء « بيروبيجان » نفسها ، وتنميتها •ولذلك حل « الاستخدام » أو التهجير شبه الاجبارى ، محل الهجرة الاختيارية التى كان معمولا بها فى السنوات الماضية • وأخذت الحكومة تستعين بضغط الرأى العام ، ونفوذ المنظمات الاجتماعية بصراحة لايجاد المستوطنين •

وبمناسبة صدور قرار اللجنة التنفيذية المركزية بجعل « بيروبيجان » مقاطعة يهودية ذات حكم ذاتى ، كتب « سيمين ديمانشتاين » ـ الناطق الرسمى فى الشؤون اليهودية فى تلك السنوات ـ مقالا علق فيه على القرار ، جاء فيه :

« لم تعد مهمة توطين العمال والكادحين اليهود فى بيروبيجان مقتصرة على حمل هؤلاء الناس على المساهمة فى الاعمال الانتاجية ، لان ذلك أمر تمكنا من تسوية الجانب الاكبر منه • ان نسبة كبيرة من الذين يستوطنون فى بيروبيجان الان تتألف من العمال والحرفين الذين تم **اختيارهم** لهذا الغرض ، وممن أرسلوا اليها ليتسنموا أعمالا معينة ••• وهذه مرحلة أعلى بالقياس الى نشاط « الكومزيت » السابق ••• »[١]

أما الاسباب التى حملت السلطات السوفيتية على هذا التغيير

(١) S. Dimanshtein, "Yevrei Skaya avtonomnaya oblast'-detische Oktyabr'skoi revolyutsii"

(سيمين ديمانشتاين ـ « المقاطعة اليهودية ذات الحكم الذاتى ـ وليدة ثورة أكتوبر ») مقال بالروسية في مجلة :
Revolyutsiya i Natsional'nosti, June 1934, pp. 13f.

فى الهدف فكانت واضحة ، وقد أشار اليها « ديمانشتاين » فى تعليقه بصراحة حين قال :

« ان الاهمية العظمى للدفاع عن الشرق الاقصى من التدخل الاجنبى واضحة تماما لكل واع فى بناء الكيان الاشتراكى • ان توطين المنطقة بأناس يعتمد عليهم ، ويقدرون المسؤولية ، هو مطلب أساسى لتعزيز الدفاع عن حدودنا فى الشرق الاقصى » •[١]

وهكذا أصبحت أعمال منظمات التوطين برمتها تتركز بصورة متزايدة فى اختيار المهاجرين ، ولم تحل سنة ١٩٣٦ الا وكانت جميع الطرق الاخرى فى ايجاد المستوطنين وتشجيعهم على الهجرة الى بيروبيجان قد تم التخلي عنها •

وفى الاجتماع العام لمؤتمر منظمة « اوزيت » الذى عقد فى أوائل سنة ١٩٣٦ تكلم « جوتسكاييف » (الذى كان رئيسا لمنظمة « كومزيت » وعضوا فى هيئة رئاسة اللجنة التنفيذية المركزية للاتحاد السوفيتي) فشجب بشدة كل هجرة « تلقائية » واختيارية الى بيروبيجان ، وأكد على أن اختيار المهاجرين ـ أو تجنيدهم ـ هو الطريقة الصحيحة الوحيدة • وقد اتخذ المؤتمر القرار الآتي بالاجماع :

« يجب اعارة اهتمام خاص لقرار اللجنة العامة حول ضرورة تجنيد العناصر البشرية ، والاشخاص من ذوى الكفايات الممتازة ، وخاصة فى المدن الصناعية الكبرى ، حيث توجد أعداد كبيرة من العمال اليهود فى المصانع • ان التوطين فى السابق كان يهدف الى

(١) *Ibid.*, p. 14

توطين هذه المنطقة بالعناصر العاجزة عن كسب معيشتها فى بلدها ، ويتطلب تقديم مساعدة منظمة لتحسين حالتهم . أما فى المرحلة الحاضرة فأن المسألة لم تعد كيفية معالجة مشاكل هذا المهاجر أو ذاك ، بل كيفية سد حاجة المشروعات الصناعية فى المقاطعة الى العمال المهرة ، وتوفير العدد اللازم من المزارعين للاراضى غير المزروعة فيها .

« أما فيما يتعلق بالتوطين الزراعي ، فقد أبدت الهيئة العامة أن يرسل الى المقاطعة ذوو الخبرة من العاملين فى المزارع التعاونية (الكولخوزات) ومختلف الفئات فيها ، كسواق التراكتورات وغيرهم ... على أن يسحبوا من المزارع التعاونية اليهودية وغيرها » .[١]

وكان من المخطط أيضا ارسال مهاجرين غير يهود الى المنطقة بقصد ضمان تقدم المشروع . ان ذهاب المستوطنين غير اليهود قدسبق توقعه فى تخمينات السنوات الماضية ، ولما أعلنت المنطقة مقاطعة يهودية ذات حكم ذاتي كان قبول عدد متزايد من المستوطنين غير اليهود قد أصبح حقيقة مقبولة . وقد صرح « ديمانشتاين » فى تعليقه الذى سبقت الاشارة اليه ـ قائلا :

« ان الجمهوريات (السوفيتية) يجب أن تتخلى عن سكانها الذين يصلحون للمساهمة فى المهمة الجديدة والصعبة ، وهى بناء

(١) S. Gorfinkel', ''K itogam plenuma Ozet'' (نتائج اجتماع الهيئة العامة لمنظمة « اوزيت ») فى مجلة :
Revolyutsiya i Natsional'nosti, March, 1936, pp. 36f.

الشرق الاقصى . وفى هذا الصدد يجب أن يؤكد على هذا الشعار : (كل الاتحاد السوفيتي يسهم فى بناء المقاطعة اليهودية ذات الحكم الذاتى) . والى جانب المستوطنين اليهود ، الذين يجب ارسالهم الى هناك بالدرجة الاولى ، فمن الحيوى توفير عناصر غير يهودية تساعد فى تنفيذ الخطط المرسومة لتنمية هذه المنطقة الغنية على الحدود » .

« ليس هدفنا الآن تأسيس أكثرية يهودية فى المقاطعة اليهودية ذات الحكم الذاتى . وبالرغم من أننا مقتنعون بأن ذلك سيتحقق خلال التطور الطبيعي للتوطين ، فانه ليس هدفنا ، وهو يتعارض مع أمميتنا . ان همنا الاول هو توسيع البناء الاشتراكي وتقويته ... »[١]

وكان من المنتظر أن يؤدى التغيير فى طريقة اختيار المهاجرين الى تسريع نقل المستوطنين اليهود الى الشرق الاقصى بدرجة كبيرة . وبالرغم من حدوث بعض الزيادة ، فان الزيادة الفعلية فى عدد يهود بيروبيجان كانت أقل من المنتظر .

وكانت الخطة أن يبلغ مجموع اليهود القادمين الى بيروبيجان خلال السنوات الاربع بين ١٩٣٤ و ١٩٣٧ أكثر من ٥٠ر٠٠٠ ، وبذلك يكون عدد اليهود فى المقاطعة ، فى نهاية سنة ١٩٣٧ ، قريبا من ٦٠ر٠٠٠ يهودى .

ومع ذلك ، فلما حلت سنة ١٩٣٧ كان فى بيروبيجان حوالى ٢٠ر٠٠٠ يهودى فقط .

ففى سنة ١٩٣٥ وصل بيروبيجان ٨ر٣٤٤ شخصا (بضمنهم

(١) S. Dimanshtein, *Revolyutsiya i Natsional'nosti,* June 1934, p. 21.

٨٢٠ من غير اليهود) • وكان المهاجرون يشكون من انعدام المساكن وغيرها من المرافق الضرورية • وكان اليهود الاوكرانيون يؤلفون ٧٠ بالمائة من المهاجرين •(١)

أما عدد الذين غادروا بيروبيجان فى تلك السنة فقد كان ١٧٠ يهوديا ، وفى نهاية سنة ١٩٣٥ بلغ مجموع اليهود فى المقاطعة ١٤ر٠٠٠ ، وكانوا يؤلفون ٢٣ر٨ بالمائة من سكانها ، وكانت هذه أعلى نسبة يبلغها المهاجرون اليهود فى المنطقة فى أى وقت من الاوقات •

وفى سنة ١٩٣٦ وصل بيروبيجان ٦ر٧٥٨ مهاجرا ، ولكن عددا كبيرا منهم غادروها مرة أخرى • وقد أصبح عدد سكان المنطقة فى تلك السنة ٦٤ر٠٠٠ شخص ، وكان حوالي ١٩ر٠٠٠ منهم فى مدينة بيروبيجان ، عاصمة المقاطعة التى كان عدد سكانها فى سنة ١٩٣٤ يبلغ ٧ر٤٠٠ شخص فقط •

ان تزايد سكان مدينة بيروبيجان بين سنتى ١٩٣٤ و ١٩٣٦ من ٧ر٤٠٠ شخص الى ١٩ر٠٠٠ يدل على أن معظم المهاجرين الجدد ذهبوا الى العاصمة •

هجرة يهود العالم الى بيروبيجان

كانت الغاية من مشروع بيروبيجان فى البداية أن تكون المقاطعة اليهودية ذات الحكم الذاتى مركزا ثقافيا ، ووحدة قومية ــ اقليميا واداريا ــ ليس ليهود الاتحاد السوفيتي وحدهم ، بل ليهود العالم

(١) كان بين مجموع المهاجرين ٩٦٢ من عمال البناء (٢٦ر٦٪) ، و ٢٢٣ من الخياطين وصانعي الاحذية (٦ر١٪) ، و ١٧١ من الميكانيكيين والحدادين (٤ر٧٪) ، و ١٥٩ عمال خشب ونجارون (٤ر٤٪) •

أجمع • ولذلك لم تكن النداءات الصادرة عن السلطات القائمة بتنفيذ المشروع ، لتشجيع اليهود على الهجرة الى بيروبيجان ، موجهة الى يهود الاتحاد السوفيتي وحدهم ، بل الى جميع الجاليات اليهودية فى الخارج • وقد قامت السلطات السوفيتية بنشاط اعلامى كبير فى الخارج لترويج فكرة المشروع •

وربما كان استقبال مشروع بيروبيجان فى بعض الاوساط اليهودية فى الخارج حماسيا أكثر منه فى موسكو أو كييف •فالتيار المعادى لليهود الذى كان يتصاعد فى بعض الاقطار الاوربية ، والقيود المعينة التى كانت تفرض على الهجرة الى فلسطين فى بعض الفترات، جعلت المشروع يبدو فرصة جديدة لحياة قومية لجميع اليهود فى العالم ، فضلا عن كونه أملا جديدا ليهود الاتحاد السوفيتي • وقد رحب « حاييم وايزمان » ــ الذى كان فى ذلك الوقت رئيسا للمنظمة الصهيونية العالمية ــ بمشروع بيروبيجان ووصفه بأنه محطة في الطريق الى « الوطن اليهودى » فى فلسطين •(١)

ولكن اليهود ، بالرغم من ترحيبهم بالمشروع ، ومنحه تأييدهم الشفوى ، كانوا مترددين فى الهجرة ، وقد أشار الى ذلك أحد مراسلي Emes فى نيسان (أبريل) ١٩٢٨ منتقدا ، فقال : « لقد رفع اليهود أيديهم لمشروع بيروبيجان بسهولة ، ولكنهم لم يحركوا اقدامهم » •

ومع ذلك ، فقد ذهب الى بيروبيجان فى سنة ١٩٣٢ عدد من

(١) B.Z. Goldberg, *The Jewish Problem in the Soviet Union*, New York, 1961, p. 174.

العمال من البلاد الرأسمالية بلغ مجموعهم ٧٨٤ عاملا • وقد احتل ارسال هؤلاء العمال من الخارج أهم محل فى عمليات الهجرة فى تلك السنة ، وكان بينهم ١١٦ شخصا من الارجنتين ، و ١٠١ من ليتوانيا ، و ٨٣ من لاتفيا ،[1] و ٨٨ من فرنسا ، و ٧٤ من فلسطين ، و ٦٥ من المانيا ، و ٦١ من بلجيكا و ٣٠ من بولونيا ••• الخ[2]

وكانت الخطة الاصلية ـ التى رسمتها منظمة « كومزيت » فى سنة ١٩٣٢ تقضي بأن يكون ربع مستوطني بيروبيجان من العمال اليهود الاجانب ، بل أن خطة التوطين لسنة ١٩٣٦ افترضت أن يكون ٤٠ بالمائة من جميع المستوطنين القادمين الى بيروبيجان من يهود البلاد الرأسمالية • غير أن العدد الحقيقي للمستوطنين الاجانب بقي بعيدا جدا عن ذلك الهدف •

وبعد ذلك تقدمت بعض المنظمات اليهودية فى الخارج الى الحكومة السوفيتية طالبة موافقتها على فتح بيروبيجان لدخول يهود أوربا الشرقية الذين كانوا يلاقون ضغطا في بلادهم ، ويضطرون الى مغادرتها •

وقد تبين فيما بعد أن الحكومة السوفيتية لا تنوى السماح بهجرة اليهود من خارج الاتحاد السوفيتي اعتباطا ، أو تركها للصدف ، وانما كان المفروض أن تنظمها الحكومة بصورة دقيقة ، وقد تبنت الهيئة المركزية لمنظمة « اوزيت » عند اعلان المنطقة مقاطعة ذات حكم ذاتى فى سنة ١٩٣٤ قرارا جاء فيه :

« اننا نرى من المصلحة أن نجلب من الخارج كتائب معينة من

---

(١) كانت ليتوانيا ولاتفيا فى ذلك الوقت دولتين مستقلتين خارج الاتحاد السوفيتي •

(٢) M.B. Druyanov, *Yevreiskaya Avtonomaya* Oblast, p. 47

العمال اليهود من ذوى الأهلية والكفاية للعمل فى الميادين التى توجد فيها أزمة فى الايدى العاملة ليقوموا بدور فعال فى البناء الاشتراكى للمقاطعة اليهودية ذات الحكم الذاتى ، وذلك مع مراعاة التيارات التى تسود العمال فى البلدان الرأسمالية » •

وفى سنة ١٩٣٦ صرح رئيس « اوزيت » بأن عددا من اليهود الاجانب سيقبلون في المقاطعة على أن تتوافر فيهم شروط معينة ، وأن يكونوا ذوى اتجاه سياسى سليم •

وانتشرت الاشاعات فى خارج الاتحاد السوفيتي ، وخاصة فى الولايات المتحدة وبريطانية وفرنسة (وكانت الاخيرة لا تزال فى مرحلة الخروج من الازمة الاقتصادية الخانقة ، وشديدة القلق بسبب تدفق اللاجئين عليها) أن بيروبيجان تهيأ لتوطين اليهود البولونيين على نطاق واسع • وأعلنت « اللجنة الامريكية لتوطين اليهود فى بيروبيجان » (AMBIJAN) فى سنة ١٩٣٦ أن « ١٠٠٫٠٠٠ يهودى فى بولونيا أعربوا عن رغبتهم فى الهجرة الى بيروبيجان » • وتمكنت هذه المنظمة فى السنة نفسها من استحصال موافقة الحكومة السوفيتية على دخول ألف عائلة من بولونيا مبدئيا ، للتوطن فى المقاطعة اليهودية • وبالرغم من ان هذا الاتفاق لم يفسخ بصورة رسمية ، فلم يسمح لاى من هذه العائلات بالدخول •

وفى ٢٩ آب (اغسطس) ١٩٣٦ اتخذت اللجنة التنفيذية المركزية قرارا جاء فيه :

« لقد ثبت أن بيروبيجان كانت جديرة تماما بصفة (مقاطعة قومية ذات حكم ذاتى) التى منحت لها • وقد شهد الشعب اليهودى ، للمرة الاولى فى تاريخه ، تحقق رغبته القوية فى ايجاد وطنه القومى

واقامة كيانه الخاص كدولة • ان المقاطعة اليهودية ذات الحكم الذاتي تصبح بسرعة مركزا للثقافة القومية لجميع الكادحين اليهود ، وأن الحرص على الهجرة الى بيروبيجان لا يظهر بين اليهود السوفييت وحدهم ، بل كذلك بين اليهود من البلاد الاخرى » •

والظاهر أن أمثال هذه الدعايات كان هدفها الرئيسي جمع تبرعات اليهود للمشروع ، اذ لم يدخل الاتحاد السوفيتي سوى عدد ضئيل من اليهود الشيوعيين ، ولم يذهب أحد منهم الى بيروبيجان •

وتذكر بعض المصادر الصهيونية أن يقظة الروح القومية في الاتحاد السوفيتي بعد وصول النازيين الى الحكم ادت الى تخوف السوفييت من المشاكل الاقتصادية والاجتماعية التي يثيرها اليهود القادمون من الخارج • وتؤكد هذه المصادر أن الاتحاد السوفيتي لم يفتح أبوابه ليهود المانيا الذي اضطهدتهم النازية ، على الرغم من رغبة بعضهم في الهجرة اليه ، كما أن اليهود الذين جاءوا من بولونيا لم يسمح لهم بالدخول الى منطقة بيروبيجان •[1]

ومن المحتمل أن تكون الحكومة السوفيتية قد وجدت أن السماح للمستوطنين الاجانب بدخول الاتحاد السوفيتي في تلك الفترة ينطوي على مخاطر سياسية كبيرة • وكان الخوف من الاجانب والحذر منهم قد بلغ أوجه • ولذلك أهمل هذا الجانب من المشروع نهائيا •

ولكن الصحافة السوفيتية بقيت تذكر في مناسبات مختلفة ، وعلى سبيل الدعاية ، وجود عمال أجانب في بيروبيجان من الولايات المتحدة والارجنتين وفرنسة والمانية ، وحتى من فلسطين •

---

(1) ناجي علوش ، **الماركسية والمسألة اليهودية** ، بيروت - ١٩٦٩ ، ص٥٢ •

الفصل الثامن

بيروبيجان بين مد وجزر

فترة « التطهير الكبير »

شهد عام **١٩٣٧** تغيرا أساسيا في عمليات التهجير الى المقاطعة اليهودية ، فقد انتقلت مسؤولية نقل اليهود وتوطينهم من منظمتي « كومزيت » و « اوزيت » الى سلطات الامن السرية السوفيتية - التابعة لوزارة الداخلية (NKVD) - وفي تلك السنة كانت حملة التطهير الكبير التي شنتها ستالين منذ سنة **١٩٣٦** ، **قد بلغت أوجها** • وكانت تلك الحملة التي شملت الاتحاد السوفيتي من أقصاه الى أقصاه، **وبعثت فيه الارهاب ، قد شملت المقاطعة اليهودية** ذات الحكم الذاتي بطبيعة الحال •

لقد امتدت موجة « التطهير الكبير » الى جميع أجهزة الحكومة السوفيتية والحزب الشيوعي بدون استثناء ، وشملت أغلبية اعضاء اللجنة المركزية والمكتب السياسي ، بما فيهم كثيرون من الستالينيين المخلصين الذين اتهموا جميعا بالتخريب والخيانة والتآمر والجاسوسية، ووصفوا بـ « أعداء الشعب » ، وحكم عليهم بالاعدام أو السجن لمدد طويلة •

وكان « كالينين » قد أدلى بتصريحه الذى انتقد فيه المسؤولين في بيروبيجان فى آب (اغسطس) ١٩٣٦ ، وفى الشهر التالى أكتشف مؤتمر الاعضاء العاملين للحزب الشيوعى فى بيروبيجان « عيبا خطيرا فى عمل منظمة الحزب المحلية » ، وهوجم فى المؤتمر كل من رئيس اللجنة التنفيذية « ليبربرغ » ، وأحد كبار مسؤولى الحزب الشيوعى « فولوبرينسكي » ، وأتهما بأنهما « قوميان تروتسكيان متخفيان ».[1]

وكانت جريدة (Forpost) – وهى الصحيفة الرسمية الناطقة بلسان الحزب الشيوعى فى بيروبيجان – قد نشـــرت عددها الاول الصادر فى أوائل سنة ١٩٣٦ عرضا مستفيضا لنمو المنطقة وازدهارها خلال السنتين الاولين من اعلانها مقاطعة ذات حكم ذاتى ، وكان العرض مذيلا بتوقيع « م • خافكين » ، سكرتير اللجنـــة الاقليمية للحزب الشيوعي • وفى السنة التالية نشرت الصحيفة نفسها عرضا آخر – غفلا عن التوقيع – وصفت فيه كلا من « خافكين » و « ليبربرغ » كمخربين وأعلنت أن هذين المسؤولين السابقين كانا العائق الرئيسي دون نمو المقاطعة • وأشـارت الصحيفة ، بالاضـــافة الى ذلك ، أن التروتسكيين قد بذلوا قصارى جهدهم لعرقلة العمل ، ولكن القضية الآن أمينة « فى أيدى الوطنيين المتحمسين للمقاطعة اليهودية ذات الحكم الذاتى » •[1]

وبعد هذين ، طرد اثنان آخران من كبار مسؤولى بيروبيجان هما « كاتل » و « هيلر » ، وتمت تصفية أربعة آخرين من سكرتارى الحزب

---

(١) *Revolyutsiya i Natsional'nosti*, No. 80, October 1936, p. 8

(٢) *Forpost*, 1937, 2

فى المقاطعة واتهمـــوا بأنهـــم « تـروتسكيون » و « جـــواسيس لليابان »[1] •

وكتب « جوتسكاييف » رئيس « كومزيت » مقالة نشرها بعنوان « بيروبيجان فى عشر سنوات » قال فيها :

« ••• وقد استفحلت الصعوبات ، وتضاعف النشاط التخريبي للعصاة التروتسكيين – البوخارينيين[2] والقوميين البرجوازيين الذين جاءوا من أحزاب يهودية معادية للثورة (كالصهيونيين والبونديين

---

(١) Solomon M. Schwarz, *The Jews in the Soviet Union*, Syracuse, 1951, p. 182; Walter Kolarz, *Russia and her Colonies*, New York, 1952, p. 177.

(٢) نسبة الى « **نيقولاى ايفانوفيج بوخارين** » (١٨٨٨–١٩٣٨) ، من أبرز الساسة البلاشفة والنظريين الماركسيين • وكان لينين يسميه « حبيب الحزب » • انضم الى البلاشفة فى سنة ١٩٠٦ وكان له نشاط كبير فى تنظيم عناصر الحزب فى الخارج خلال الحرب العالمية الاولى • عاد الى روسيا بعـد ثورة فبراير ١٩١٧ وقـام بـدور رئيسى فى الاستعدادات لاستيلاء البلاشفة على السلطة • اختلف مع لينين – بعد نجاح الثورة – فى بعض المسائل ، ولكن علاقاته الشخصية معه بقيت طيبة ، وفى النزاع الذى نشب داخل الحزب بعد وفاة لينين ، من أجل السلطة ، أيد ستالين ضد تروتسكي ، ثم ضد زينوفييف وكامينيف ، وكان المدافع الرئيسي عن فكرة مواصلة السياسة الاقتصادية الجديدة • أصبح رئيسا للكومنترن فى سنة ١٩٢٥ ، ولكنه اختلف مع ستالين فيما بعد وقاد المعارضة اليمينية ضده فى سنة ١٩٢٨ فأقصي عن جميع مناصبه المهمة ، وبقي مع ذلك عضوا فى اللجنة المركزية حتى سنة ١٩٣٦ • وقدم بعد ذلك الى المحاكمة فى محاكمات التطهـير الشهيرة وأعدم فى سنة ١٩٣٨ • استمرت نظرياته مؤثرة ، وخاصة بعد موت ستالين ، فى بولونيا وهنغاريا وألمانيا الشرقية ، كما أعيد اعتباره فى الاتحاد السوفيتى فى عهد خروشوف بصفته أحد قادة الفكر الماركسى ، وأعيد طبع بعض مؤلفاته •

••• الخ •) ان جميع هؤلاء الانفصاليين الحقيرين قد حطموا بصورة متعمدة ، سنة بعد أخرى ، الخطط الرامية الى التوطين فى المقاطعة ، وتعزيز كيانها الاقتصادى ، وأهملوا احتياجات المستوطنين ، وهكذا أسهموا فى خروج المستوطنين منها بصورة جماعية • ان نشاط المخربين كان محسوسا بصورة خاصة فى التوطين الزراعى فى المنطقة ، وفى تنظيم المزارع التعاونية ، حيث تقصدوا احباط كل أهداف المشروع • ان العصاة التروتسكيين ـ البوخارينيين ، وأعداء الشعب العريقين ، قد أسسوا خلاياهم فى الشرق الاقصى بأجمعه ، وفى المقاطعة اليهودية ذات الحكم الذاتى بصورة خاصة ، وتآمروا بصورة غادرة على سلب هذه المقاطعة الغنية من الاتحـاد السوفيتى وتسليمها الى الفاشيستيين الطامعين فى التدخل ••• »[1]

وقيل ان « ليبربرغ » وعددا من أعوانه قد اعتقلوا فى أوائل سنة **١٩٣٧** ، ومصيرهم غير معلوم • ونشـرت جريدة « نيويورك تايمس » خبرا لمراسلها فى موسكو ، أرسل بتاريخ **١٤** حزيران **١٩٣٨** جاء فيه ان **١٧** شخصا من سكان بيروبيجان ، بضمنهم سبعة أشخاص ذوي أسـماء يهودية ظاهرة ، قد أعدموا رميا بالرصاص ، بتهمـة الجاسوسية والتخريب •[2] ونشرت « ديلي تلغراف » اللندنية الصادرة فى **٢٢** أيلول (سبتمبر) **١٩٣٨** خبرا نقلته عن صحيفة «بيزبوجنيك» (Bezbozhnik) يفيد أن الشرطة السرية اكتشفت « منظمة يهودية

---

(١) S. Ye. Chutskayev, "Desyat' let Birobidzhana", *Vlast Sovetov*, 1938, n. 7 (April), p. 18

(٢) *The New York Times*, June 15, 1938.

معادية للثورة وصهيونية » ، وكانت احدى التهم التى أثيرت ضد أعضائها القيام « بأعمال تخريبية تهدف الى عرقلة تنمية بيروبيجان »» •[1]

ونشرت النيويورك تايمس فى عددها الصادر فى **٣** تشـرين الاول (اكتوبر) **١٩٣٨** رسالة تلقتها من موسكو تفيد أن هذه المنظمة قد اتهمت « بمؤامرة انفصالية » في بيروبيجان ، ونقلت الرسالة نفسها تصريحا نشرته « بيزبوجنيك » بأن « المتآمرين اليهود كانوا يديرون مدارس لتدريب الجواسيس والمخربين لمصلحة دولة لم يصـرح بأسمها » •[2]

وبالرغم من ان عمليات التطهير شملت كل منظمة حـكومية وحزبية ، فان أثرها فى بيروبيجان كان أكبر لانها قضت على قـادة الحزب وأعضاء الجهاز الادارى بأجمعهم ، وجيء بموظفين جـدد ليحلوا محلهم • وكذلك أعلن أن المنظمتين اللتين كانتا تشرفان علـى توطين اليهود : « كومزيت » و « اوزيت » تزدحمان بـ « أعـداء الشعب » ، وبعد تطهير جديد فى قيادتهما ، عمدت الحكومة الى الغاء كلتا المنظمتين •[3]

---

(١) *The Daily Telegraph*, September 22, 1938.

(٢) *The New York Times*, October, 3, 1938.

(٣) كان بين الذين اعتقـلوا ثم أعدمـوا رميـا بالرصاص « ميريجين » رئيس منظمة « اوزيت » ونائب رئيس منظمة « كومزيت » ، و « موشي ليتفاكوف » رئيس تحرير مجلة (Emes) ، و « خميريسكي » السكرتير السابق لـ « يفسكتسيا » ، و « ديمانشتاين » قوميسار الشؤون اليهودية سابقا ، و « ليبربرغ » رئيس اللجنة التنفيذية المركزية لسوفييت بيروبيجان ، ورئيس المعهد العلمي اليهودى فى كييف سابقا •

لقد عادت عمليات التطهير على المقاطعة بآثار بليغة ، لم يكن من المستطاع ازالتها بسرعة ، وقد تعرقلت بسببها خطط الهجرة كلهـــا ، وتوقف التوطن فى المنطقة لعدة سنوات • اذ أخذ المهاجرون الذين كان من المحتمل ذهابهم اليها يحجمون عن ذلك ، ليس بسبب عمليات التطهير العنيفة التى كانت تجرى فى المقاطعة فحسب ، بل كذلك بسبب الوضع المتأزم فى الشرق الاقصى الذى حوّل ذلك الملاذ الهادىء الى بقعة مخطرة •

وبعد التطهير توقف نشر أية معلومات دقيقة أو مفصلة عـن المقاطعة اليهودية بصورة كلية تقريبا •

وقد توقفت عن الصدور فى أوائل سنة ١٩٣٨ مجلة « الثورة والقوميـــــات » (Revolyutsiya i Natsional'nosti) التـــى كان يصدرها قسم شؤون الاقليات فى اللجنة المركزية للحزب ، ومجلة « تريبيونا » — (Tribuna) وهي مجلة « اوزيت » — وكانت هاتان المجلتان تنشران كثيرا من الاخبار عن بيروبيجان ، وان لم يكن ذلك بصورة دائمية أو منتظمة • ونضبت آخر المعلومات عن بيروبيجـــان بالغاء منظمة « كومزيت » فى صيف سنة ١٩٣٨ وغلق مجلة (Emes) بعد ذلك بمدة قصيرة •

الحرب العالمية الثانية

يظهر أن الهجرة اليهودية الى بيروبيجان قد حدثت كثيرا ، أو لعلها توقفت كليا ، على أثر توقيع ميثاق هتلر — ستالين (فى ٢٣ آب — أغسطس — ١٩٣٩) ، ويستدل على ذلك بالدرجة الاولى من سكوت

المصادر السوفيتية عن موضوع بيروبيجان بعد ذلك التاريخ •[1]

ان الاتفاق الالماني — السوفيتي ، بطبيعة الحال — لم يخلق جوا مناسبا لاستمرار عمليات توطين اليهود ، وبناء الوطن اليهودى ، فلم تنشأ أية مزرعة تعاونية جديدة فى المنطقة خلال الفتـــرة بين سنتي ١٩٣٩ و ١٩٤١ ، كما أن الظروف العسكرية حالت دون تنفيــــذ المشروعات ذات الامد الطويل والكلفة العالية فى منطقة مجـــاورة لمنشوريا ، ولم يكن من الممكن أيضا زيادة أعباء سكك حديد سيبيريا الشرقية بنقل المستوطنين وأمتعتهم • ولذلك توقف نقل المهاجرين اليهود — وغير اليهود — الى بيروبيجان على أثر نشوب الحرب ، أو ربما قبل ذلك بقليـــل • وقد اعترف بذلك أحـــد كبار المسؤولين الشيوعيين فى المقاطعة ، وهو « باخموتسكي » — سكرتير اللجنـــة الاقليمية للحزب الشيوعى ، والنائب عن المقاطعة فى مجلس السوفييت الاعلى — اذ صرح بأن « الهجرة الى منطقتنا قد توقفت خلال سنـــي الحرب » •[1]

وبالاضافة الى ذلك ، فثمّ دلائل على أن سكان المنطقة اليهود قد انخفض عددهم خلال الحرب ، كما تضاءل عدد سكان المزارع مـــن اليهـــود •

وأبدت « شيفرا كوجينا » — وهي عضو فى مجلس السوفييت الاعلى ، ومعروفة بنشاطها فى تنظيم المزارع التعاونية فى المقاطعة — فى تقرير (متفائل فى نواحيه الاخرى) قدمته فى سنة ١٩٤٦ : « ان

---

(١) Schwarz, *op. cit.*, p. 185

(٢) *Einikeit*, February 1, 1947

الصعوبة الوحيدة التى تواجهنا فى المزارع التعاونية هى قلة الناس • وأستطيع أن أسمي عددا من المزارع (مثلا : « كاغانـــوفيج » و « كيروف » وغيرهما) التى لا يزيد عدد العائلات اليهودية فيها عـــن عشـــر » •[1]

على أن سكان المزارع – من يهود وغير يهود – لم يكونـــوا الوحيدين الذين تضاءل عددهم • فقد جاء فى تقرير « كوجينا » لسنة ١٩٤٦ أيضا ، انه كانت توجد فى المقاطعة مرافق سكنى تكفى الى حد ١١٫٠٠٠ عائلة مستوطنة جديدة • وفى نفس العدد من « آينكايت » ادعى « باخموتسكي » انه كانت توجد فى المدن ، وفى مراكـــز التدريب ، وفى قرى بيروبيجان ، أبنية خالية تكفى « مرارا لاسكان عشرة آلاف مستوطن جديد » ،[2] ولما كان من غير المعقول أن تكون هنالك أية ابنية ذات شأن بنيت خلال الحرب ، فلا شك فى أن هذه الوفرة فى المساكن كانت نتيجة انخفاض كبير فى عدد السكان •

ويستدل على انخفاض عدد سكان المقاطعة خلال سني الحرب أيضا من انخفاض الانتاج الصناعى فيها • فقد انخفض الانتاج الصناعى للمصانع التى تديرها الحكومة بين سنتي ١٩٤٠ و ١٩٤٥ بمقـــدار الثلث •[3]

وتذهب بعض التخمينات الى أن عدد السكان اليهود المتبقين فى

---

(١) *Ibid.*, March 21, 1946

(٢) A. Bakhmutskii, "Di Kraft fun der Stalinsher Nationaler Politik", *Einikeit*, March 21, 1946.

(٣) G. Koptelev, "Ufshtayg fun der Virtshaft un Kultur", *Einikeit*, April 19, 1947.

المقاطعة اليهوديـــة فى نهاية الحرب كان لا يـــزيد عن ٢٠٫٠٠٠ شخص •[1]

ومع ذلك ، فان الكتاب السنوى الامريكي – اليهودى الصادر في سنة ١٩٤٦ يعطي صورة مشرقة أكثر من ذلك عن بيروبيجان في سنة ١٩٤٤–١٩٤٥ والسنوات العشر التى مضت على اعلانها مقاطعة ذات حكم ذاتى :

« ان بيروبيجان التى احتفلت فى سنة ١٩٤٤ لرفعها من اقليم ذى حكم ذاتى الى مرتبة مقاطعة ذات حكم ذاتى ، سجلت تقدما اقتصاديا وثقافيا خلال السنة الماضية •

« فقد قررت لسنة ١٩٤٥ ميزانية سنوية مقدارها ٣٠ مليـــون روبل • وخصص مبلغ ٧ ملايين لبناء معمل للنسيج يشغل ٥٠٠ عامل في البداية • وفى المباراة الاشتراكية للانتاج خلال سنة ١٩٤٤ فى منطقة (خاباروفسك) حصلت مقاطعة بيروبيجان ذات الحكم الذاتى علـــى الجائزة الاولى •

« وارتفع عدد المزارع التعاونية فى بيروبيجان خلال السنوات العشر الماضية من ٨ الى ٥٨ ، فضلا عن خمس مزارع أخرى حكومية (سوفخوز) • ان جميع المزارع والمؤسسات الصناعية ، بما فى ذلك استخراج المعادن ومناجم الذهب ، كان انتاجها اكثر من حصـــتها المرسومة فى المخطط الانتاجى لتلك السنة •

« وقد تخرج فى المدرسة الفنية لمهندسى السكك الحديد ٥٥٠ شخصا منذ نشوب الحرب ، كما تخرج فى معهد الطب ٤٠ طبيبا فى

---

(١) Schwarz, *op. cit.*, p. 186

السنة الماضية وحدها .

وافتتح فى الخريف الماضى مصح للاطفال يستوعب ٧٠٠ مريض ، وكذلك افتتح متحف اقليمى .

« وبمناسبة الذكرى العاشرة لتأسيس المسرح اليدى (في المقاطعة) خصص مبلغ مليونى روبل لتشييد بناية جديدة .

« وبالرغم من عدم الافصاح عن عدد اليهود فى المقاطعة ، ولا عن نسبتهم الى مجموع سكانها ، فمما يجدر بالذكر ان دراسة اللغة اليدية أصبحت مؤخرا مادة اجبارية فى مناهج المدارس غير اليهودية »(١) .

استئناف الهجرة بعد الحرب ثم توقفها

عادت الحكومة السوفيتية فسمحت باستئناف الهجرة الى بيروبيجان فى النصف الثانى من سنة ١٩٤٦ ، وادت هذه السياسة الى موجة جديدة من الهجرة التلقائية والرسمية الى المقاطعة .

والظاهر ان السلطات السوفيتية كانت ما تزال شديدة الرغبة فى تنمية تلك المنطقة ، ولذلك طاف وفد من ممثلي يهود بيروبيجان المدن السوفيتية التى فيها جاليات يهودية كبيرة ، ليستثير حماسة اليهود بالحديث عن منجزات « بيروبيجان » ودعوتهم الى المساهمة فى بناء الوطن اليهودى . وكان الوفد يستقبل استقبالا رسميا حسنا اينما حل ، ويلقى تسهيلات كثيرة لتأدية مهمته .

وكانت الحكومة السوفيتية قد اعلنت من جانبها انها ستمنح

(١) *American Jewish Year Book*, vol. 47, 1946, pp. 416-417

الراغبين فى التوطن فى بيروبيجان سفرا مجانيا بالقطار ، ومساعدة مالية قدرها ٣٠٠ روبل لكل شخص ، وتوفر لهم اعمالا ، كما ان كل عائلة كانت تستطيع ان تحصل على سلفة حكومية قدرها ١٠٫٠٠٠ روبل لانشاء مزرعة ، تسدد خلال عشر سنوات .

وكذلك فان الظروف فى بيروبيجان لم تكن كئيبة كما كانت حين وصلها اوائل المستوطنين فى العشرينات ، ولم تعد « تيخونكايا » (التى اصبحت الآن بيروبيجان) تلك المحطة الموحشة التى ينتظر الواصلون اليها فى ثكنات تفتقر الى ابسط وسائل الراحة الضرورية ، بل مدينة كبيرة يتراوح عدد سكانها بين ٣٠ و ٤٠ الفا ، ذات شوارع عريضة ، وتسهيلات كافية للسكنى المجانية التى اصبحت متوافرة بسبب كثرة المغادرين خلال الحرب ، فى وقت كانت الهجرة فيه تكاد تكون متوقفة .

وكانت الحياة الثقافية اليهودية فى المقاطعة قد انتعشت أيضا . وصارت تصدر فيها جريدة يدية هي (Birobidzhaner Shtern) مرتين فى الاسبوع ، ثم اربع مرات . وبدأ الحديث عن اصدار مجلة ادبية يدية ، بل انشاء جامعة يدية ايضا ، تكون الاولى من نوعها فى العالم . وهكذا تراءى فى افق بيروبيجان مستقبل زاهر جديد .

ولذلك كله اظهر اليهود فى هذه المرة حماسة اشد للتوطين فى بيروبيجان ، وتطوع للذهاب اليها فنانون وموسيقيون واطباء ، وقرر كثير من الناشئة اليهود التوطن فى الارض الموعودة الجديدة .

وفى مقابلة مع محررى « آينيكايت » لخص « آبرام يارموليتسكى » ـ نائب رئيس اللجنة التنفيذية لبيروبيجان ـ انطباعاته

عن سفرة قام بها الى اوكراينا والقرم ، لاتخاذ التدابير اللازمة لنقل المهاجرين ، كما يأتي :

« حيثما ذهبت ، وجدت السكان اليهود مهتمين اهتماما عظيما بالمقاطعة اليهودية ذات الحكم الذاتي . **والواقع ان هذا كان اكثر من** مجرد اهتمام . فقد اعرب كثير من الاشخاص العاملين – كفلاحي المزارع التعاونية ، والعمال ، والمستخدمين ، والطبقة المثقفة ، عن رغبتهم الشديدة المخلصة فى القيام بدور فعل فى بناء كيان دولة يهودية فى الاتحاد السوفيتي ، وانهم ينتظرون مجرد فرصة للتوطن هناك . ان موسم الشتاء الحالى جعل كثيرا من العائلات ، وخاصة تلك التى لها اطفال صغار ، **تؤجل مغادرتها الى الخريف بطبيعة الحال .** على ان هناك كثيرا من المتحمسين الذين لم يعقهم الشتاء . وقد ذهبت **٢٥٢** عائلة مع جماعة (القرم) ، و**٢٤٨** عائلة مع جماعة (خيرسون)، و**١١٤** عائلة مع تلك التى ذهبت من (نيقولاييف) – ويبلغ مجموعهم **٦١٤** عائلة .

« ان تكوين المهاجرين مرض لنا جدا ، فلدينا بين ال **٦١٤** عائلة المذكورة **٢٥٥** عائلة تعمل فى المزارع التعاونية . وقد جلب هؤلاء معهم كل ممتلكاتهم ومقتنياتهم ، وهم يعتزمون دعم المزارع التعاونية الموجودة حاليا ، وانشاء اخرى جديدة»[١] .

وقد جاءت اول وجبة من المستوطنين الجدد – وعدد افرادها اكثر من ٣٠٠ شخص – من مدينة « فينيتسا » فى اوكراينا ، فوصلت

(١) Abram Yarmolitskii, *Einikeit,* January 18, 1948

بيروبيجان فى مطلع عام **١٩٤٦**[١] ، وكان هنالك مهاجرون قرويون وجماعات صغيرة اتجهت الى الشرق الاقصى من تلقاء أنفسها فى وقت سابق لذلك[٢] .

وتبعت الوجبة الاولى من «فينيتسا» وجبتان اخريان من المهاجرين من المنطقة نفسها ، وعدة وجبات من مدن اوكراينا الاخرى (خيرسون ونيقولاييف ودنيبروفسك) ، ومن القرم .

وتشير تقارير الموظفين المحليين الى وصول **٢٠٫٠٠٠** يهودى خلال سنة **١٩٤٧** والاشهر الاولى من سنة **١٩٤٨**[٣] ، وهذا العدد ربما كان مبالغا فيه[٤] ، ولكن لا شك فى وصول عدة مجموعات من المستوطنين حتى تموز **١٩٤٨** ، بلغ عدد اعضائها **١٫٧٧٠** عائلة ، أو **٦٫٣٢٦** شخصا[٥] نقلتهم الحكومة من مناطق غربية مختلفة فى قوافل

(١) *Einikeit,* January 1 and May 22, 1947

(٢) كتب « باخموتسكي » في مايس **١٩٤٧** : « الى جانب الرفاق القادمين من فينيتسا جاء الى منطقتنا في السنة الماضية عدد كبير من المستوطنين (حوالى ٥٠٠ عائلة) من أماكن أخرى ووصلوا أفرادا أو في مجموعات .. وفي كل يوم تصل من اليهود في مختلف أنحاء الاتحاد السوفياتي رسائل يعربون فيها عن رغبتهم في الانتقال الى بيروبيجان . وقد قدمت طلبات جماعية من أكثر من ٢٠٠ عائلة في منطقة كييف ، وأكثر من ١٠٠ عائلة في جيتومير ، و ٥٠ عائلة في مقاطعات بولتافا ، ودنيبروبتروفسك ، واوديسا ، وكيميروفو ، والقرم » .
(A. Bakhmutskii, *Einikeit,* May 24, 1947)

(٣) Bakhmutskii, *Einikeit,* April 10, 1948

(٤) Schwarz, *op. cit.*, p. 186

(٥) M. Levitin, *Einikeit,* July 22, 1948

منظمة يتألف كل منها من حوالى مائة شخص •

والى جانب الهجرة المنظمة (أو الرسمية) ذهب الى بيروبيجان ألوف من اليهود بين سنتي ١٩٤٦ و١٩٤٩ بدون اجازة رسمية وبصورة تلقائية ، وقد اخذت حركة الهجرة « التلقائية » هذه ابعادا لم يسبق لها مثيل فى تاريخ المقاطعة • وتذهب بعض التخمينات الى ان سكان بيروبيجان اليهود قد تضاعفوا فى السنوات التى اعقبت الحرب ، وان عددهم – فى منتصف سنة ١٩٤٨ – ربما اصبح فى حدود ٣٥٫٠٠٠[1] •

ويلاحظ ان جماعات اليهود التى جرى تهجيرها بصورة رسمية كانت قادمة كلها من مناطق اوكراينا والقرم • وكذلك كانت « اغلبية » المستوطنين الفرديين • أما المستوطنون الفرديون القادمون من سيبيريا الغربية وآسيا الوسطى فمن الواضح انهم كانوا – فى الغالب – من اليهود الذين التجأوا الى تلك المناطق خلال الحرب فرارا من الاحتلال النازى لمناطقهم الاصلية • ولما كان عدد اليهود المتبقين فى المناطق التى احتلتها المانيا قليلا جدا ، فان اليهود الذين ذهبوا الى بيروبيجان من تلك المناطق بين سنتي ١٩٤٦ و١٩٤٩ كانوا فى اغلب الاحتمال من الجنود المسرحين ، أو من الذين اجلتهم الحكومة عن تلك المناطق ، أو من الذين نقلوا الى المانيا وكانوا فى معسكرات العمل فيها • اى انهم جميعا أشخاص عادوا الى مناطقهم الاصلية فى سنتي ١٩٤٤ و١٩٤٥ ولم يرغبوا فى البقاء فيها بسبب عدم الارتياح او عدم

(١) Schwarz, *op. cit.*, p. 187

الاكتراث الذى قوبلوا به من السكان المحليين •

وبعد هذه الفترة القصيرة من الهجرة المتزايدة ، ما لبثت حركة الهجرة ان توقفت ، وبدأ الحديث عن علاقات تجسس مع الخارج يقيمها اليهود السوفييت ، وعن محاولة لجعل بيروبيجان قاعدة معادية للاتحاد السوفيتي • وعزلت بيروبيجان عن العالم منذ سنة ١٩٤٩ ، ولم تعد الصحف السوفيتية تشير اليها الا فى التقارير الروتينية المتعلقة بالانتاج الزراعى والصناعى فى مناطق الاتحاد السوفيتي المختلفة ، وانقطعت الدعاية المتعلقة بالمقاطعة اليهودية ذات الحكم الذاتي •

الفصل التاسع

الحياة في بيروبيجان

كانت بيروبيجان فى اغلب الفترات التى مرت بها منذ اعلانهـــا مقاطعة ذات حكم ذاتي ، منطقة مغلقـــة للاجانب ، ولذلك فان معظم المعلومات المتوافرة عن الحياة فيها تستند اما الى المصادر السوفيتية التى تحاول دائما ابراز النـــواحي الجيدة ، وتسكت عن غيرها ، أو الى ما يرويه اليهود السوفييت الذين كانوا فى بيروبيجان ، ثم تمكنوا من مغادرة الاتحاد السوفيتى بطريقة ما ، وهم فى العادة خصوم حاقدون على النظام السوفيتى ، يلون السخط وصفهم ، فلا يتحدثون الا عن النواحى السيئة .

وهنالك عدد محدود من الصحفيين الاجانب الذين تمكنوا من زيارة المقاطعة لمدة قصيرة أو المرور بها ، وهم بين شيوعي كان ضيفاعلى الحكومة السوفيتية ، فجاء وصفه ترديدا لوجهة النظر السوفيتيـــة الرسمية ، أو صهيوني ذهب لغاية فى نفسه ، وهو يعرف منذ البداية ما سيكتبه ، فكان همه الاول ابراز فشل التجربة تدعيما للفـــكرة الصهيونية ، وابرازا لافضليتها على مشروع بيروبيجان ، أو ــ فيأحسن الحالات ــ صحفي غربي كان همه كتابة شيء جديد ، وجعل موضوعه

طريفا ، فكانت اثارة اهتمام القراء أهم الاعتبارات التي وجهت ما كتب .

ولكن قلما أتيح لزائر أجنبي محايد أن يزور المقاطعة بمفرده ، او يتجول فيها ، ويختلط بسكانها اليهود وغير اليهود ، ويقضي فيها مدة تكفي لاعطائه فكرة صادقة عن الحياة فيها ، ليتمكن من اعطاء المهتمين بهذه التجربة في العالم وصفا موضوعيا محايدا لحقيقة الحالة في المقاطعة ، وشعور مستوطنيها ، والحياة اليومية فيها .

وذكر « ولتر بيدل سمث » سفير الولايات المتحدة في الاتحاد السوفيتي بين سنتي ١٩٤٦ و ١٩٤٨ (وهي الفترة التي انتعشت خلالها الهجرة الى بيروبيجان بعد الحرب) في مذكراته :

« ان تجربة بيروبيجان كانت محل اهتمام كبير من السفارة الامريكية ، وقد تقدمنا الى السلطات السوفيتية بطلبات متكررة للسماح لاحد الموظفين بالتوقف في المنطقة وزيارتها خلال السفرات التي كانوا يقومون بها بين موسكو وفلاديفوستوك . ولكن هذا الطلب كان يرفض دائما ، ولم يكن لنا أن نستنتج من ذلك الا أن السلطات السوفيتية لم ترغب في أن نطلع مباشرة ، ونتأكد من صحة ما نسمعه عن حالة المقاطعة السيئة والفقيرة نسبيا ، وعن مستوى المعيشة الواطيء فيها . والظاهر أن المحاولات لجعلها وطنا قوميا يهوديا قد فشلت ، وأن الحكومة لم تعد تعير المشروع اهتماما كبيرا ، سوى جعلها ملجأ لبعض اليهود الاوكرايينين » .(١)

---

(١) Walter Bedelle Smith, *My Three Years in Moscow*, New York, 1950, p. 276.

ونشر « حاييم عرينبرغ » ـ رئيس تحرير مجلة (The Jewish Frontier) التي تصدر في نيويورك ـ في شباط (فبراير) ١٩٥١ نص رسالة كان قد بعث بها الى السفير السوفيتي في واشنطن ، جاء فيها :

« لم نسمع كلمة واحدة عن بيروبيجان منذ مدة طويلة . اننا لا نعرف عدد سكانها ، وهل أن جاليتها اليهودية في نمو أم لا . هل توجد مدارس يهودية في بيروبيجان ؟ هل يذهب اليهود للتوطن فيها ؟ واذا كانوا لا يذهبون فما السبب ؟ ما الذي تم من أمر هذا المشروع من اجل « اسرائيل سوفيتية » ؟ هل عدلت الحكومة عن رأيها في المشروع ؟ هل كان اليهود مخيبين للامل فيها ؟ ليست لدينا أجوبة عن هذه الطلاسم . ان دعاة الشيوعية المحليين يعرفون عن التيبت اكثر مما يعرفون عن بيروبيجان » .

ويقول الكاتب المذكور انه لم يتلق جوابا عن رسالته .(١)

لقد كانت غاية الحكومة السوفيتية من المشروع أن تكون المقاطعة اليهودية الجديدة مقاطعة اشتراكية في ظل الدولة السوفياتية ، وأن يخرج اليهود فيها عن « يهوديتهم المتحجرة » المتأصلة في طبيعة تكوينهم الاجتماعي والثقافي ، فيكونوا يهودا أمميين اشتراكيين .

وفي رواية باللغة اليدية عن « بيروبيجان » للكاتب اليهودي السوفيتي « برغلسون » وصف لمستوطن شاب في طريقه الى المقاطعة ،

---

(١) George N. Shuster, *Religion behind the Iron Curtain*, New York, 1954, pp. 254-5.

يلتفت فى القطار الى صديقه ويسأله :

« ولكن أيها الرفيق شكلوفر ، ما الذى قلت انه سيسمى ؟ ماذا سنبنى هناك ؟ » •

فيجيبه الصديق :

« انه فى الحقيقة بسيط جدا • أفيصعب تذكره الى هذا الحد حقا ؟ اننا سنبني الاشتراكية ! » •[1]

لقد كانت السلطات السوفيتية شديدة الحرص على الا يصبح المشروع مغامرة تنتهي ببناء حى يهودى مغلق (غيتو) جديد • ولذلك لم يتم اختيار اليهود الذين يهجرون الى المقاطعة اعتباطا ، كما أنه لم يكن فى تكوين المقاطعة الجديدة ما يمنع من اشتراك غير اليهود • وبينما كانت النداءات التى توجه الى اليهود فى الخارج لتشجيع مشروع بيروبيجان تبرز ، بالدرجة الاولى ، النواحى « القومية » فيه ، فان تلك التى توجه الى اليهود داخل الاتحاد السوفيتى كانت تؤكد بصورة خاصة على تغيير طبائع المهاجرين وعاداتهم • وكان المستوطنون اليهود ، فى السنوات الأولى من البدء بالمشروع ، ينالون عناية خاصة من الحكومة ، ويحصلون على مساعدات سخية ، ودعم مستمر • وقد شهدت بيروبيجان ، بنتيجة ذلك ، نهضة زراعية وصناعية كبيرة • وكانت الدعاية السوفيتية تنتهز كل فرصة للاشارة الى بيروبيجان ، وابراز مساهمتها ، مع سائر الجمهوريات والوحدات الادارية القومية ، فى شؤون البلاد • وقد ذكرت الصحف السوفيتية بفخر أن بيروبيجان ساهمت بتزويد الرخام لبناء احدى محطات المترو فى موسكو • وفى

(١) David Bergelson, *Birobidzhaner,* Moscow, 1934, p. 47

المعرض الزراعى الاتحادى لسنة **١٩٣٨-١٩٣٩** الذى أقيم فى موسكو ، كان للمقاطعة اليهودية جناحها الخاص •

وبالرغم من قلة عدد اليهود فى المقاطعة نسبيا ، فان الزعماء السوفييت أكدوا على أن قيام وحدة اقليمية سياسية واسعة ، لغتها الرسمية اليدية ، ذات منشئات ثقافية بهذه اللغة ، سيضمن بقاء اليهود « كقومية » • لقد كان المقصود أن تكون المقاطعة مركز تجمع للثقافة اليهودية ، والشعور اليهودى ، يجتمع فيه أعلام الثقافة ومشاهير الكتاب والفنانين من يهود الاتحاد السوفيتي ، فتكون كيانا سداه اليهودية ولحمته الاشتراكية ، أو ــ كما وصفتها الدعاية السوفيتية ــ مقاطعة « يهودية فى شكلها ، اشتراكية فى محتواها » •

وقد أرسل لزيارة المقاطعة عدد كبير من كتاب اللغة اليدية وشعرائها ، وعادوا بمؤلفات نالت انتشارا واسعا فى كل من اللغتين اليدية والروسية •

ونظم « فيفر » ــ أحد مشاهير الشعراء باليدية ــ قصيدة عنوانها « مسيرة بيروبيجان » قال فيها :

يدا بيد ، مع جميع الشعوب الاخرى
لنا وطننا ، وهي أرض ستالينية ![1]

ما زالت بيروبيجان ، من الناحية الدستورية والادارية « مقاطعة يهودية ذات حكم ذاتي » ، وعدد سكانها ــ حسب احصاء سنة **١٩٥٩**ــ يبلغ **١٦٢٫٨٥٦** نسمة يؤلف الروس أغلبيتهم الساحقة ، حيث كان

(١) Itsik Fefer, ''Birobidzhan March'', in *The Golden Peacock*, ed. & trans. by: J. Leftwich (London 1939), p. 221.

عددهم ـ بموجب الاحصاء ذاته ـ ١٢٧ر٢٨١ (أى ٧٨ر٢ بالمائة) ، ويليهم الاوكرانيون ، وعددهم ١٤ر٤٢٥ (٩ر٨ بالمائة) .[1] أما اليهود فكانوا يحتلون المرتبةالثالثة ، وعددهم ١٤ر٢٦٩ (٨ر٨ بالمائة[2]، وكان بينهم ٦ر٣١٣ من الذكور ، و ٧ر٩٥٦ من الاناث . أما الذين أفادوا بأن لغتهم الاصلية هى اليدية ، فكان عددهم ٥ر٥٩٧ (أى ٣٩ر٢ بالمائة من مجموع اليهود) .[3]

ويمثل المقاطعة اليهودية ذات الحكم الذاتى فى سوفيت القوميات (أحد المجلسين اللذين يتألف منهما مجلس السوفيت الاعلى) خمسة نواب ، بموجب الدستور السوفيتى ، بينهم نائبواحد يحمل اسما يدل على أنه يهودى[4] . ولما كانت نسبة اليهود الى

---

(١) Solomon Rabinovich, *Jews in the Soviet Union*, Moscow, 1967. p. 28.

(٢) جاء في كتاب « يهود العالم اليوم » الصادر فيسنة ١٩٥٩ أن عدد اليهود في المقاطعة هو ١٠٠ر٠٠٠ ، وأنهم يؤلفون ٥٠ بالمائة من مجموع سكانها ، وهو خطأ واضح ، لان مجموع اليهود لم يبلغذلك العدد في أى وقت من الاوقات .

(S. Federbush, *World Jewry Today*, London, 1959, pp. 647-8).

وقد نقل هذا الخطأ عن الكتاب المذكور الدكتور صلاح دباغ في كتابه « الاتحاد السوفيتي وقضية فلسطين » ـ بيروت ١٩٦٨،ص٥٢ .

(٣) *Itogi Vsesoyuznoi perepisi naselonia 1959 goda*, Moscow, pp. 334-5; 360-1

(٤) هو : الدكتور روزاليا غولدنبرغ ، أنظر :
William Korey, "The Legal Position of Soviet Jewry: A Historical Enquiry", in *The Jews in Soviet Russia Since 1917*, ed. by Lionel Kochan, London, 1970, p. 79.

مجموع سكان المقاطعة هي ٨ر٨ بالمائة ، فان وجود نائب يهودى واحد بين خمسة نواب يمثلونها ، يفوق نسبتهم العددية بأكثر من الضعف . ان تلك النسبة أيضا تجعل من المستحيل تطبيق المادة (١١٠) من الدستور السوفيتي التى تقضى باستعمال لغة سكان المقاطعة فى المحاكم ،[1] اذ لو طبقت هذه المادة فعلا ، لما كانت اليدية هى اللغة التى يجب استعمالها ، لانها ليست لغة أغلبية السكان .

أما عاصمة المقاطعة فهى مدينة « بيروبيجان » التى كانت قبل تخصيص المنطقة للتوطن اليهودى محطة صغيرة على سكة حديد سيبيريا تدعى « تيخونكايا » ، يسكنها بضع مئات من السكان . وفى سنة ١٩٣٥ أصبح عدد سكانها يتراوح بين ٩ر٠٠٠ و ١٠ر٠٠٠ نسمة ، وفى سنة ١٩٣٨ قيل انه أصبح ٢٠ر٠٠٠ ، وفى احصاء سنة ١٩٥٩ كان ٤١ر٠٠٠ نسمة .

و « بيروبيجان » فى الوقت الحاضر مدينة عصرية مزدهره ، ذات شوارع عريضة معبدة ، ونور كهربائي ، وباصات (أوتوبيسات) ، وتاكسيات ، ومخازن ، وفندق ، ومستشفى ، ودار سينما ، ومكتبة عامة .

---

(١) نص المادة (١١٠) من الدستور السوفيتي :
« تجرى أصول المحاكمة بلغة الجمهورية المتحدة أو ذات الحكم الذاتي أو المقاطعة ذات الحكم الذاتي ، على أن يؤمن للاشخاص الذين لايعرفون هذه اللغة امكان الاطلاع منجميع النواحي على اضبارةالدعوى بواسطة ترجمان ، وعلى أن يؤمن لهم كذلكحق استعمال لغتهم القومية عند سماع الدعوى أمام المحكمة » .
(دستور اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية . دارالطبع والنشر باللغات الاجنبية ، موسكو ، ١٩٦٠ ، ص٩٥ ـ باللغةالعربية)

ولا تزال تصدر في بيروبيجان جريدتان احداهما باللغة الروسية، وهي « بيروبيجان زفزدا » – أي نجمة بيروبيجان – ، والاخرى باللغة اليدية اسمها « بيروبيجان شترن » – ومعناها نجمة بيروبيجان ايضا – وهي تصدر ثلاث مرات في الاسبوع ، وتوزيعها ألف نسخة تقريبا •

وكان هناك ، حتى تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٨ مسرح يقدم تمثيليات باللغة اليدية ، من تأليف « شالوم آليخيم »[1] وغيره من الكتاب المسرحيين السوفييت •

وأصدرت الحكومة السوفيتية في سنة ١٩٥٩ كتيبا بعنوان « المقاطعة اليهودية ذات الحكم الذاتي »[2] طبع في خاباروفسك باللغة الروسية ، تضمن معلومات عامة عن بيروبيجان جاء فيه أن بيروبيجان في سنة ١٩٣١ كانت تحتوى على مدرسة واحدة يدرس فيها ٦٠٠ طفل ، أما الان (أي في وقت صدور الكتاب) ففيها ١٣ مدرسة ، ومدرسة داخلية ، ومدرسة للموسيقى ، ومحطة لهواة علم الحيوان الناشئين ، وبيت للرواد ، ومكتبة للاطفال ، وكذلك فيها

---

(١) « شالوم أليخيم » (١٨٥٩–١٩١٦) الاسم المستعار لـ « سولومون رابينوفيج » أشهر كتاب اللغة اليدية الفكهين ، ويلقب « ماركتوين اليهودى » • ولد فيروسيا ، ونالشهرة واسعة بأقاصيصه ورواياته ومسرحياته التي جمعت في أربعين مجلدا • وفي كتابات « شالوم أليخيم » صورة شاملة لحياة اليهود في روسيا ، ووصف لمئات الشخصيات اليهودية فيمختلف مجالات الحياة • مات فينيويورك التي أقام فيها منذ سنة ١٩١٤ ، وأطلق أسمه على كثير من المدارس والمعاهد والمكتبات اليهودية في مختلف أنحاء العالم ، والمكتبة العامة في بيروبيجان تحمل أسمه أيضا •

(٢) *Yevriskaya Avtonomaya Oblast*, Khabarovsk, 1959

معهد عال للتعليم أسس منذ ٢٥ سنة ، وتخرج فيه حوالى ٢٠٠٠ معلم ومعلمة ، ومعاهد متوسطة لتخريج « الموظفين الصحيين » ، والميكانيكيين للاشغال الزراعية والسكك الحديد • وفيها مكتبة عامة تحمل اسم « شالوم آليخيم » ، تحتوى على ١٠٠٠٠٠ مجلد ، أكثر من ١٠٠٠٠ منها باللغة اليدية •[1] وذكر ناشرو هذا الكتاب ، بفخر واعتزاز ، أن خروشوف وصف مقاطعتهم بـ « المنطقة الخلاّبة » •[2]

ومن الظواهر المهمة في الحياة في بيروبيجان ازدياد الشعور الديني بين يهودها قوة • وبالرغم من الحملة الشديدة التي شنت على الدين في الاتحاد السوفيتي خلال السنوات الاولى من الحكم البلشفي ، فأن أوائل المستوطنين اليهود نظموا دورا للعبادة والصلاة ، وكانت هذه الدور سرية في البداية ، كما أنهم امتنعوا عن العمل في يوم رأس السنة اليهودية ، وغيره من الاعياد الدينية اليهودية •

وفي سنة ١٩٤٧ بني في « بيروبيجان » العاصمة كنيس يهودى ، ويقال ان أعدادا كافية من المصلين اليهود ما تزال تتجمع لحصول « مينيان »[3] واقامة الصلاة جماعية ، وخاصة في أيام السبت •

ونشرت جريدة « نيويورك هيرالد تريبيون » في عددها الصادر في ٩ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٩ مقالة عنوانها « بيروبيجان »

---

(١) *Ibid.*, p. 40

(٢) *Ibid.*, p. 7

(٣) « مينيان » – كلمة عبرية معناها « عدد » أو « نصاب » تستعمل للدلالة على اجتماع عشرة يهود ذكور بالغين تزيد أعمارهم عن ثلاث عشرة سنة ، وهو الحد الادنى الواجب توافره لاقامة صلاة جماعية •

بقلم « جوزيف نيومان » مراسلها فى موسكو نقل فيها محادثة أجراها مع نجار اوسترالى يدعى « كارلوس ملمان » كان قد هاجر الى الاتحاد السوفيتي خلال سنة ١٩٤٧ ، حيث اجتذبته الدعايات السوفيتية عن الوطن القومى اليهودى فى بيروبيجان ، ولكنه تمكن فيما بعد من مغادرة البلاد بسبب جنسيته الاوسترالية • وقد روى هذا النجار للمراسل أن اليهود كانوا يؤلفون ربع سكان المدن فى المقاطعة ، وأن معظم الناس فيها كانوا يعملون فى المزارع التعاونية ، ويشتغلون بمعدل ١٢ ساعة فى اليوم • والاجور التى كانوا يتقاضونها تكفى لابقائهم على قيد الحياة بصعوبة ، وأن أغلبية سكان المقاطعة يعيشون فى بيوت خشبية متهاوية •

ونشرت جريدة « ها ـ آريتز » الاسرائيلية التى تصدر فى تل ابيب مقالا فى ٢٩ مارت ١٩٥١ عن « بيروبيجان » ادعت انها جمعت المعلومات القليلة التى تضمنته من المجلات المهنية الروسية ، جاء فيه :

« قيل ان السكان كان عددهم ١٤٠٫٠٠٠ ، وأقل من ثلثهم من اليهود ، وأشير أيضا الى أنه خلال سنتى ١٩٤٩ و ١٩٥٠ لم يصل الى المقاطعة سوى بضع مئات من اليهود معظمهم كانوا أقرباء أشخاص مقيمين هناك • وفى هذه الاثناء كان عدة آلاف من اليهود قد توطنوا فى أماكن اخرى من سيبيريا • وخلال السنوات نفسها أخرج الزعماء الشيوعيون من مناصبهم ليفسحوا المجال لغير اليهود ممن نقلوا الى المقاطعة من مختلف أنحاء روسيا • ولم يكن هناك ذكر لنشاط ثقافي يهودى خاص ، ولم يكن من الممكن التأكد فيما اذا كانت اليدية ما تزال تدرس فى المدارس • كل الدعاية المتعلقة بالمقاطعة انقطعت فجأة ،

وكانت هنالك دلائل على أن المقاطعة امتصها الاقليم الكبير المجاور : خاباروفسك » •[1]

وقد سمحت الحكومة السوفيتية فى أواخر سنة ١٩٥٨ لعدد من الصحفيين الشيوعيين بزيارة المنطقة ، وكان بينهم الصحفى البولونى « دومينيك هوسودينسكي » مراسل مجلة (Swait) التى تصدر فى وارشو • ووصف هذا المراسل مشاهداته وانطباعاته فى مقالة نشرتها مجلته فى ٧ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٥٨ ، جاء فيها :

« ان يهود بيروبيجان لا يعلقون أهمية على أصلهم اليهودى • انهم على العكس من ذلك يتمثلون بسرعة ، بل يرغبون فى التمثل ••»

ومما ذكره هذا المراسل أيضا أن الآباء يفضلون ارسال أولادهم الى المدارس الروسية لكى يتمكنوا فيما بعد من اكمال تعليمهم باللغة الروسية • وختم المراسل مقالته قائلا :

« ان تجربة تحويل اليهود الى مزارعين ، واسكانهم شرقى منغوليا ، في مكان لا توجد فيه تقاليد يهودية ، لايمكن أن تتكلل بالنجاح • فنهر (بيرا) ليس نهر (الاردن) ، ولم يكن الاردن قط ••• ولن يكون أبدا » •[1]

ووصف « ستيوارت لورى » مراسل جريدة « نيويورك هرالد تريبيون » فى موسكو فى أوائل الستينات ، سفرة قام بها من موسكو

(١) *Ha-aretz*, Tel Aviv, March 29, 1951

(٢) ترجمت هذه المقالة الى الفرنسية في :
Francois Fejto, *Le Juif, et l'antisemitism dans le pays communists (entre l'integration et la secession), suivi de documents et de temoignages*, Paris, 1960.

الى فلاديفوستوك على سكة حديد سيبيريا ، فى سلسلة من المقـــالات نشرها فى جريدته فى سنة ١٩٦٤ ، وجاء فى الرسالة التى ارسلها من بيروبيجان قوله :

« ان المقاطعة اليهودية ذات الحكم الذاتي مفتوحة أحيانا ومغلقة أحيانا أخرى فى وجه الاجانب • وفى وزارة الخارجية بموسكو قيل انها ستكون مغلقة أثناء مروري بها » •

« ولذلك فان توقفي فيها استمر أقل من عشرين دقيقة ، وهى مدة لا تكفى الا لمعرفة أن هذه المدينة لا تختلف عن أية مدينة اخرى فى سيبيريا ، والا لمشاهدة أنه ليست هنالك أية كتابة باللغة اليدية سوى اسم محطة بيروبيجان » •

ومع ذلك ، فان هذا الصحفى يروى محادثة له عن بيروبيجان مع صحفيين سوفيتيين كانا يرافقانه فى السفرة :

« سألتهما : لماذا لم تعد اللغة اليدية تستعمل للتعليم فى المدارس؟ فقال غوليكيف (أحدهما) : خلال الفترة الاولى كانت هنالك بعض المدارس التى يجرى التدريس فيها باليدية • ولكن بعد مدة من الزمن قرر المواطنون انفسهم أنه لم تكن ثم ضرورة خاصة لبقاء هذه المدارس طالما هم يعيشون جنبا الى جنب مع الروس ويتكلمون الروسية » •

« فسألت : لماذا كتب اسم المحطة باليدية اذن ؟

« فأجاب الآخر : لا يزال هناك بعض اليهود فى القرى ممن لا يجيدون الروسية مثل اجادتهم اليدية » •

« هنالك كثير من الاجانب الذين يمرون من هنا • ان كتابـــة اللافتات بكلتا اللغتين أمر رمزى فقط » •

ثم يقول « لورى » :

« ان الحقيقة الاساسية حول بيروبيجان اليوم ليست كونها وطنا يهوديا ، بل انها أحسن منطقة زراعية فى الشرق الاقصى السوفيتى • ففيها صناعة هائلة لمواد البناء ، وهي فى موقع ستراتيجي حساس على حدود الصين الشعبية » •

ويروى هذا المراسل أيضا أنه شاهد من نافذة القطار العمل جاريا فى أبنية ومساكن أكثر مما شاهد فى أى مكان آخر على هذا الخط • ويختم رسالته قائلا :

« تعد المقاطعة الآن ذات اهمية عظمى للمنطقة كلها ، ولذلك فان الاهداف المناوئة للصهيونية ، التى تحكمت فى انشاء المقاطعة ، قد تم التخلي عنها بهدوء ، ولكن بصورة متينة » •[١]

ولكن هذا المراسل كان مخطئا فى حكمه الاخير ، ولعله فى الواقع كان يعبر عما فى قرارة نفسه من عطف على الصهيونية •

فقد نشرت صحيفة « برافدا » فى ٢٨ شباط (فبراير) ١٩٧٠ نص قرار اتخذه سكان بيروبيجان ، عاصمة المقاطعة ، يستنكرون فيه سياسة « الامبرياليين الاسرائيليين » • وقالت « برافدا » ان القرار اتخذ فى اجتماع حضره ٦٠٠ شخص ، وأضافت ان الاهانات التى تنشرها اسرائيل عن الاتحاد السوفيتي واللاسامية المزعومة فيه ، انما تهدف الى محاولة تضليل الرأى العام لعالمى و « اخفاء مصالحها الامبريالية » •

وكانت هذه الحملة ردا على عدوان اسرائيلي (جرى فى أوائل

---

(١) Stuart H. Loory, in *New York Herald Tribune,* July 22, 1964.

ذلك الشهر) على أحد المعامل القريبة من القاهرة ، قتل فيه ٨٠ شخصا ، وعلى تصريحات « غولدا مئير » التى اتهمت فيها الحكومة السوفيتية باضطهاد اليهود ، ودعت يهود الاتحاد السوفيتى الى الهجرة الى اسرائيل •

وتضمن المقال تصريحا لخبير فني فى مزرعة يهودية يدعى « آلكساندر لفاين » قال فيه :

« اننا لن نخون وطننا الام ، ونحن نعد دعوة غولدا مئير استفزازا مجرما ، كما نعد الفاشيستية والصهيونية توأمين •[1]

(١) برقية لوكالة أنباء رويتر بتاريخ ٢٨ شباط ١٩٧٠ (نقلا عن جريدة النهار ، بيروت ، ١ مارت ١٩٧٠) وكانت هذه المقالة ضمن حملة قوية شنتها أجهزة الاعلام السوفيتية على اسرائيل بهذه المناسبة ، وكانت « برافدا » قد نشرت في اليوم السابق مقالة بقلم جنرال سوفيتي يهودى هاجم فيها اسرائيل وسياستها العدوانية هجوما عنيفا (برقية لرويتر – « النهار » ، بيروت ، ٢٨ شباط ١٩٧٠) •

الفصل العاشر

تجربة بيروبيجان
نجاح ام فشل ؟

هل حقق مشروع بيروبيجان أهدافه ؟ وهل تعد هذه التجربة السوفيتية من أجل وطن قومي يهودى ناجحة ؟ واذا لم تكن ناجحة فما أسباب فشلها ؟

ان الاهمية التى حازها المشروع فى الثلاثينات والاربعينات كانت ناجمة بالدرجة الاولى عن صفتها « اليهودية » ، وقد أصبحت المقاطعة رمزا لسياسة الاتحاد السوفيتي نحو القوميات ، وتجسيدا للحل السوفيتي للمشكلة اليهودية ، مقابل الحل الذى جاءت به النازية •

وفى مسرحية – باللغة اليدية – عن الحرب العالمية الثانية ، تظهر شخصية ضابط يهودى شاب من بيروبيجان ، قام بعمل بطولى فى الحرب ، ويقول عنه ضابط روسي فى ساحة المعركة :

« استغرقت فى التفكير ، وأنا أنظر الى هذا الملازم الشاب القادم من بيروبيجان :

« الحفر المليئة باليهود القتلى •• ذلك ما أنجزه هتلر • ولكن

قائد الفصيل هذا ، والمكان الذى جاء منه ، هو انجازنا ... الانجاز السوفيتي ! .. »[1]

ولكن هذه الصفة اليهودية التى استمر التأكيد عليها فى الخارج، وفى صحافة موسكو البيدية أحيانا ، اختفت من المنشورات التى تصدر فى المقاطعة نفسها ، سواء أكانت باللغة الروسية أم البيدية . فالروس والاوكرانيون والكوريون ... واليهود ، أصبحوا يعدون جميعا من القوميات التى تتألف منها « المقاطعة اليهودية » ، وصار يشار اليهم جميعا كمواطنين فخورين بأنهم « بيروبيجانيون » .

وكلما ضعفت خصائص بيروبيجان كمقاطعة يهودية ، فانها توسعت ونمت كجزء منتج فعال من الشرق الاقصى السوفيتي . حتى أن دائرة المعارف السوفيتية الكبرى فى طبعتها الصادرة فى سنة ١٩٥٠ وصفت مدينة بيروبيجان بأنها « احدى المدن الصناعية الجديدة فى منطقة خاباروفسك »،[2] وليس كعاصمة للمقاطعة اليهودية ذات الحكم الذاتى .

ان التكوين الاثنوغرافى لمنطقة بيروبيجان ، والذى لم يؤلف اليهود أكثرية فيه ، أدى تدريجيا الى الكف عن وصف بيروبيجان كمركز قومى للحياة اليهودية فى الاتحاد السوفيتي . وبينما بقى عدد المهاجرين اليهود فى هبوط ، فان المنطقة واصلت نموها معتمدة على القوميات الاخرى التى صارت تستقبل بنفس التشجيع والمساعدات

(١) Buzi Miler, "Er iz fun Birobidzhan", *Birobidzhan,* No. 3, 1947, pp. 37-38.

(٢) *Bolshaya Sovetskaya Entsiklopediya,* Moscow, 1950, Vol. V, p. 250

التى كان يستقبل بها المهاجرون اليهود فى السابق . وأصبح نجاح توطين بيروبيجان ، ونمو المقاطعة يقاس – مثلا – بعدد المدارس والاطباء فيها ، وليس بعدد المدارس البيدية والاطباء اليهود .

مصير التوطين الزراعي

ان التوطين الزراعى الذى كان فى بداية مشروع بيروبيجان يحتل مكانة رئيسية فى عملية تحويل اليهود الى « طبقة منتجة » لم يحقق النتائج التى توقعها بناة المشروع .

كان فى بيروبيجان فى وقت اعلانها مقاطعة ذات حكم ذاتي فى سنة ١٩٣٤ حوالى ٨٫٠٠٠ يهودى ، وكان حوالى ١٫٥٠٠ منهم فقط (أى أقل من الخمس) يعملون فى المزارع التعاونية . وقد سار التوطين الجماعى لليهود فى المقاطعة ببطء شديد فى الثلاثينات .

وصرح « خافكين » فى سنة ١٩٣٦ أن ٢٫٥٠٠ يهودى (أو ١٧٪) من مجموع سكان المقاطعة يعيشون فى المزارع التعاونية . وبعد ذلك بسنة لم تطرأ أية زيادة على عدد اليهود الذين يسكنون الارياف . وفى ذلك الوقت كانت هناك ١٥ مزرعة تعاونية تعيش عليها ٥٠٠ عائلة .

وفى سنة ١٩٣٨ رسمت جريدة (Emes) صورة قاتمة للظروف التى يجب ان يرضى بها المستوطنون :

« ان بعض المزارع التعاونية أنشئت فى مناطق تعاني من قلة الاراضى الصالحة للزراعة ، وبعضها تقوم فى مناطق منعزلة ، حيث لا توجد طرق تؤدى اليها . وكانت المواشى تستورد فى موسم الشتاء ، ولا تهيأ لها الزرائب للعلف ، ومعظم المستوطنين أناس لم يسبق لهم

القيام بأى عمل زراعى ، وليس هنالك مدربون لارشادهم » .[1]

ولكن الروايات التى نشرت بعد ذلك أفاضت فى وصف ازدهار المزارع والحقول ، وكالت المديح لروادها الذين كانوا فى السابق من سكان المدن ، ولانجازاتهم فى تنقية التربة ، وبناء المساكن ، والطرق ، واستغلال الاراضى البكر . وقد ذكرت تلك الروايات أن التربة تسمد بطرق أفضل ، وتعطى محاصيل أكبر ، وأن عدد الخيل والمواشى فى تزايد .[2]

وهنالك معلومات مفصلة ــ الى حد ما ــ عن النتائج التى تم تحقيقها في سنة ١٩٣٩ ، نشرت في كراسة أصدرتها ، باللغة اليدية ، دار نشر (Emes) فى موسكو فى أواخر تلك السنة كدليل للمستوطنين الجدد . واستنادا الى ما جاء فى هذه الكراسة كانت هنالك ١٨ مزرعة تعاونية يهودية فى تلك السنة (من مجموع ٤٤ مزرعة تعاونية) فى المقاطعة . ولكن اثنتين منها فقط انشئتا بعد سنة ١٩٣٧ (أى خلال السنتين الاخيرتين) وهاتان المزرعتان كانتا ضمن منهاج توطين الخطة الخماسية الثانية ، وكان فيهما ٩١ عائلة فقط ، أو ٣٧٩ شخصا .[3]

وفى السنتين التاليتين لم يسجل أى تقدم ملحوظ ، وبقى عدد المزارع التعاونية ١٩٤١ على ما كان عليه فى السنة السابقة ، أى ١٨ مزرعة .

---

(١) *Emes*, March 26, 138.

(٢) Yarmolinsky, *op. cit.*, vol. V, p. 250.

(٣) A. Gilman, *Vos Darf Visn an Ibervanderer vegn der Idisher Avtonomer Gegent*, Moscow, 1939, pp. 24 & 26f.

ومن بين الاقاليم الخمسة التى تتألف منها المقاطعة نجحت المزارع التعاونية فى اثنتين فقط ، وهما قليم « بيروبيجان » واقليم « ستالين » ــ المحاذيين لنهر آمور ــ حيث كان باستطاعة مزارعيهما شحن المنتجات الزراعية بالسفن النهرية الى خاباروفسك وفلاديفوستوك وغيرهما من المدن الكبيرة .

أما الاقاليم الثلاثة الاحرى ، وهي « لينينسكوى » و « بيرا » و « سميدوفيج » ، فكان فى كل منها ثلاث مزارع تعاونية يهودية فى سنة ١٩٣٩ ، وفى الاولى لم تكن هذه المزارع قد تجاوزت مرحلة التنظيم والاعداد ، وفى الاثنتين الاخريين لم ينتج المزارعون أية حبوب تقريبا، مركزين عنايتهم ، بالدرجة الاولى ، على انتاج المخضرات والالبان .

وكانت جميع المزارع التعاونية تتمتع باعفاء جزئي من الضرائب، كما أن بعضها كان يحتوى على سكان مختلطين (من يهود وغير يهود)، وكان يؤكد فى جميع ما ينشر عنها على روح الصداقة التى كانت تسود علاقات اليهود بغيرهم من سكان المقاطعة .

ولقد ظهر أن التحول الى الزراعة لم يكن حلا للمشكلة الاجتماعية ــ الاقتصادية لليهود من سكان المدن والقرى اليهودية الصغيرة (Shtetl) فى اوكراينا وبيلوروسيا ، وحتى اليهود الموجودين فى بيروبيجان .

ولكن اذا لم تكن الاعمال الزراعية قد استوعبت اكثر من ١٥ بالمائة من يهود المقاطعة ، فما وضع الـ ٨٥ الباقين ؟

ان صناعات بيروبيجان كانت فى سنة ١٩٤١ ما تزال فى بدايتها ، ولم يؤلف اليهود أية نسبة مهمة بين العاملين فى تلك الصناعات ، ولذلك اضطرت أغلبيتهم بدافع الحاجة الى ستئناف أشغالهم « البرجوازيـة الصغيرة » او « شبه ـ البيروقراطية » فى اعمال ال « خدمات » او الحرف الصغيرة • وبدلا من « أمة يهودية » مستوطنة اجتماعيا ، ومتكاملة اقتصاديا ، شهدت المقاطعة اليهودية بعثا لنفس الكيان الاجتماعى غير السليم الذى كان قائما فى المدن والقرى اليهودية فى اوكراينـا وبيلوروسيا • وكان الفرق الوحيد هو ارتفاع نسبة اليهود فى الوظائف الحكومية ، وخاصة فى مدينة بيروبيجان ، حيث كانت نسبتهم الى مجموع السكان ، أعلى منها فى الاقاليم الاخرى وفى الارياف •

ان التوطن الزراعي ، فى حقيقة الامر ، أصبح يحتل مكانةثانوية فى الاهمية ، منذ المراحل الاولى لمشروع توطين الشرق الاقصى• ومهما كانت الانجازات فىبيروبيجان ، فانها لم تحقق الامال العريضة التى علقت على فكرة « احياء الزراعة » • ان اعادة توطين اليهود علـى الاراضى الزراعية ، كحل للمشكلة اليهودية ، كان قد تم التخلى عنها عمليا بتدشين سياسة ستالين فى التصنيع الكثيف • وقد حل محلهـا نوع آخر من التحويل الى الاعمال الانتاجية ، وهو استيعاب اليهود « غير المنتجين » فى الجيش المتضخم من اصحاب الرواتب والاجور فى المدن•

التجربة في رأى ثلاثة يهود من بيروبيجان

ذكر الكاتب الصهيوني « جوزيف شختمان »[١] فى الكتاب الذى ألفه عن رحلته الى الاتحاد السوفيتى فى سنة ١٩٥٩ أن أهم ما أثـار انتباهه بين يهود روسيا كان عدم اكتراثهم ، وقلة معلوماتهم عن موضوع « بيروبيجان » بأجمعه • ويفهم مما جاء فى الكتاب أن يهود روسـيا كانوا يرون فى مشروع بيروبيجان ضربا من النفى أو الابعاد ، وأن أكثر ما يثير اهتمامهم وقلقهم هو التأكد من أن الحكومة السوفيتية أقلعت عن فكرة تهجير اليهود الى بيروبيجان أو « تشجيعهم » عليها •

وبالرغم من أن هذا المؤلف لم يزر بيروبيجان خلال رحلته ، فانه يروى محادثة أجراها فى موسكو مع ثلاثة يهود قادمين من بيروبيجان تتضمن شيئا من المعلومات عن الحياة فيها ، وعن شعور سكانها ، ونظرة

---

(١) « جوزيف شختمان » كاتب يهودى من أوديسا ، ولد سنة ١٨٩١ ، وانضم الى الحركة الصهيونية في تلك المدينة منـذ شبابه ، واشترك في المؤتمرات اليهودية والصهيونية التي عقدت في روسيا ، كما تعاون مع « جابوتينسكي » في الحركة التي عرفت بالصهيونيـة التحريفية • غادر أوكراينا في سنة ١٩٢١ مندوبا عن منظماتهـا الصهيونية الى بعض الاقطار الاوربية ، فلم يعد الى الاتحاد السوفيتي • وفي سنة ١٩٤١ هاجر الى الولايات المتحدة ، وحصل على الجنسية الامريكية ، وألف عدة كتب عن اليهود في روسيا واوكراينا والحركة الصهيونية بينهم • وفي سنة ١٩٥٩ قام برحلة الى الاتحاد السوفيتي بعـد غياب ٣٨ عاما ، لزيارة الجاليات اليهودية فيـه والاطلاع على أحوالهم ، وألف عن زيارته هذه كتابا بعنوان « النجم الآفل ـ زيارة ثانية ليهود روسيا » •

Joseph B. Schechtman, *Star in Eclipse: Russian Jewry Revisited*, New York, 1961.

يهود الاتحاد السوفيتي اليها وتقييمهم لها •

يروى المؤلف أنه بينما كان يتناول فطوره فى فندق « ناسيونال» فى موسكو ، فى ساعة مبكرة ، صبيحة يوم مغادرته ، كان المطعم خاليا ، الا مائدة مجاورة لمائدته عليها ثلاثة أشخاص • ولما لاحظوا الحقيبة اليدوية التى كانت الى جانبه ـ وهى من حقائب الخطوط الجوية الاسرائيلية ـ بادروه بالحديث قائلين انهم هم أيضا قادمون من دولة يهودية : من بيروبيجان • فأخذ يوجه اليهم اسئلة عنها ، وكانت زبدة هذا الحديث ما يأتي :

«كان اكبرهم سنا رجلا فى حوالى الستين من عمره ، وهو ، كما وصف نفسه ، من القدماء ، وشيوعى مخلص ، متحمس للغة اليدية ، ومعارض للصهيونية • وقد اهتز طربا حين علم فى سنة ١٩٢٨ أن بقعة مساحتها حوالى مليون « ايكر »[1] قريبة من حدود منشوريا ، خصصت للتوطن اليهودى ، وزاد طربه حين وقع كالينين ، رئيس الاتحاد السوفيتي ، فى ٧ مايس سنة ١٩٣٤ مرسوما يعلن انشاء مقاطعة يهودية ذات حكم ذاتي ، تابعة لجمهورية روسيا الفدرالية •

« قال ـ كما علق حديثه ببالي ـ : لا أزال اتذكر هياجي المذهل تقريبا : وطن يهودى خاص بنا ، وليس فى مكان ما فى فلسطين التى تسيطر عليها بريطانية ،بل ههنا ، فى وطنى الاشتراكي ، مع مدارس، وصحافة ، وادارة لغتها جميعا اليدية • وقد أعلن أنه فى السنتين الاولين سيجرى توطين حوالى ٥٠ ألف يهودى فى بيروبيجان ، فكنت

---

(١) الايكر (Acre) مقياس انكليزى للمساحة يساوى ٤ر٠٤٦ر٥٥٦ متر مربع •

من اوائل الذين سجلوا اسماءهم • لقد أردت ان اثبت ان « الحالوتزيم» ـ الرواد ـ كانوا متوفرين ليس « لارض اسرائيل» الصهيونية وحدها • وقد علمت فيما بعد أنه لم ينتقل الى بيروبيجان أكثر من أحد عشر الف ، من الخمسين الف المقترحة • ولكن هذا لم يثبط من حماستي: ان اوائل الرواد يكونون قليلى العدد دائما • وقد كان رائعا أن أقرأ التصريح الذى نشرته اللجنة التنفيذية المركزية للاتحاد السوفيتي فى ٢٩ آب ١٩٣٦ بأن اليهود لهم الان وحدتهم القومية التى « ستصبح مركز الحياة القومية لجميع الطبقة العاملة اليهودية فى الاتحاد السوفيتى » • وقد قيل لي ان « وثائق التمليك » التى يتسلم المستوطنون اليهود اراضيهم بموجبها كانت مكتوبة باللغة اليدية •

« وهكذا ذهبت ، فى حماسة شديدة ، وأنا مصمم تصميما لا يتزعزع على الصمود مهما كلفني الامر • وصمدت فعلا لاكثر من ربع قرن • لقد كانت شاقة ، ولكنها لم تكن مما لا يطاق بالنسبة لي • فقد نشأت فى اسرة عاملة ، ولم أكن ممن أفسدتهم النعمة ، ولم يكن الترف مطلبي • وبعد سنوات من التكيف ، وجدت مكانى كميكانيكي مدرب •

« أما من الناحية الاقتصادية ، فانني لا استطيع أن أتذمر • ولكن حين انتهت السنوات الاولى التى يملأ فيها حياة الانسان ويشغله عن كل شيء كفاحه من اجل البقاء ، وأصبح لدى الوقت لاتطلع الى ما حولى ، ازدادت حيرتي وكآبتي لما صرت أرى • انني لم اقصد بيروبيجان فى طلب الامن الاقتصادى ، فذلك كنت أستطيع

الحصول عليه في موسكو ولينينغراد بصورة اسهل واسرع . لقد ذهبت لاقوم بدوري في بناء وطن يهودي سكانه يهود وطريقة الحياة فيه يهودية . وقد تبدد هذا المثل الاعلى كحلم زائف ، مخلفا وراءه مرارة في قلبي . لقد كانت مرارتي ، بالدرجة الاولى ، نحو اخواني اليهود . فانهم لم يستجيبوا لنداء الوطن القومي . وبدلا من ان يأتوا بمئات الالوف ، كما كان المنتظر ، لم يأت منهم الا بضع عشرات من الالوف ، ومعظم هؤلاء غادروا فيما بعد . وحتى في سني الحرب ١٩٤١-١٩٤٢ حينما كان مئات الالوف من اليهود الذين تم اجلاؤهم عن اوكراينا ، وبيلوروسيا ، وليتوانيا ، يبحثون عن مكان يلجأون اليه ، فان معظمهم ذهبوا الى أوزبكستان ، وكازخستان وتاجيكستان ، في آسيا الوسطى ، ولم يأت منهم الى بيروبيجان سوى القليل .

« وهكذا فاننا ، نحن اليهود ، أقلية بين سكان عددهم ١٦٣٫٠٠٠ حسب احصاء كانون الثاني (يناير) الماضي . ان ارقام الاحصاء سكتت ، بطريقة دبلوماسية، عن العدد المضبوط لليهود في بيروبيجان . انها تذكر الخمسة آلاف يهودي في استونيا ، ولكنها لا تعطي آية معلومات عن السكان اليهود في المقاطعة « اليهودية ذات الحكم الذاتي » . وسأقول لك لماذا . ذلك لاننا من أصغر المجموعات القومية في المقاطعة ، أقل من الروس ، والاوكراينيين وربما اقل من التتار أيضا . انني لم أكن محتاجا للذهاب الى بيروبيجان لانتمي الى أقلية . فقد كنت استطيع تحقيق ذلك بكلفة اقل ، وبسهولة أكبر ، في أي جزء من الاتحاد السوفيتي . وطالما كنا ، نحن اليهود ، أقلية في بيروبيجان ، مثلما نحن في كل مكان ، فقد تبددت كل أحلامي عن

ثقافة يدية مزدهرة . ولكن عن هذا الجانب من ورطتنا سيقص عليك ابنا أختي هذان قصتهما . انهما بيروبيجانيان من جيل أحدث ، وبواعثهما مختلفة .

« فقال احدهما ، وهو رجل يناهز الاربعين من العمر : هذا صحيح . لقد جئنا ، أنا وأخي مئير ، الى بيروبيجان في سنة ١٩٤٥ ، بعد أن انتهت الحرب . اننا اوكراينيان ، وقد أجلونا عن اوكراينا حينما احتل الالمان بلدتنا . وبعد انسحاب الالمان حاولنا ان نعود فنستقر في بيئتنا المألوفة لدينا . ولكن اليهود العائدين الى تلك المناطق كانوا غير مرغوب فيهم بصورة سافرة . وعندئذ تذكرنا ان خالنا « بنيا » يقيم في بيروبيجان ، وأن الحكومة كانت تمنح كل مستوطن سلفة مقدارها ثلاثمائة روبل لسفرته ، وعشرة آلاف روبل لتنظيم مزرعته ، وهكذا ذهبنا . ولم يكن لدينا باعث مثالي ، ولم نكن في مغامرتنا روحية الرواد . ان كل ما كنا نريده هو مكان نعيش فيه بسلام ، وأن نعيش ونعمل بين يهود . وربما كان لدينا شيء من الحنين لمحيط ثقافي يهودي ، ولكن هذا لم يكن العامل الحاسم ، كما كان في حالة خالنا . ومع ذلك ، فقد كان يلذ لنا أن نفكر أن هناك ستكون اليدية لغة المدرسة ، والادارة ، والمسرح ، والشارع .

« وهنا قاطعه أخوه : لا تأخذ تقليله من شأن هذا الحنين مأخذ الجد . أن بوريس يحاول دائما ان يتظاهر بالسخرية والازدراء وعدم الاكتراث بكل ما هو يهودي . فالواقع اننا كلينا متعلقان تعلقا شديدا - وان كان هادئا - بالقيم اليهودية . وان جزءا مما حفزنا على

الالتحاق بخالنا على الاقل كان أملنا بأن نحيا حياة يهودية • وسيخبرك أخي كيف مضينا •

« فقال الآخر : ليس هنالك الكثير مما يستحق ان يقال • وكل ما فى الامر أننا لم نجد اثرا من « اليهودية » فى المقاطعة اليهودية ذات الحكم الذاتى • وحينما وصلنا هزنا ـ بطبيعة الحال ـ أن نرى فى محطة القطار لافتة باللغتين الروسية واليدية : بيروبيجان • وفى المدينة اغتبطنا لقراءة اسم الشارع الرئيسى « شارع لينين » بكلتا اللغتين • وقد لاحظنا أيضا أن كل الاسماء المعلقة على مبانى الحكومة والحزب ، وعلى الفندق ، ودار السينما ، كانت باللغتين أيضا • ولكن اليدية انتهت هنا • وسرعان ما اكتشفنا أن الشوارع القديمة وحدها تحمل أسماء يدية ـ الى جانب الروسية ـ وأنه لم تكن ثم مدرسة واحدة تدرس باليدية (كانت فيها ـ سابقا ـ مدرستان : ابتدائية وثانوية ، ولكنهما أغلقتا) ، والمسرح اليدى ألغي لانه لم يحقق أية أرباح ، ولم تعرض هناك أية افلام سينمائية باللغة اليدية • وقد قيل لنا أن مناهج يدية تذاع بالراديو أحيانا ، ولكن لم يعلن عن مواعيدها ، فلم أستمع الى أحدها قط • وقد سألت « ليف يفريموفيج فينكيفيج » ، الرئيس اليهودى للادارة المحلية ، لماذا كانت اليدية لغة لافتات فقط فى هذه المقاطعة التى يفترض انها يهودية ؟ فأجاب : باستثناء بعض القدماء ، فان كل يهودنا يتكلمون بالروسية ويقرأونها ، والواقع انهم يفضلون الروسية • ولا أدرى هل كل هذا الموظف السوفيتي مصيبا مائة بالمائة • ولكن لا بد لي من الاعتراف

بأنني قلما سمعت محادثة باليدية في الشارع ، واننى أعلم من خبرتى ان المرء لا يستطيع تمشية أموره فى مخزن يديره يهودى ، أو لدى حلاق يهودى ، أو مصلح ساعات ، أو خياط ـ اذا لم يتكلم الروسية •

« إن المعالم الوحيدة لليهودية هى الجريدة الشيوعية « بيروبيجان شترن » التى تصدر ثلاث مرات فى الاسبوع ، بصفحتين • ان توزيعها يخمن رسميا بخمسة الاف نسخة ، على أن مصادر اخرى تقول انه الف نسخة • ولا أدرى فيما اذا كان حتى هذا العدد غير مبالغ فيه • اننى شخصيا توقفت منذ مدة طويلة عن قراءة هذه الصحيفة التى هى صورة هزيلة للجريدة اليومية الروسية التى تصدر بأربع صفحات « بيروبيجانسكايا زفزدا » • وليست هنالك حياة دينية تستحق الذكر • والكنيس عبارة عن بيت خشبى صغير ، وليس هنالك حاخام • والصلوات يحضرها فى أيام الجمعة مساء والسبت صباحا زهاء ثلاثين شخصا من المسنين ، معظمهم نساء ، ويدير الصلاة مرتل • وفى عيد الفصح وعيد العرازيل يحضر حوالى اربعمائة • واذا كان هذا كل مايمثل منطقة يهودية ذات حكم ذاتي ، فلتذهب المقاطعة الى جهنم • اننا لن نستمر فى قبول هذه المهزلة • لقد تركناها كما فعل كثيرون قبلنا ، واننا مستعدون لقبول حياة غير يهودية فى محيط غير يهودى • هذه هى الحالة بصراحة وصدق • ان بيروبيجان ليست الا تزويرا ونفاقا •

« فسألت الخال بنيا : هل تعتقد ان اليهود وحدهم مسؤولون عن فشل بيروبيجان فى أن تكون وطنا قوميا ، أم أن الحكومة مذنبة

أيضا باهمالها فى جعل المنطقة جذابة للمستوطنين اليهود من الناحية الروحية ؟ أم هل أن السبب ـ مهما كان ذلك غير مستساغ لديك ـ أن أرض اسرائيل وحدها قادرة على تحريك الرواد ؟

« وكان من الواضح أن سؤالى أحرج الخل بنيا ، قال :

« انني لا ازال ، كما كنت فى السابق ، شيوعيا مخلصا ، ولا يليق بي أن أنتقد سياسة الحزب أو اعماله • وبطبيعة الحال ، هناك أخطاء معينة ارتكبت • واننى أشد ما أكون استياء لنتائجها • ولكن ما جدوى البكاء على أمر انتهى ؟ وحقيقة الامر أن حكومتنا لم تعد فى الواقع مهتمة بالمشروع كليا • ألق نظرة على طبعة سنة ١٩٥٢ من دائرة المعارف السوفيتية تجد ثلاثة أسطر بالضبط عن بيروبيجان: (فى هذه المنطقة يعيش اليهود والروس والاوكراينيون ، وتصدر فيهاصحيفتان دوريتان: احداهما باللغة اليدية ، والاخرى بالروسية• مكتبة شالوم آليخيم تحتوى على ٨٫٠٠٠ مجلد) وهذا كل ما هنالك• ألا يبدو هذا كمرثية موجزة لفكرة عظيمة ؟

« فذكرته قائلا : ولكنك لم تجبنى عن سؤالى حول (أرض اسرائيل) ••

« وفى تلك اللحظة حضر بواب الفندق ، ليخبرنى بحلول الوقت لمغادرتي الى المطار • وبدا (بنيا) وكأنه شعر بارتياح كبير ، وودعني الرجال الثلاثة متمنين لي سفرة سعيدة » •[1]

---

(١) *Ibid.*, pp. 68-74

ان ما ورد فى هذا الحديث الطويل يتفق ، بصورة عامة ، مع المعلومات المستقاة من المصادر الاخرى • وبالرغم من ذلك ، فاننا ننقله بتحفظ ، لعدم امكان التأكد من مدى صدق المؤلف فى روايته ، ونسبة الحقيقة والخيال فيما قاله له اولئك اليهود الثلاثة الذين ادعى انه قابلهم قبيل مغادرته موسكو ، أو فيما رواه على لسانهم • ولم تكن هنالك قيمة تذكر لمثل هذه المعلومات غير المباشرة التى يرويها كاتب صهيوني ، معاد للنظام السوفيتي ، فى كتاب وصفته حتى المصادر اليهودية بأنه « مغرض »[1] ـ لولا ضآلة المعلومات المتوافرة عن المقاطعة ، وندرة من زارها من المحايدين •

رأى خروشوف

نشرت جريدة « فيغارو » الفرنسية فى ٩ نيسان ١٩٥٩ مقابلة لمراسلها الخاص « سيرج غروسارد » مع خروشوف ، حول وضع اليهود فى الاتحاد السوفيتي ، وكان من جملة الاسئلة التى وجهها المراسل الى خروشوف سؤال عن بيروبيجان وأسباب فشلها •

قال المراسل انه قابل كثيرا من المسافرين ، ومن روس وأجانب، ممن مروا ببيروجان فى طريقهم الى فلاديفوستوك • وقد توقف قسم منهم فيها فعلا ، فلم يشاهد أحد منهم حاخاما ، ولا مدارس يهودية ،

---

(١) أنظر : Elie Wiesel, *The Jews of Silence: A Personal Report on Soviet Jewry*, London, 1966, p. 160.

ولا ما يدل على وجود جرائد باللغة اليدية ، ولا لافتات على المخازن بتلك اللغة أو بالعبرية • انهم مستغربون أكثر من ذلك لان الاحصاءات الرسمية للحكومة السوفيتية تدل على أن أكثر من ثلث سكان بيروبيجان البالغ عددهم **١٠٠** ألف أو حواليها هم من اليهود • ومن جهة أخرى فإن جميع اولئك المسافرين قابلوا يهودا كانوا يتكلمون اللغة اليدية •

فأدلى خروشوف باجابة مهمة ، حلل فيها ، بصورة مفصلة ، أسباب فشل مشروع بيروبيجان كما يراها :

« ان سياسة الحكومة السوفيتية نحو القوميات (فى الاتحاد السوفيتي) سياسة منصفة كما هى سخية • فالاتحاد السوفيتي كان أول دولة فى العالم قررت أن تساعد اليهود ، ليس كأفراد بل كشعب • اننا اخترنا بيروبيجان لهذه الغاية ، وهى منطقة غير كثيفة السكان فى سيبيريا ، شمال منشوريا ، ووضعناها تحت تصرف اليهود ، وأعطيناها مركزا خاصا • وكانت هذه منحة مهمة • ان تربة بيروبيجان فى الواقع من أخصب ما يمكن تصوره ، وجوها من أجواء البلاد الجنوبية ، وحرارة ارضها متعة خالصة • وفيها الماء ، والشمس ، ومعادن غير مستخرجة ، وأنها مليئة بالاسماك •

« فماذا حدث ؟ جماهير من اليهود غادرت الى بيروبيجان يسودها الحماس ويغمرها الابتهاج • تدفقوا اليها من جميع أنحاء الاتحاد السوفيتي وحتى (ان جاز لي أن أقول) من جميع بلدان أوربا التى تمكنوا من الهرب من الاضطهاد فيها • وماذا حدث بعد ذلك ؟ لم يبق فيها غير القليل منهم • ان حركة الذهاب اليها ، ومغادرتها ، استمرت ،

ولكن يجب أن نعترف بأن المغادرين كانوا أكثر •

« كم من اليهود تبقوا فى تلك المنطقة الجميلة ؟ فى غياب أية وثائق على هذه المنضدة لا أستطيع أن أجيبك بالضبط • ولكن لا بد أن نسبة كبيرة منهم ما تزال هناك • والواقع انني شخصيا مررت ببيروبيجان فى سنة **١٩٥٥** ، وعلى النقيض من مصادر معلوماتك ، لاحظت كتابات عديدة باللغة اليدية فى المحطات وفى الشوارع •

« ومع قولنا هذا فاننا بنتيجة الحساب نجد أن التوطين فى بيروبيجان كان فاشلا • انهم يذهبون اليها متحمسين ، ثم يغادرونها واحدا بعد آخر •

« كيف يمكن تفسير هذه الظاهرة ؟ فى رأيي أنها تعود الى الظروف التاريخية • فاليهود منذ أقدم الازمنة فضلوا الحرف : فهم خياطون ، وقاطعو زجاج ومجوهرات ، انهم تجار ، وصيادلة ، ونجارون • ولكن خذ حرفة البناء ، او الصناعات المعدنية – أى المهن والاعمال الجماعية – فانك لن تجد فيها – حسب علمي – يهوديا واحدا • انهم لا يحبون العمل الجماعي ، ولا الانضباط الجماعي (Discipline) • انهم فى جميع الاوقات فضلوا أن يكونوا مشتتين • فى الواقع انهم فرديون •

« لندع الآن دولة اسرائيل جانبا • فمنذ قرون لا تحصى لم يستطع اليهود أن يعيشوا مجتمعين ، وأن يستمدوا وجودهم وتوازنهم من أنفسهم •

« صفة ثانية : اليهود ، أساسا ، طبقة مثقفة • انهم لايستطيعون أن يتلقوا أوامر كثيرة • ويذهبون الى الجامعات ، ما استطاعوا الى ذلك سبيلا ، مهما كلفهم ذلك من تضحيات •

« سألتني لماذا لا توجد مدارس يهودية فى بيروبيجان ؟ لان من المستحيل اجبار اليهود على الذهاب الى المدارس اليهودية • وأخيرا فان مصالحهم متعارضة ، وفى كثير من الاحيان متناقضة ، بحيث لا يستطيع اليهود ارضاءها فى منطقة لا يرون فيها غير بعضهم • ان جماعة ثقافية كهذه ليست أكثر « عملية » من جماعة سياسية • ان اليهود يهتمون بكل شىء ، ويتعمقون فى كل شىء ، ويناقشون كل شىء ، وينتهون بانحرافات وتناقضات ثقافية عميقة ، والى آراء مخالفة تماما لآراء غيرهم •

« وفى الاتحاد السوفيتى قوميات عدد أفرادها أقل من اليهود ، أو كان شأنها أقل فى البداية • ولكن هذه القوميات غير اليهودية كانت مصممة على تنظيم كيانها المشترك ، ولذلك فانها كانت قادرة على خلق مؤسسات قوية دائمة لنفسها • وأستطيع أن أضرب عدة أمثلة • والمرء لا يستطيع أن يحارب ارادة الخلق ولا الارادة السلبية • ولذلك فان الشكوك تخامرنا فى امكانية دوام التعاونيات اليهودية » •[1]

وكان لهذه التصريحات رد فعل قوى فى الاوساط الغربية ، وفى صحافة الغرب التى يتغلغل فيها النفوذ اليهودى والصهيونى ، وأخذت

(١) *Le Figaro*, Paris, April 9, 1958.

بعض الصحف الغربية تتخذ من هذه التصريحات وسيلة لاتهام خروشوف بعداء السامية ، فقامت اذاعة موسكو بنفي صحة هذه التصريحات ووصفتها بأنها **استفزازات شريرة** •

وليس هنالك شك فى أن المقابلة مع خروشوف قد جرت فعلا ، وقد نشرت « الفيغارو » صورة مراسلها مع خروشوف خلال المقابلة • ومن المحتمل أن يكون هنالك شيء من التحريف فى أقوال خروشوف ، ولكن من المحتمل أيضا أن خروشوف لم يتوقع لها رد الفعل الذى احدثته ، أو أنه لم يكن متهيأ للاجابة عن سؤال حول « بيروبيجان » ولم يتوقعه ، وحين فوجىء به تورط فى أجوبة لم تكن منسجمة تماما مع سياسة الحزب والحكومة فى الموضوع ، ولذلك أوعز بتكذيبها •

أسباب عدم نجاح المشروع ـ مناقشة وتقييم

استهدفت الحكومة السوفيتية من مشروع بيروبيجان ثلاثة أهداف رئيسية : حل المشكلة اليهودية فى الاتحاد السوفيتى ، وكسب عطف يهود العالم ، وتوطين الشرق الاقصى السوفيتى لاعتبارات ستراتيجية واقتصادية •

والواقع أن تجربة بيروبيجان فشلت فى تحقيق اثنين من تلك الاهداف • فهي لم تكن وسيلة ناجعة لحل المشكلة اليهودية فى الاتحاد السوفيتي ، كما انها لم تنجح فى اجتذاب أنظار يهود العالم

الى الاتحاد السوفيتي الا لفترة قصيرة • ولكنها نجحت في تحقيق الهدف الثالث الى حد لا بأس به على الاقل • وبالرغم من أن عدد المستوطنين في بيروبيجان كان صغيرا بالنسبة الى مجموع سكان الاتحاد السوفيتي ، فانهم كانوا مساهمة جيدة في توطين الشرق الاقصى السوفيتي ، وحل مشكلة الايدى العاملة •

لقد نجح المشروع في بناء مقاطعة يهودية ذات حكم ذاتي ، وتوطين منطقة غنية قليلة السكان ، وانشاء مزارع تعاونية ، وصناعات تمون الشرق الاقصى السوفيتي بمنتجاتها ، ولكنه لم ينجح في بناء « وطن قومي يهودي » ، أو مقاطعة يؤلف اليهود الاغلبية الساحقة من سكانها •

فما أسباب ذلك ؟

ان الاسباب التي توردها المصادر المختلفة في تعليل ذلك ينطلق كل منها من زاوية معينة ، ويحاول بطبيعة الحال تبرير مواقف الجانب الذي يؤيده أو ينطق بلسانه • فالمصادر السوفيتية تلقي اللوم على اليهود أنفسهم ، ويذهب غيرها الى أن الحكومة السوفيتية هي المسؤولة عن ذلك الفشل ، والمصادر الصهيونية ـ والمؤيدة للصهيونية ـ تدعى أن « بيروبيجان » لم يكن لها أساس تاريخي ولا روحي يجتذب اليهود ، ولذلك فان المشروع كان مقضيا عليه بالفشل منذ البداية • وهنالك أيضا من يعزو الفشل الى بعد بيروبيجان عن مراكز الحضارة الرئيسية والمدن الكبرى في البلاد ، وعن أماكن تكاثف اليهود ومواطنهم الاصلية في أوكراينا وبيلوروسيا ، والى تردد اليهود

السوفييت في الانتقال من أوربا الى حدود الصين •

وهنالك مصادر تعزو اخفاق المشروع في تحقيق أهدافه الى موقف الحزب والدولة في الاتحاد السوفيتي[1] • ولا تدعي هذه المصادر أن القرار الذى اتخذ بجعل بيروبيجان منطقة حكم ذاتي يهودى كان كاذبا ، بل تذهب الى أن الحزب والدولة لم يبذلا الجهود اللازمة لتحقيق نجاحه ازاء الصعوبات والمشاكل التى واجهته ، وتورد دليلا على هذا الرأى ان ستالين أجرى تنقلات سكانية واسعة[2] ، وكان باستطاعته حشد اليهود في بيروبيجان لو أراد ذلك حقا • ولكن يبدو أنه لم يكن متحمسا للمشروع ، وان لم يكن معارضا له ، ويقول غولدبرغ في كتاب « المشكلة اليهودية في الاتحاد السوفيتي » : «ان

---

(١) نظر مثلا : ناجي علوش ، **الماركسية والمسألة اليهودية** • ص ٤٩ •

(٢) نقل ستالين حوالى ٤٠٠ر٠٠٠ من الالمان الذين استقروا في روسيا منذ منتصف القرن الثامن عشر الى سيبيريا وآسيا الوسطى في آب سنة ١٩٤١ كعملية وقائية ضد أي تعاون محتمل من جانبهم مع المانيا خلال الحرب العالمية الثانية ، وألغي جمهوريتهم ذات الحكم الذاتي في منطقة الفولغا • وفي سنة ١٩٤٤ نقل حوالى ٢٠٠ر٠٠٠ من التتار (الججان) من سكان القرم الى مناطق الاورال وأوزبكستان • وقبل ذلك بسنة واحدة كان قد نقل الى آسيا الوسطى وسيبيريا خمس أقليات قومية مسلمة في القفقاس ، يبلغ مجموعها حوالى ٦٠٠ر٠٠٠ ، وكذلك حوالى ٢٠٠ر٠٠٠ من « الكالموك » ـ وهم البوذيون الوحيدون في أوربا ـ وكانوا يسكنون في منطقة الفولغا • وقد سمح لهؤلاء بالعودة الى مناطقهم في سنة ١٩٥٧ • وقيل على أثر مؤامرة الاطباء المشهورة التي حدثت قبيل وفاة ستالين أنه كان ينوى ابعاد جميع اليهود الى سيبيريا •

ستالين ساير الاعضاء الآخرين فى اللجنة المركزية لاعتبارات عملية ، مع أن قلبه لم يكن مع المشروع ، ولم يكن مؤمنا به » .[١]

وقد رد الكاتب السوفيتي اليهودي « رابينوفيج» على هذا الرأى حين أجاب عن سؤال لوكالة أنباء « نوفوستي » السوفيتية عن سبب قلة اليهود فى بيروبيجان ، قائلا :

« وفي نهاية الثلاثينات ، وخلال سني الحرب بصورة خاصة ، لم تعد لليهود الذين لهم اعمال ، مصلحة فى الانتقال . لماذا يغادر شخص في فينيتسا أو كييف أو سفردلوفسك مكانا يعيش فيه منذ زمن طويل ، ويترك عمله الدائم ومعارفه ؟

وقد تكون هنالك أسباب أخرى . ولكن لا يمكن القاء اللوم على السلطة السوفيتية ـ بطبيعة الحال ـ لان عشرات الالوف وليس مئات الالوف ذهبوا الى بيروبيجان » .[٢]

وجاء فى وثائق مؤتمر يالطا التى نشرتها وزارة الخارجية الامريكية فى واشنطن بعد الحرب ، أن ستالين قال للرئيس الامريكي روزفلت ان المسألة اليهودية هى مسألة صعبة جدا ، وان الاتحاد السوفيتي حاول انشاء وطن قومى لليهود فى بيروبيجان ، ولكن اليهود ، وهم تجار بطبيعتهم ، لم يبقوا هناك أكثر من سنتين أو ثلاث سنوات ، ثم تفرقوا منها الى المدن الكبيرة .[٣]

(١) Goldberg, *op. cit.*, p. 195.

(٢) Solomon Rabinovich, *Jews in the Soviet Union*, Moscow, p. 79.

(٣) *The Conferences at Malta and Yalta*, 1945 (Washington, Dept. of State Publication, 6199, 1955) p. 294.

ويرى « والتر كولارز » أن السبب الرئيسي فى فشل المشروع هو عدم حصوله على تشجيع من زعماء الاتحاد السوفيتي الذين هم من أصل يهودى وقلة اكتراثهم به .[١]

صحيح ، أنه كان بين الزعماء السوفييت الذين يحتلون مناصب مرموقة فى الحزب والحكومة فى العشرينات وأوائل الثلاثينات عدد كبير من اليهود ، ولكنهم لم يكونوا ليفكروا كيهود ، فكلهم كانوا شيوعيين عريقين ، ولا مكان للاعتبارات الدينية فى تفكيرهم .[٢] وكلهم كانوا من دعاة الاندماج الكامل لليهود . ولذلك كانت فكرة وحدة اقليمية منفصلة لليهود غريبة عن أذهانهم تماما . وكان مثلهم الاعلى صهر اليهود مع عمال القوميات الاخرى فى الاتحاد السوفيتي فى أمة سوفيتية واحدة تجمع بينها الايديولوجية الماركسية ـ اللينينية ، والثقافة الروسية . وكانوا يدعون انهم يعملون ويكافحون من أجل جميع شعوب الاتحاد السوفيتي ، ولذلك فانهم لم يعيروا اى اهتمام خاص للمشكلة اليهودية ، ولم يقوموا بأى عمل مباشر من أجل حلها . بل أن أكثر الزعماء السوفييت اهتماما بالمشكلة اليهودية كان « كالينين » الذى لم تجر فى عروقه قطرة من الدم اليهودى .

من المسؤول اذن ؟

ان مسؤولية فشل بيروبيجان ـ فى رأينا ـ تقع بالدرجة الاولى ، على اليهود أنفسهم . ويظهر من استعراض تاريخ مشروع بيروبيجان ، والمراحل التى مر بها منذ سنة ١٩٢٨ ، أن يهود الاتحاد السوفيتي

(١) Kolarz, *op. cit.*, p. 179.

(٢) سئل تروتسكى عن دينه مرة ، فأجاب انه « اشتراكي » .

- بالرغم من حماستهم الجزئية والمحدودة للمشروع فى بعض اوساطهم - لم يتجاوبوا معه بدرجة تكفى لتحقيق نجاحه • فقد كانت أعداد المهاجرين منهم الى بيروبيجان قليلة بالنسبة الى مجموع عددهم فى الاتحاد السوفيتى من جهة ، والى حالتهم وظروف معيشتهم ، وخاصة فى الفترتين اللتين اعقبتا ثورة اوكتوبر ، والحرب العالمية الثانية - من جهة أخرى •

لقد هاجر من روسيا القيصرية بين سنتي ١٨٨١ و ١٩١٤ حوالى مليونى يهودى ذهب معظمهم الى الولايات المتحدة[١] • ولم تكن هذه الهجرة هينة ، بل كانت تقوم دونها صعوبات متعددة • فقد كان أكثرية اليهود فى روسيا القيصرية فى حالة فقر شديد ، وعاجزين عن تدبير نفقات السفر • وكانت السلطات القيصرية لا تسمح لهم بمغادرة البلاد ، وخاصة لمن ينوون الهجرة منهم[٢] ، وكثيرا ما عمد اليهود الى السفر خلسة ، أو بحجة التجارة أو زيارة الاماكن المقدسة • وكان على المهاجرين أن يسافروا أولا الى احد موانىء اوربا الغربية ، وينتظروا فيه حتى تتاح لهم فرصة السفر على احدى البواخر الى امريكا • وكثيرون منهم كانوا يحاولون فى تلك الموانىء ايجاد اعمال يعيشون منها خلال انتظارهم ، أو يجمعون منها المبالغ اللازمة لسد

(١) James Parkes, *A History of the Jewish People*, London, 1964, p. 168.

(٢) ذلك ما حمل بعض زعماء اليهود فى اوربا الغربية على تقديم عريضة الى القيصر نيقولاى الاول يرجونه فيها رفع القيود المفروضة على سفر اليهود من الامبراطورية الروسية الى الخارج • انظر: (Baron, *op. cit.*, p. 84)

أجور السفر • فيطول انتظارهم احيانا فى حالة من العوز الشديد •

أما الهجرة الى بيروبيجان فكانت - على النقيض من ذلك - ميسورة لا تقوم دونها صعوبة • وكانت ظروفها مواتية ، والحكومة مشجعة لها • وكان المهاجرون يحصلون على مساعدات مالية وغيرها • ولم تكن بيروبيجان أبعد من أمريكا ، والسفر اليها ميسورا ومجانيا فى معظم الحالات ، على خط حديد مباشر • وكان المهاجرون يجدون فيها حين وصولهم - أو بعد ذلك بوقت قصير - مساكن وأعمالا جاهزة ، وتسهيلات عديدة ، وكان مصيرهم مضمونا وليس مجهولا كما فى حالة المهاجرين الى امريكا • ولكنهم ، مع ذلك كله ، احجموا عنها ، ولم يقبلوا عليها الا باعداد قليلة ، وبعد تشجيع والحاح من جانب الحكومة •

ولم يكن فى أمريكا اساس تاريخي ولا روحي يجتذب اليهود ، ولذلك فانها - من هذه الناحية - لم تختلف عن بيروبيجان • وهذا يدحض الادعاء الصهيونى القائل بأن اليهود انما احجموا عن الهجرة الى بيروبيجان لعدم وجود أساس تاريخى أو روحى يجذبهم اليها •

فما الذى جعل اليهود يقبلون على الهجرة الى أمريكا بتلك الاعداد الضخمة ، متجشمين كل ما فيها من صعوبات ، ويصدون عن الهجرة الى بيروبيجان مع كل ما فيها من ضمانات وتسهيلات ؟

يقول الاستاذ ناجى علوش ان ذلك يعود الى سبب رئيسي واحد ، وهو أن المشروع كان يستهدف انشاء منطقة حكم ذاتي يهودية « اشتراكية » فى ظل الدولة السوفياتية ، وأن قسما كبيرا من اليهود ، وعلى رأسهم كهنتهم ووجاهاتهم وعوامهم ، يناصب الحكومة السوفيتية العداء ، لانها ارادت ان تجعل منهم اميين

اشتراكيين ، وأن تجردهم عن « يهوديتهم المتحجرة » المتمثلة فى طبيعة تكوينهم الاجتماعى والثقافي • « كان اليهودى يريد ان يظل يهوديا على طريقته ، وكانت الدولة تريد ان تجعل منه مواطنا عاديا • كانت تريد ان تتمثله ، حتى عندما كانت توافق على خلق منطقة يهودية ذات حكم ذاتي • ولم يكن اليهودى يريد ان يصبح مواطنا سوفيتيا، ولا أن يكون له حكم ذاتى سوفياتي ، ولهذا رفض المشروع الذى اقترحه وعمل من أجل تحقيقه رفاقه اليهود الشيوعيون الذين كانوا، على قلتهم ، أكثر استعدادا من اليهودى العادى للخروج من قوقعة اليهودى التقليدية »[١] •

ولا يسعنا قبول هذا التعليل — بالرغم من تقديرنا الكبير للمؤلف — وذلك لسبب بسيط : فاليهودى الذى رفض الذهاب الى بيروبيجان كان يعلم انه سيبقى فى منطقة اخرى من الاتحاد السوفيتي ، وسيظل فى ظل نظام اشتراكى سوفيتى • بل انه كان ، فى هذه الحالة ، أكثر عرضة للاندماج أو التمثل فيما اذا عاش كأقلية بين شعوب ذات أعداد عظيمة • ولو كان لليهود الخيار بين مغادرة الاتحاد السوفيتى ، أو الذهاب الى بيروبيجان ، لصح ذلك الرأى • ولكن طالما لم يكن لهم مناص من العيش في ظل نظام سوفيتي اشتراكى ، فقد كان من الافضل لهم ، اذا هم أرادوا الحفاظ على يهوديتهم ، أن يتكتلوا فى منطقة واحدة يكونون أكثرية فيها •

ان السبب — فى رأينا — هو الآتي :

ان اليهود بطبيعة تكوينهم الاجتماعى — الاقتصادى منذ اجيال

(١) ناجى علوش ، المرجع سالف الذكر ، ص٥٠ـ٥١ •

وقرون ، هم من سكان المدن ، والمدن الكبيرة بصورة خاصة • وبينما يعيش ٤٥ بالمائة من سكان الاتحاد السوفيتي في المناطق الريفية[١] ، فان ٩٦ بالمائة من اليهود يعيشون فى المدن[٢] • وبالرغم من انطواء اليهود على أنفسهم فى أحياء خاصة فى المدن التى وجدوا فيها ، فانهم لا يستطيعون أن يعيشوا بعضهم على بعض ، وانما هم يعيشون على غيرهم بواسطة تجارتهم وخدماتهم وحرفهم ومهنهم • ولذلك فانهم لا يمارسون أعمالهم اليومية فى احيائهم الخاصة دائما ، وانما ينتشرون فى انحاء المدن كلها ، ولا يتجمعون فى احيائهم الا للسكنى • وهذا التكتل الذى تعودوا عليه كان نتيجة الاضطهادات التى تعرضوا لها خلال تاريخهم ، مما جعلهم يجدون فى التجمع مزيدا من الامن ، وتقليلا من احتمال التعرض للاعتداء • وذلك فضلا عن الغريزة التى كان بعض علماء الاجتماع يسمونها « غريزة التجمع » (Gregariousness) التى تجعل ابناء القومية الواحدة ، أو الديانة الواحدة ، أو الجنس الواحد ، يتكتلون فى منطقة سكنية واحدة • وهذه الغريزة نفسها هي التى تجعل الحيوانات ، من جنس واحد تتكتل فى قطعان أيضا •[٣]

(١) *U.S.S.R. in Figures*, p. 7.

(٢) J.P. Cole, *Geography of the U.S.S.R.*, London, 1967, pp. 63-4.

(٣) صاحب هذه النظرية عالم الاجتماع البريطانى « وليم مكدوكل » ، الذي كان يرى ان التجمع غريزة في الانسان كما هي في الحيوان ، ولكن الدراسات التالية رفضت هذه النظرية ، وذهبت الى ان التجمع ليس غريزة فى الانسان ، وانما هو وليد حاجة اجتماعية •

وبالاضافة الى ذلك فان اليهود لا يميلون الى الزراعة ، وقد ابتعدوا عنها منذ عهود بعيدة . وربما كان ذلك نتيجة لتعودهم السكنى فى المدن . فهم كما قال خروشوف ، « خياطون ، وقاطعوا زجاج ومجوهرات ، انهم تجار ، وصيادلة ، ونجارون » ، ولكن قلما وجد حمال (شيال) يهودى ، أو عامل بناء ، أو فلاح . وقد وصفهم كاتب أكثر مجاملة بانهم يفضلون العمل بأدمغتهم وأناملهم أكثر من عضلاتهم .

ولذلك كان ترحيل اليهود الى مقاطعة خاصة بهم : مقاطعة جديدة ، أرضها بكر ، وليست فيها مساكن ولا طرق ولا جسور ، ليقوموا ببنائها بأنفسهم ،يقتضى قيام أغلبيتهم بأعمال جسمية مرهقة ، سواء أكانت فى الزراعة ، أم فى البناء ، أم فى شق الطرق وبناء الجسور واقامة المصانع وقطع الغابات وغير ذلك من الاعمال التى هى غريبة عما تعودوه ونشأوا عليه من أعمال . وذلك ما لم يرغبوا فيه ، فصدوا عنه .

ان اليهود الذين تدفقوا على أمريكا لم يذهبوا اليها بقصد الحفاظ على يهوديتهم ، بقدر هربهم من الاضطهادات والمذابح التى تعرضوا لها فى العهد القيصرى . ولكنهم حين هاجروا لم يقصدوا مناطق خالية ليبنوها ، ولم يذهبوا الى مناطق زراعية . بل ذهبوا الى المدن الكبيرة التى توفر لهم امكانيات واسعة لممارسة الاعمال والمهن التى تعودوا عليها منذ أجيال وأجيال . ويظهر من دراسة اعدتها دائرة النفوس الامريكية عن المجموعات الدينية فى الولايات المتحدة

فى سنة ١٩٣٦ أن ٧٨ بالمائة من مجموع اليهود يقيمون فى أكبر ١٤ مدينة فى الولايات المتحدة[1] .

وهنالك ، الى جانب مسؤولية اليهود ، أسباب عديدة أخرى لعدم تحقيق المشروع النجاح المطلوب ، ولكنها تأتي بالدرجة الثانية :

منها ما مني به المشروع ، منذ البداية ، من تخطيط سيء ، أدى الى رجوع أعداد كبيرة من المهاجرين ، وانتشار أخبار ذلك بين اليهود ، مما أدى الى احجام الكثيرين منهم عن الذهاب الى بيروبيجان متأثرين بدعايات اليهود الراجعين منها ، وخوفا من التعرض لما تعرض له اولئك من صعوبات .

ومنها موقف الحركة الصهيونية من المشروع ، ودعاياتها المثبطة ضده . فقد كان الصهيونيون يريدون استعمار فلسطين ، ويرون فى مشروع بيروبيجان نسفا لمخططهم . ولذلك شنوا عليه حربا لا هوادة فيها . وبالرغم من أن « وايزمان » حيى المشروع ، وعده تحولا بناء فى حياة اليهود السوفييت ، فانه اعتبره مجرد « محطة » فى الطريق الى الوطن اليهودى فى فلسطين .

ومهما يكن من امر ، فان يهود الاتحاد السوفيتي ، بعدم تشجيعهم مشروع بيروبيجان ، قد جنوا على أنفسهم ، وعاد ذلك عليهم بوبال عظيم . فلو كانت الهجرة اليهودية الى بيروبيجان على

(١) Samuel Halperin, *The Political World of American Zionism,* Detroit, 1961, p. 47

نطاق أوسع لنجا الكثيرون من يهود اوكراينا وبيلوروسيا من المصير
الذى انتهوا اليه على أيدى النازيين أثناء الاحتلال الالمانى لتلك المناطق
فى الحرب العالمية الثانية •

ثبت الرموز والمصطلحات الوارد ذكرها في الكتاب

Agro-Joint............American Jewish Joint Agricultural Corporation

(الهيئة الامريكية ـ اليهودية الزراعية المشتركة)

AMBIJAN............American Committee for the Settlement of Jews
in Birobidzhan

(اللجنة الامريكية لتوطين اليهود في بيروبيجان)

ARA ....American Relief Administration

(ادارة المعونة الامريكية)

Bund ....Algemeiner Yiddisher Adbeiterbund in Lita,
Polen un Rusland

(الاتحاد العام للعمال اليهود في ليتوانيا وبولونيا وروسيا)

GEZERD ....OZET — الاسم البيدي لمنظمة

Ghetto.................. — الحي اليهودي المغلق

Goskolonit............Gosudarstvennyi Kolonizatsionnyi Nauchno-
Issledovatel'skii institut

(مؤسسة البحث العلمي فى شؤون التوطين)

ICA..................... (جمعية التوطين اليهودى التى أسسها البارون
دى هيرش في انكلترة)

ICOR .... Gessellschaft tsu Helfen der Yiddisher Kolonizatzie in Sovetn-Ferband

(جمعية توطين اليهود فى الاتحاد السوفيتى) ولكلمة « ايكور » معنى آخر باللغة العبرية وهو « فلاح »

Joint................. American Jewish Joint Distribution Committee

(لجنة التوزيع الامريكية اليهودية المشتركة)

Kolkhoz..............Kollektivnoe Khozyaistvo (مزرعة تعاونية)

Komsomol...........Kommunisticheskii Soyuz Molodezhi

(عصبة الشبيبة الشيوعية)

Komzet.............. Komitet po Zemel'nomu Ustroistvu Trudyashchikhsya Evreev

(لجنة توطين الكادحين اليهود على الاراضي الزراعية)

N E P .... Novaya Ekonomicheskaya Politika

(السياسة الاقتصادية الجديدة)

N K V D........... Narodnyi Komissariat Vnutrennykh Del

(قوميسارية الشعب للشؤون الداخلية) ويدل هذا المصطلح فى الاستعمال الدارج على جهاز الامن السرى

Oblast............................... مقاطعة قومية ذات حكم ذاتي

Okrug...................... دائرة قومية (لا تتمتع بالحكم الذاتي)

OZET......Obshchestvo po Zemelnmu Ustroistvu Trudyashchikhsya Yevreev (جمعية توطين الكادحين اليهود على الاراضى الزراعية)

Pogrom........... الاعتداءات الجماعية على اليهود وخاصة فى روسيا واوكرايينا

Rayon................ أصغر وحدة ادارية اقليمية في الاتحاد السوفيتي

Shtetle.......... القرى اليهودية التقليدية فى اوربا الشرقية والوسطى

Sovkhoz................................ مزرعة سوفيتية (أى : حكومية)

TsIK...........Tsentral'nyi Ispolnitel'nyi Komitet

(اللجنة التنفيذية المركزية)

Yevsektsiya......Yevreiskie Kommunisticheskie sektsii

الفروع اليهودية فى الحزب الشيوعى السوفيتى

Yevkom...........Yevreiskie Komissariat

(قوميسارية الشؤون اليهودية) وهى قوميسارية فرعية تابعة لقوميسارية الشعب لشؤون القوميات

المصادر

أ ـ باللغة العربية

بريسوف وآخرون ، **تاريخ اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية ـ موجز** ، ترجمة طه الصواف ، موسكو (دار الطبع والنشر باللغات الاجنبية) ، بدون تاريخ .

دستور اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية ، موسكو (دار الطبع والنشر باللغات الاجنبية) ، ١٩٦٠ .

ستالين جوزيف ، **الماركسية والمسألة الوطنية** ، موسكو (دار الطبع والنشر باللغات الاجنبية) ١٩٥٢ .

علوش ، ناجي ، **الماركسية والمسألة اليهودية** ، بيروت (دار الطليعة) ، ١٩٦٩ .

لينين ، فلاديمير ايليچ ، **المختارات** (ثلاثة مجلدات) موسكو (دار التقدم) بدون تاريخ .

مرقص ، الياس ، « مسألة القوميات فى الاتحاد السوفيتي » ، مجلة **دراسات عربية** ، السنة الاولى ، مارت ١٩٦٥ ، العدد ٥ .

ب ـ باللغة الانكليزية

Abramsky, Chiman, "The Biro-Bidzhan Project, 1927-1959", in *The Jews in Soviet Russia since 1917*, ed. by: Lionel Kochan, London (Oxford) 1970.

Baron, Salo W., *The Russian Jew under Tsars and Soviets*, New York, (Macmillan) 1964.

Carr, E.H., *A History of Soviet Russia: The Bolshevic Revolution*, London (Macmillan) 1964.

The Conferences at Malta and Yalta, 1945, Washington (Dept. of State Publication, 6199) 1955.

Cole, J.P., *Geography of the U.S.S.R.*, London (Penguin) 1967.

The Diaries of Theodore Herzel, ed. & tr. by: Marvin Lowenthal, London (Gollancz) 1958.

Epstein, Melech, "Pages from My Stormy Life", *American Jewish Archives*, vol. 14, No. 2.

Fainsod, Merle, *How Russia is Ruled*, Cambridge, Mass. (Harvard) 1963.

Federbush, S., *World Jewry Today*, London (W.H. Allen) 1959.

Goldberg, Ben Zion, *The Jewish Problem in the Soviet Union*, New York, 1961.

Greenbaum, Alfred A., "Soviet Jewry during the Lenin-Stalin Period", *Soviet Studies*, Oxford, April-July, 1965, vols. XVI & XVII, Nos. 4 & 1.

Greenberg, Louis, *The Jews in Russia*, (2 vols.), New Haven (Yale) vol. I: 1953, vol. II: 1951.

Halperin, Samuel, *The Political World of American* Zionism, Detroit, (Wayne State University) 1961.

Khrushchev Remembers, tr. by: Strobe Talbott, London (Andre Deutsch) 1971.

Kolarz, Walter, *Russia and her Colonies*, New York (Praeger) 1952.

Korey, William, "The Legal Position of Soviet Jewry: A Historical Enquiry", in *The Jews in Soviet Russia Since 1917*, London, 1970.

Leftwich, J., (ed. & tr.) *The Golden Peacock*, London, 1939.

Lenin, V.I., *Collected Works*, vol. VII, Moscow (Progress Publishers)

Litvinoff, Barnet, *A Peculiar People*, London (Weidenfeld & Nicolson) 1969.

Parkes, James, *A History of the Jewish People*, London, (Penguin) 1964.

Pistrak, Lazar, *The Grand Tactician: Khrushchev's Rise to Power*, London (Thames and Hudson) 1961.

Rabinovich, Solomon, *The Jews in the Soviet Union*, Moscow, (Novosti) 1967.

Reed, John, *Ten Days that Shook the World*, London (Lawrence & Wishart) 1961.

Riasanovsky, Nicolas V., *A History of Russia*, New York (Oxford) 1963.

Schechtman, Joseph P., *Star in Eclipse: Russian Jewry Revisited*, New York (Yeseloff) 1961.

Schwarz, Solomon M., *The Jews in the Soviet Union*, Syracuse (University Press) 1951.

The Secret Letters of the Last Tsar, ed. by: E J. Bing, New York, 1938.

Shuster, George N., *Religion behind the Iron Curtain*, New York (Macmillan) 1954.

Smith, Walter Bedell, *My Three Years in Moscow*, Philadelphia & New York (J.B. Lippincott Company) 1950.

Stalin, Joseph, *Leninism*, London, 1950.

U.S.S.R. in Figures, Moscow, n.d.

Vernadsky, George, *A History of Russia*, New Haven (Yale University Press) 1964.

Wallace, Sir Donald Mackenzie, *Russia*, London (Cassell) 1912.

Weisel, Elie, *The Jews of Silence: A Personal Report of Soviet Jewry*, London Valentine, Mitchell) 1968.

ج - باللغة الروسية(١)

Barshchevskii, D., "15 let Oktyabrya i yevreiskoye zemleustroistvo", *Tribuna*, N. 27, November 7, 1932.

Bruk, B., *Biro-bidzhan*, Leningrad, 1929.

Chutskayev, S. Ye., "Desyat' let Birobidzhanna", *Vlast Sovetov*, No. 7, April 1938.

Doklad Internatsionalnovo Stsialistichesko Kongress v Amsterdam Geneva, 1904.

---

(١) دونا اسماء المصـادر الروسية بالاحرف اللاتينية وليس السيرلية ، توخيا للسهولة ، ولانها معروفة لعدد اكبر من القراء ، وهذه هى الطريقة المتبعة فى الكتب العلمية باللغات الاوربية والتى فيها اشارات الى مصادر بلغات تكتب بأحرف غير لاتينية .

Dimanshtein, S., "Yevreiskaya avtonomaya oblast'-detischche Oktyabr'skoi revolyutsii", *Revolyutsiya i Natsional'nosti*, June 1934.

———, "Yevreiskoye natsmen'shinstvo na novom etape" *Revolyutsiye i National'nosti*, May 1932.

Druyanov, M.B., *Yevreiskaya Avtonomaya Oblast.*

Dubnov, S., "Istoricheskie soobscheniya, *Knizhki Voskhoda*, April 1904.

Fink, Viktor, "Birobidzhan", *Sovetskoye Stroitel'stvo*, May, 1930.

Gorfinkel, "K itogam Plenuma Ozet", *Revolyutsia i Natsional' nosti*, March 1936.

Kalinin, M.I., "Yevri v SSSR", *Revolyutsiya i Natsional'nosti*, 11/12 February-March 1931.

Kantarovich, A., *Perspektivi Birobidzhana*, Moscow (Emes) 1932.

Kantor, Yakov, *Natsional'noye stroitel'stvo sredi yevreev SSSR*. Moscow, 1934.

Larin, Yuri, *Yevri i Antisemitism v S.S.S.R.* Moscow, 1929.

Merezhin, A.N., *O Birobidzhane*, ed. KOMZET, Moscow, 1929.

———, *Shto takoe Biro-Bidzhan?* Moscow, 1929.

O Biro-Bidzhan, Statei Leningradskikk Professorof, Leningrad, 1929.

Pyatyi s'ezd R.S.D.R.P.

Sobrnik ukazov i postanovlennii Vremennogo Pravitel'stva, Part I., Petrograd, 1917.

Sudarski, J., *Birobidzhan i Palestina*, Moscow (OZET) 1930.

Vaneev, Y.I., *Biro-Bidzhan*, Blagoveshinsk, 1931.

د - بلغات أخرى

Bakhmutskii, A., "Di Kraft fun der Stalinsher Nationaler Politik", *Einikeit,* March 21, 1946. (باليدية)(1)

Bergelson, David, *Birobidzhaner,* Moscow, 1934. (باليدية)

Dimanshtein, S., *Yidishe Avtonome Gegend,* Moscow, 1934. (باليدية)

Fejto, Francois, *Le Juif, et l'antisemitism dans le pays communist (entre l'integration et la secession),* suivi de documents *et de temoignages,* Paris, 1960. (بالفرنسية)

Gilman, A., *Vos Darf Visn an Ibervanderer vegan der Idisher Avtonomer Gegend,* Moscow, 1939. (باليدية)

Miler, Buzi, "Er iz fun Birobidzhan", *Birobidzhan,* No. 3, 1947. (باليدية)

Zalbefert, D., *et. al.* (ed.) *Birobidzhanish,* Vilna, 1935. (باليدية)

Yiden in FSSR, Zamlbuch (ed. Dimanshtein, S.) Moscow, 1935. (باليدية)

هـ - دوائر المعارف والحوليات

The American Jewish Year Book, Philadelphia, The American Jewish Committee and the Jewish Publication Society of America, 1925, 1946.

---

(1) دونا اسماء المصادر اليدية بالاحرف اللاتينية وليس بالعبرية .

Bolshaya Sovetskaya Entsiklopedia, Moscow,

Entsiklopedicheskii Slovar' 'Russkogo Bibliograficheskogo Instituta Granat, Moscow.

Everyman's Concise Encyclpedia of Russia (By: S.V. Utechin), London (Dent) 1961.

The New Jewish Encyclopedia, New York (Behrman House Inc.) 1962.

The Universal Jewish Encyclopedia, New York (KTAV Publishing House, Inc.) 1969.

(رسم خرائط الكتاب : السيد قاسم الجنابي)

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد ٥٤ لسنة ١٩٧٣

١٩٧٣/٢/٢٠/٢٠٠٠

٣٠٨

السعر :

في العراق ٢٥٠ فلساً

في لبنان ٣ ل. ل.

طبع الغلاف بمطبعة دار الساعة ٨٣٠٢٨